

كتب النسر
قصص وروايات عالمية

جائزة
نوبل
١٩٥٤

ايرنست همنجواي

حياة فرانسيس ماكومبير

نبد

القصيرة السعيدة



ترجمة ، سمير عزت نصار

دار النسر للنشر والتوزيع

إيرنست همنجواي

حياة فرانسيس ماكومبيرة

القصة السعيدة

قصص

ترجمة: سمير عزت نصار

طبعة ثانية منقحة

دار النشر للطباعة والنشر

ايرنست همنجواي (١٨٩٩ - ١٩٦١)، جائزة نوبل ١٩٥٤ .

ولد ايرنست همنجواي في أوكل بارك - الينوي في ٢١/ تموز - يوليو/ ١٩٨٩ ومات في بيته في كيتشوم - آيداهو في ٢/ تموز - يوليو/ ١٩٦١ بعد عيد ميلاده الثاني والستين بوقت قصير.

كان والده طبيباً، وأمه مدرسة موسيقى . وقد كان شغوفاً بالرياضة والصيد . وقد بدأ في الكتابة حينما كان في المدرسة الثانوية في ١٩١٧ . وبعد أن ترك المدرسة، قرر الآ بدخل الجامعة وشغل منصب مندوب في نجمة مدينة كانساس (كانساس ستي ستار) . وحين دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في ١٩١٧، حاول التطوع في الجيش، لكنه رُفِضَ بسبب ضعف نظره . فتطوع للعمل كسائق سيارة إسعاف مع الصليب الأحمر وأرسل إلى إيطاليا في إيسان/ أبريل ١٩١٨ . وأصيب بقذيفة نمساوية في رجله لكنه استطاع حمل جندي جريح بالرغم من ذلك وعاد به تحت وأبل من طلاقات الرشاشات ليصل إلى مركز القيادة قبل أن ينهار، فمُنحَ ميدالية الحكومة الإيطالية .

وعاش همنجواي في باريس، كعبداء أدباء وفناني العالم بشكل عام وإدباء وفناني أمريكا بوجه خاص، حيث شجعه عدد من الكتاب الأمريكيين المغتربين ومن بينهم إزرا باوند (١٨٨٥ - ١٩٧٢) وجيرترود شتاين (١٨٧٤ - ١٩٤٦)، فأصدر أول كتاب له : «ثلاث قصص وعشر قصائد» (باريس ١٩٢٢) ونشر مجموعته القصصية «في زماننا» (باريس ١٩٢٤) ثم أتبع تلك المجموعة برواية : «دفقات الربيع» وهي رواية هجائية ساخرة، يقلد فيها أسلوب شيروود أنديرسون على شكل نقيض (Parody) تذكرنا بنقائض الفرزدق وجريير . وفي عام ١٩٢٦، نشر رواية : «الشمس تشرق أيضاً» (وتُعرف باسم «المهرجان» في طبعها الانجليزية)، وهي قصة تصوّر ضياع وعقم وعجز جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى .

وبعد نشر روايته «الرجل العجوز والبحر» (١٩٥٢)، بدأ نجمه يعلو، وأحرزت قصته نجاحاً فورياً، فكانت عاملاً من العوامل التي أدت إلى منحه جائزة نوبل للأدب في ١٩٥٤ .

بعد ذلك أصيب نتيجة لتحطم طائرة كان يستقلها في نفس السنة بينما كان يقوم برحلة صيد في أفريقيا، وأخذت صحته تسوء أكثر فأكثر، وفشل علاجه من شفائه من إكتئاب حاد، مما أدى إلى أن يطلق النار على نفسه في ١٩٦١ في بيته في آيداهو . فطوبت صفحة أديب كان شغل العالم كله منذ أن بدأت شهرته تطبق الآفاق قبل منتصف هذا القرن حتى وقت وفاته .

عن ترجمة رواية : إن كنت تملك وإن كنت لا تملك

الصادرة عن دار النشر للنشر والتوزيع - عمان

حياة فرانسيس ماركوب
القصيدة السعيدة



- * إيرنست همنجواي : حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة .
- * الطبعة العربية الثانية : ١٩٩٠ .
- * الناشر : دار النسر للنشر والتوزيع
- ص.ب ٩١٠٥٨٦ هـ / ٦٥٩٤٦٠
- عمان/ جبل الحسين - دوار فراس
- عمارة الفيروزة - مكتب ١٥ .
- * التوزيع : دار النسر للنشر والتوزيع .

The Short Happy Life of
Francis Macomber & other stories

Ernest Hemingway
Penguin Books 1975.

* هذه الترجمة الكاملة لقصص

تأليف
طبعة

٨٢٣٩م

همنجواي ، إيرنست .

حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة وقصص اخرى
- إيرنست همنجواي - ترجمة سمير عزت نصار . - ط ٢ -

عمان : دار النسر ، ١٩٨٩

متعدد الترقيم

ر . أ (١٩٨٩/٨/٥١٥)

١ - انقصة الانجليزية - العصر الحديث

أ . سمير عزت نصار ، مترجم ب . العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

رقم الاجازة المتسلسل : ١٩٨٩/٨/٤٦٠

كنمة عن هذه الطبعة

لأن المترجم يقوم بنقل أفكار وأسلوب غيره من لغة غير لغته إلى لغته الأم، فإن دوره لا ينتهي بعد ترجمته لأي كتاب ونشره له. فالمترجم يبذل قصارى جهده في الاقتراب من الكاتب المترجم عنه وفهمه أكثر فأكثر. وكلما زادت قراءات المترجم لكاتب ينوي الترجمة عنه، كلما زادت معرفته بأعماله: فكراً وموضوعاً وأسلوباً. وحين يترجم المترجم كتاباً لكاتب ما، ثم يترجم كتاباً آخر له، تزداد معرفته بأسلوب ومواضيع ولغة المؤلف، فيصبح من السهل عليه تذليل العقبات التي قد يواجهها أثناء ترجمته. لكن هذه بديهيات في علم/ فن الترجمة، لا بد أن نذكرها دائماً ونحن نترجم أو نقرأ ما يترجم.

لقد أفنعتني قراءة مجموعات قصص همنجواي الثلاث التي صدرت في طبعتها الأولى: «رجال بلا نساء»، و«حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة»، و«في زماننا»، واكتشافي وجود أخطاء مطبعية كثيرة في هذه الكتب المنشورة في طبعتها الأولى، لأنني لم أشرف على تصحيح أخطائها أثناء تنضيد تلك الكتب، أفنعتني بأن تصحيح الأخطاء المطبعية في تلك الكتب، بعد أن شرعت في عملية تلك التصحيحات، لا تكفي. وبعد أن رأيت أن التصحيح سيستغرق وقتاً طويلاً وبعثتني إلى مراجعة النص الأصلي لاكتشاف الأخطاء من خلاله، وأثناء تلك العملية التي تطلبت الرجوع المستمر إلى النص الانجليزي الأصلي، اكتشفت بأن ثمة تغييرات لا بد من إجرائها على الترجمة السابقة لتقديم النص الأصلي بلغة عربية سليمة سلسلة، ولهدم الحاجز بين النصين: المترجم والمترجم عنه. فبدأت أعمل بالترجمة السابقة تغييراً وتبديلاً إلى أن خرجت الكتب الثلاثة في ترجمة جديدة، أكثر منها ترجمة مراجعة ومنقحة. وقد يقول البعض: ها أنت تعترف بأن ترجمتك السابقة كانت سيئة! لكن الأمر ليس بهذه البساطة، فالقصد من هذا التصحيح هو الوصول إلى الأفضل، الوصول إلى ترجمة منقحة دقيقة وسلسلة. وقد كان يمكنني طبع الكتب الثلاثة، بعد أن نفذت طبعتها الأولى، دون أن أبذل جهداً جديداً في مراجعتها مراجعة دقيقة، طبعها كما كانت في الطبعة الأولى، أسوة بما يفعل الكل، لكنني أصبوا إلى الإتقان حتى ولو كلفني ذلك جهداً مصاعفاً كان

يمكنني بذله في ترجمة ثلاثة كتب أخرى ونشرها . فالعبرة في الكيف لا في الكم .
وعمل واحد متقن خير من عشرين عملاً مشوهاً . كما أن الترجمة مسؤولية كبيرة
وتحدي لكل مترجم وأديب . بل هو عمل متعب وشاق قد يراها البعض أصعب من
التأليف . ولا بد أن القارئ يذكر رسالة ميخائيل نعيمة إلى اليازجي عن عمل
ميخائيل نعيمة بترجمة أحد أعماله هو نفسه من الانجليزية إلى العربية حيث قال
بأنه يلاقي صعوبة كبيرة في ترجمة كتابه من الانجليزية إلى العربية ، وهي صعوبة
لم يواجهها أثناء تأليفه ذلك الكتاب ، وبأنه لو كان ألف الكتاب من جديد لكان
ذلك أهون عليه .

قد يعتبر القارئ هذه الطبعة الجديدة لهذه الكتب الثلاثة ترجمة جديدة ،
فهي لا تقتصر على تصحيح الأخطاء المطبعية أو تصحيح أخطاء وقع بها المترجم
في طبعتها الأولى ، بل هي تعيد صياغة جمل وفقرات وتبدل كلمات وكلمات . ومع
ذلك ، لنقل عنها : طبعة ثانية منقحة لصالح العمل المترجم .

سمير عزت نصار

عمان في ٢٠ / ٩ / ١٩٨٩

حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة

كان وقت الغداء قد حل فجلسوا كلهم تحت رفرف باب خيمة الطعام المزدوج الأخضر متظاهرين بأن شيئاً لم يحدث .
سأل ماكومبير :

- هل ستشرب عصير ليم أو عصير ليمون؟

قال روبرت ويلسون :

- سأشرب جيمليت .

قالت زوجة ماكومبير :

- سأشرب جيمليت أيضاً . أحتاج الى شيء ما .

وافق ماكومبير :

- أظن بأننا سنشرب جيمليت . قل له بأن يُعد ثلاث كؤوس جيمليت .

بدأ الصبي المسؤول عن الطعام يعدها ، فأخرج القناني من حقائب القنب المبردة التي رشحت مبتلة في الريح الهابة بين الأشجار المظلمة للخيام .

سأل ماكومبير :

- كم يجب أن أعطيهم؟

قال له ويلسون :

- جنيهاً واحداً ، سيكون مبلغاً كبيراً ، أنت لا تريد إفسادهم .

- هل سيوزعها الرئيس عليهم؟

- بلا شك .

قبل نصف ساعة ، حُمل فرانسيس ماكومبير الى خيمته من طرف الخيمة على أذرع وأكتاف الطباخ وخادميه وسالخ الطرائد والحمالين مكللاً بالنصر . لكن حاملي البنادق لم يشاركوا في المظاهرة . وعندما أنزله الفتيان الوطنيون عند باب خيمته ، صافحهم كلهم ، وتلقى تهانيهم ثم دخل الخيمة وجلس على السرير الى أن دخلت زوجته . لم تتحدث اليه حين دخلت وغادر هو الخيمة على الفور ليغسل وجهه ويديه في حوض الغسيل في الخارج ثم ذهب الى خيمة الطعام ليجلس على كرسي قنب مريح في النسيم والظل .

نظرت السيدة ماكومبير الى ويلسون نظرة سريعة . كانت امرأة مفرطة الاناقة وحسنة المظهر تتمتع بجمال ووضع إجتماعي مرموقين استحققت عليهما خمسة

آلاف دولار. قبل حمير سنوات، كأجر على قيامها بالدعاية المصوّرة لقره بوج بيع مستحبات تجميل لم تستعملها هي نفسها قط. وكانت قد انقضت على زوجها من فرانسيس ماكومير إحدى عشرة سنة.

قال ماكومير:

- إنه أسد رائع، أليس كذلك؟

نظرت زوجته إليه الآن. نظرت إلى هذين الرجلين كأنها لم ترهما من قبل. كان أحدهما: ويلسون، الصياد الأبيض، وقد عرفت الآن بأنها لم تره على حقيقته من قبل. وكان متوسط الطول تقريباً، له شعره إلى اللون وشاربان تصيران خيطان، ووجه أحمر جلدًا وعينان أردتان وزيقوان جندا، مع تغمضات بينهما طليقة عند ركنيهما حينما يتسم. ينسم لها الآن، تدنّت نظراتها عن وجهه لتنظر إلى الطربيع التي تنحني بها كفضاء في رذاته الفضاض الذي كان يرتديه من الخراطيم الأثيرة المثبتة في عري، وإلى حيث يفترض وجود جيب الصدر الأيسر. وإلى يديه الجيبين اليسيرين، وإلى سروال القديم، وإلى جزمته القدره جندا، ثم عادت إلى النظر إلى الأحمر ثانية، لاحظت المكان الذي ينتهي فيه اللون الأحمر المحموم من اللون في خط أبيض حدته الذئرة التي رستها قبعة ستيتود المعالفة إلا على حدة مشاحب عمود الخيمة.

قال روبرت وينسون:

- حسناً، نحب الأسد.

اتسم لها ثانية، فنصرت بفضول إلى زوجها دون أن تتسم.

كان فرانسيس ماكومير طويلًا، بدأ، حسن البنيان جميل، استلمت له عظامه طول عظامه تلك. وكان أسمرًا، وتمعره قنير كشعر مجدي في أعين العينين إلى حد ما، وكان يُعتبر وسيساً. كان يرتدي نفس القميص الذي يرتديه ويلسون إلا أن ملابسه كانت جديدة، وكان في الحدمه من عسره. محافظاً على نيافته البدنية تماماً، كما كان ماهراً في لعبة التنس والطائشة، وكان قد سجّل أرقاماً قياسية في صيد السمك، وقد فتور في وجيزة وعلائية، على أنه جبان.

قال:

- نحب الأسد. لن أفيك حقلك من الشكر على ما فعلته.

حوّلت زوجته نظراتها عنه وأعادتها إلى ويلسون.

قالت:

- لنكف عن الكلام عن الأسد .

نظر إليها ويلسون دون أن يتسم فابتسمت له الآن . قالت :

- كان يوماً غريباً . هل يجب أن تعتمر قبعتك حتى تحت قماش القنب وظهراً؟ لقد أخبرتني بذلك ، كما تعلم .

قال ويلسون :

- قد أعتمرها .

قالت له :

- أتعرف بأن لك وجهاً شديداً الحمرة يا سيد ويلسون .

وابتسمت مرة أخرى .

قال ويلسون :

- الشراب .

قالت :

- لا أظن هذا . ففرانسيس يشرب كثيراً جداً ، لكن وجهه ليس أحمر إطلاقاً .

قال ماكومبير محاولاً إطلاق نكتة :

- إنه أحمر اليوم .

قالت مارجريت :

- لا . إن وجهي أنا هو الأحمر اليوم . لكن وجه ويلسون أحمر دائماً .

قال ويلسون :

- لا بد أنه وراثي . أقول لك : ألا تنوين الكف عن إتخاذ جمالي كموضوع حديثك ، ألا تكفي عن ذلك؟

- لقد بدأت بالحديث عنه الآن فقط .

قال ويلسون :

- لنتركه جانباً .

قالت مارجريت :

- سيكون الحديث صعباً جداً .

قال زوجها :

- لا تكوني سخيفة يا مارجوت .

قال ويلسون :

- ليس صعباً . لقد إصطدنا أسداً رائعاً لعيناً .

نظرت مارجوت إليهما ورأى كلاهما بأنها سبكي . رأى ويلسون بأن هذا كان

سيحصل منذ وقت طويل وكان خشي وقوعه . أما ماكومبير فقد كان قد تجاوز خشية وقوعه .

قالت :

- يا ليت هذا لم يحدث . أوه ، يا ليت هذا لم يحدث .
ثم انطلقت نحو خيمتها . لم تطلق ضجة بكاء ، لكنهما رأيا بأن كتفها كانا يهتزان تحت القميص الوردي غير المنفذ للشمس الذي ترتديه .

قال ويلسون للرجل الطويل :

- وعكة نساء . لن تؤدي إلى شيء . إجهاد على الأعصاب وتراكم مشكلة فوق الأخرى .

قال ماكومبير :

- لا . أظن بأنني سأحسب حساباً لهذا طيلة ما بقي من حياتي .

قال ويلسون :

- هراء . لنلق نظرة على القاتل العملاق . إنس الأمر كله . لن يؤثر هذا أدنى تأثير .

قال ماكومبير :

- يمكننا أن نحاول . لكن ، لن أنسى ما فعلته من أجلي .

قال ويلسون :

- لا شيء . كله هراء .

وهكذا جلسا هناك في الظل حيث نُصبت الخيمة تحت أشجار السنط الوارفة بينما انتصب وراءهما جرف مكسو بصخور ضخمة وامتدت أمامهما بقعة عشبية حتى ضفة جدول ماء مليء بصخور جلمودية كبيرة ، وترامت خلفها غابة ، وشربا عصير الليم البارد وتجنبنا عيني بعضهما بعضاً ، بينما كان الخادمان يعدان الطاولة للغداء . كان بوسع ويلسون الاحساس بأن جميع الخدم كانوا قد عرفوا بما حدث الآن . فأطلق على خادم ماكومبير الشخصي بضع كلمات بالسواحلية حين رآه ينظر بفضول الى سيدة بينما كان يضع الأطباق على الطاولة . فأشاح الخادم بوجه خاو .

سأل ماكومبير :

- ما الذي كنت تقوله له ؟

- لا شيء . طلبتُ منه أن ينشط بالعمل وإلا نال خمس عشرة من أفضل الأنواع .

- ماذا ؟ جلدة ؟

قال ويلسون :

- إنه عمل قانوني تماماً . من المفروض أن تعاقبهم .

- ألا زلت تجلدهم؟

- أوه، نعم. يمكنهم أن يقيموا الدنيا ويقعدوها إذا بدأوا بالشكوى. لكنهم لا يفعلون هذا. إنهم يفضلون ذلك على الغرامات.

قال ماكومبير:

- يا له من أمر غريب.

قال ويلسون:

- ليس غريباً بالحقيقة. أيهما تفضل: أن تُجلد أم تفقد أجرك؟

ثم شعر بالحرَج لطرحه هذا السؤال، وقبل أن يتمكن ماكومبير من الاجابة، تابع ويلسون قائلاً:

- كلنا يذوق طعم الضرب يومياً، بطريقة أو بأخرى كما تعرف.

لم يكن هذا الكلام خيراً من سابقه. فكر: «يا الهي، أنا دبلوماسي، أليس كذلك؟».

قال ماكومبير وهو لا يزال مشيحاً بنظره عنه:

- نعم. كلنا نتلقى ضرباً. أنا آسف جداً لموضوع الأسد ذلك. يجب ألا يصل إلى

أبعد من هنا، أليس كذلك؟ أعني بأن أحداً لن يسمع شيئاً عنه، أليس كذلك؟

- تعني: هل سأُتحدث عن هذا في ماثايجا؟

نظر اليه ويلسون الآن ببرود. لم يكن يتوقع هذا. فكر: ما هو إلا رجل مؤلف

من أربعة حروف* إضافة الى أنه جبان دموي. لقد أحبته قليلاً أيضاً حتى اليوم.

لكن، كيف يمكن للمرء أن يفهم أمريكياً؟

قال ويلسون:

- لا. أنا صياد محترف. نحن لا نتحدث عن زبائننا أبداً. يمكنك أن تظمن تمام

الاطمئنان بالنسبة الى ذلك. من المفروض أن يكون طلبك ألا نتحدث عن ذلك

تصرفاً سيئاً.

فكر بأن قطع علاقته به الآن سيكون أسهل جداً. سيتناول الطعام وحده،

وسيكون من الممكن أن يقرأ كتاباً مع وجباته. وسيتناولان الطعام وحدهما وسيراهما

خلال رحلة الصيد على أساس رسمي فقط. كيف يدعو الفرنسيون وضعاً كهذا؟

اعتبارات متميزة - سيكون مشهداً لعيناً أسهل من تورطه بهذه النفاية العاطفية.

سيهينه وينهي العلاقة بطريقة جيدة ونظيفة. وحينذاك، سيكون باستطاعته قراءة

كتاب مع وبنباته وسيواصل شرب ويسكيهما. ذلك هو التعبير عن الوضع حين يسوء

* كلمة من أربعة حروف هنا تعني pimp وهي بمعنى قواد. (المرجم).

الحال أثناء رحلة صيد. تصادف صياداً أبيض آخر وتساءله: «كيف تسير الأمور؟»
ويجيب: «آه. ما زلت أشرب ويسكيهم». وتعرف حينذاك بأن الأمور ساءت تماماً.
قال ماكومبير:

- أنا آسف.

ونظر إليه بوجهه الأمريكي الذي سيقى مراهقاً الى أن يبلغ منتصف العمر،
ولاخط ويلسون شعره الذي يشبه قصة البحارة القصيرة وعينييه الجميلتين الماكرتين
قليلاً وأنفه الجميل وشفتيه الرقيقتين وفكه الجميل.

- أنا آسف. لم أعرف ذلك. هناك الكثير من الأشياء التي لا أعرفها.

فكرو ويلسون: ماذا يمكنه أن يفعل. كان على إستعداد كامل لأن يقطع هذه
العلاقة بسرعة وبراعة، لكن هذا المتسول يعتذر الآن بعد أن أهانه. قام بمحاولة
أخرى.

قال:

- لا تقلق حول حديثي عن هذا. فلدي رزق أريد أن أكسبه وأنت تعرف بأنه ليس
في أفريقيا امرأة تخطيء في إصابة أسدها وليس فيها رجل أبيض يفر هارباً إطلاقاً.

قال ماكومبير:

- لقد قررت أنا كأرنب.

تساءل ويلسون: الآن، ما الذي ستفعله برجل يتكلم بتلك الطريقة بحق
الجحيم.

نظر ويلسون الى ماكومبير بعينييه الزرقاوين الباردتين، عيني مدفعي، ورد
الأخر على ابتسامته. كانت ابتسامته سارة إن لم تلحظ كيف تبدو عيناه حين تجرح
أحاسيسه.

قال:

- ربما أستطيع أن أعوض هذا بـ «بافالو». سنطارده في المرة القادمة، اليس
كذلك؟

قال له ويلسون:

- في الصباح، إن شئت.

ربما يكون مخطئاً. هذه هي الطريقة التي يجب أن تأخذ بها الأمر. لن
تستطيع أن تعرف شيئاً لعيناً عن أمريكي. لقد أصبح في صف ماكومبير قلباً وقالباً
ثانية. لو أمكنك أن تنسى الصباح. لكن، لن تستطيع أن تنساه طبعاً. لقد بلغ
الصباح السوء الذي بلغوه تقريباً.

قال :

- ها هي المصاحب قادمة .

كانت تسير من خيمتها وقد بدت نضرة سعيدة وفاتنة تماماً . كان وجهها
بيضاوياً ودقيقاً جداً ، دقيقاً دقة تحملك على الظن بأنها غبية . فكر ويلسون : لكنها
ليست غبية . لا . إنها ليست غبية .

- كيف حال السيد ويلسون الجميل أحمر الوجه؟ أتحسنت حالتك يا فرانسيس يا
لؤلؤتي؟

قال ماكومبير :

- أوه . كثيراً .

قالت وهي تجلس الى الطاولة :

- لقد أسقطت الموضوع كله من حسابي . ما أهمية أن يكون فرانسيس ماهراً في قتل
الأسود؟ تلك ليست مهنته . تلك مهنة السيد ويلسون . إن السيد ويلسون مؤثر حقاً
في قتل أي شيء . أنت تقتل أي شيء ، أليس كذلك؟

قال ويلسون :

- أوه أي شيء . ببساطة : أي شيء .

فكر : إنهن أصعب الخلق في هذا العالم . أصعب الخلق وأقساهن وأكثرهن
ضراوة وجاذبية بينما يرق رجالهن أويتاثرون قطعاً بعصبية وهن يقسون . أوأنهن
يلتقطن الرجال الذين يستطعن التعامل معهم؟ فكر : انهن لا يعرفن الى ذلك الحد
الكبير من هذا وهن في سن الزواج . كان ممثناً لأنه كان قد أنهى تعليمه عن النساء
الأمريكيات وتعامله معهن قبل الآن لأن هذه المرأة كانت جذابة جداً .

قال :

- سنطارد «البافالو» في الصباح .

قالت :

- سأتي .

- لا . لن تأتي .

- أوه . نعم . سأتي . أليس كذلك يا فرانسيس؟

- لِمَ لا تبقين في المخيم؟

قالت :

- لن أفعل هذا مقابل أي شيء . لن يفوتني شيء كاللوم مقابل أي شيء .

عندما غادرتهما كان ويلسون يفكر : عندما تركتنا لتبكي بدت امرأة جميلة

جمالاً باهراً. بدت كأنها تفهم، تدرك، تتألم من أجله ومن أجل نفسها، وتعرف كيف تسير الأمور حقاً. لقد غابت مدة عشرين دقيقة وها هي تعود الآن، مطليةً بتلك القسوة الأنثوية الأمريكية بكل بساطة. إنهن ألعن النساء قاطبة. إنهن ألعنهن حقاً.

قال فرانسيس ماكومبير:

- ساعد عرضاً آخر لكم غداً.

قال ويلسون:

- لن تأتي.

قالت له:

- أنت مخطيء تماماً. أرغب رغبة عارمة في أن أراك تقوم بإنجازاتك مرة أخرى. كنت مدهشاً هذا الصباح. ذلك إن كان تفجير رؤوس الحيوانات عملاً مدهشاً.

قال ويلسون:

- ها هو الغذاء جاهز. أنت مرحة جداً، أليس كذلك.

- لِمَ لا؟ لم أحضر هنا لأقضي وقتاً مملأً.

قال ويلسون:

- حسناً، لم يكن وقتاً مملأً.

كان بوسعه أن يرى الصخور في النهر والضفة العالية وراءها مع الأشجار التي تغطيها، فتذكر الصباح.

قالت:

- أوه. لا. لقد كان ساحراً. وغداً. أنت لا تعرف مدى توقي للغد.

قال ويلسون:

- ذلك اللحم الذي يقدمه اليك هو لحم العلند.

- العلند: تلك الحيوانات البقرية الكبيرة التي تقفز كالأرانب البرية، أليس كذلك؟

قال ويلسون:

- أظن أن تلك هي أوصافها.

قال ماكومبير:

- إنها لحم طيب جداً.

سألت:

- هل إصطدتها يا فرانسيس؟

- نعم.

- إنها ليست خطيرة، أليس كذلك؟

قال ويلسون لها:

- إلا إذا إنقضت عليك .

- أنا مسرورة جداً .

قال ماكومبير وهو يقطع شرائح العلند ويضع البطاطا المهروسة ومرق اللحم والجزر على الشوكة المقلوبة التي تخللت قطعة اللحم .

- لِمَ لا تكفني عن الغمز واللمز حتى وكو قليلاً يا مارجوت؟

قالت:

- أظن بأنه يمكنني فعل هذا، ما دمت تعبر عنها على هذا النحو الجميل .

قال ويلسون:

- سنشرب الليلة الشبانيا نخب الأسد . إن الطقس بارد جداً عند الظهر .

قالت مارجوت:

- آه، الأسد . لقد نسيتُ الأسد .

فكر روبرت ويلسون لنفسه: ها هي تفتح أمامه باباً، أليس كذلك؟ أوترى بأن هذه هي طريقته بتقديم عرض ممتع؟ كيف تتصرف امرأة حين تكتشف بأن زوجها جبان دموي؟ إنها قاسية جداً، ولكنهن كلهن قاسيات . إنهن يحكمن طبعاً، ولا بد أن يكون الإنسان قاسياً حين يحكم أحياناً . لكنني رأيتُ ما يكفي من إرهابهن اللعين .

قال بأدب:

- خذي المزيد من لحم العلند .

في ساعة متأخرة من بعد ظهر ذلك اليوم، خرج ويلسون وماكومبير في سيارة مع السائق الوطني الأفريقي واثنين من حاملي البنادق . وقيت السيدة ماكومبير في المخيم . قالت بأن الطقس حار جداً على الخروج، وبأنها ستذهب معهم في الصباح الباكر . وفيما كانوا ينطلقون بالسيارة، رآها ويلسون تقف تحت الشجرة الكبيرة وقد بدت مليحة أكثر منها جميلة في ملابس الخاكي الوردية الفاتحة، وشعرها الداكن مُزاح بعيداً عن جبينها ومجمّع عقدة واطئة على رقبتها . وفكر: وجهها نضر كما لو كانت في انجلترا . لو حثَّ بيدها لهم والسيارة تبتعد عبر منخفض مستنقعي مكسوب عشب عال ثم تنعطف عبر الأشجار الى داخل تلال صغيرة لأجمة بستانية .

رأوا بين الأجمة البستانية قطعاً من بقر الوحش، وبعد أن نزلوا من السيارة طاردوا كبشاً كبيراً له قرون طويلة منتشرة وقتله ماكومبير بطلقة جديرة بالاكبار أطاحت

بالوعل وطرحته أرضاً على بعد ماتتي ياردة وحملت القطيع على الفرار مبتعداً ضارباً الأرض بوحشية وقافزاً، الكبش فوق ظهر الآخر، قفزات طويلة ومرفوعة الأرجل إلى الأعلى بطريقة لا تصدق وطافية على نحو ما يراها الانسان تطفو في الأحلام أحياناً.
قال ويلسون :

- تلك رمية رائعة، إنها أهداف صغيرة.

سأل ماكومبير:

- هل هورأس يستحق الجهد؟

قال ويلسون :

- إنه ممتاز. أطلق النار على ذلك النحو ولن تواجه أية متاعب.

- أنظرن بأننا سنجد جواميس غداً؟

- هناك فرصة طيبة لهذا. إنها تخرج للرعي في الصباح الباكر وقد نلحق بها في مكان مكشوف إن حالفنا الحظ.

قال ماكومبير:

- أود أن أزبل حادث الأسد ذلك . ليس مما يبهج النفس جداً أن تراك زوجتك تفعل شيئاً كذلك .

فكر ويلسون : لا بد أن يكون فعل ذلك أكثر إيلاًماً؟ بزوجة أو بلا زوجة ، أو الكلام عنه بعد انتهائك من فعله .

لكنه قال :

- ما كنت سأعود للتفكير بذلك . فأني انسان ينزعج من أسده الاول . لقد انتهى ذلك تماماً .

لكن ، في تلك الليلة بعد العشاء وبعد كأس ويسكي بالصودا أمام النار وقبل الايواء إلى السرير ، كان فرانسيس ماكومبير مستلقياً على سريره النقال والناموسية تنتصب فوقه وهو يصغي إلى ضجيج الليل ، لم يكن ذلك قد انتهى بعد ، لم يكن قد انتهى تماماً ولم يكن قد بدأ . كان هناك كما حدث تماماً وقد تأكدت بعض أجزائه على نحو لا يمكن محسوه كما كان يحس بالخزي منه على نحو بائس . لكنه كان يحس بخوف بارد خاو أكثر مما يحس بالخزي . كان الخوف لا يزال هناك كتجويف لزج بارد في الفراغ كله الذي كانت تستقر فيه ثقته بنفسه في وقت من الأوقات وأثار الغثيان في نفسه . فقد ظل معه حتى الآن .

لقد بدأ في الليلة السابقة حين استيقظ وسمع الأسد يزأر في مكان ما على إمتداد النهر . كان صوتاً عميقاً ينتهي بزمجرات ساعلة جعلته يظن بأنه كان خارج

الخيمة تماما، وحين استيقظ فرانسيس ماكومبير في الليل ليستمع اليه، كان خائفاً .
سمع زوجته تتنفس بهدوء وهي نائمة . لم يكن ثمة أحد ليخبره بأنه كان خائفاً أو
ليخاف معه، كما لم يكن يعرف، وهو سئلتقي وحيداً على سريره، المثل الصومالي
الذي يقول بأن الرجل الشجاع يخاف من الأسد ثلاث مرات دائماً حين يرى آثار
الأسد لأول مرة، وحين يسمعه يزأر لأول مرة وحين يواجهه لأول مرة . بعد ذلك،
وبينما كانوا يتناولون الافطار على ضوء الفانوس في خيمة الطعام قبل بزوغ
الشمس، زار الأسد مرة أخرى فظن فرانسيس بأنه كان عند طرف المخيم تماما .

قال روبرت ويلسون وهو يرفع نظره عن سمك السلمون والقهوة:

- صوته صوت عجوز متمرّس . استمع اليه وهو يسمع .

- هل هو قريب جداً؟

- حوالي الميل باتجاه أعلى الجدول .

- هل سنراه؟

- سنلقي عليه نظرة .

- هل يقطع صوته مثل هذه المسافة الطويلة؟ يبدو صوته كما لو كان في المخيم .

قال روبرت ويلسون:

- يقطع صوته مسافة طويلة جهنمية . من الغريب أن يقطع تلك المسافة كلها . أمل

أن يكون قطعاً يمكن صيده . فقد قال الأولاد بأن أسداً ضخماً يتجول قريباً من هنا .

سأل ماكومبير:

- إن أتحت لي فرصة إطلاق النار، أين يجب أن أصيبه حتى أوقفه؟

قال ويلسون:

- في الكتفين . في العنق إن إستطعت هذا . أطلق النار على عظامه . حطمه واطرحه
أرضاً .

قال ماكومبير:

- أمل أن أتمكن من وضعها في مكانها الصحيح .

قال له ويلسون:

- أنت رام ماهر جداً . تمهل . تأكد منه . أول طلقة تصيبه هي التي يعول عليها

- عن أي بُعد أطلق النار؟

- لا يمكن تحديد هذا . فلدى الأسد ما يقوله عن ذلك . لا نطلق إلا بعد أن يصبح

على قرب كافٍ حتى يمكنك التأكد من إصابته .

سأل ماكومبير:

- من أقل من مائة ياردة؟

ألقي ولسون عليه نظرة سريعة :

- مائة ياردة هي مسافة صحيحة الى حد ما . قد يكون عليك أن تطلق عليه من مسافة أقصر . لن تتاح لك فرصة إصابته من مسافة كتلك . ها هي المصاحب قادمة .
قالت :

- صباح الخير . هل سنطارد ذلك الأسد؟
قال ولسون :

- حالما تنهين إفطارك . كيف تشعرين؟
قالت :

- هائل ، أنا منفعة جداً .

١ - سأذهب لأتأكد من أن كل شيء جاهز .

ابتعد ولسون . وفيما هو يخرج ، زار الأسد مرة أخرى .
قال ولسون :

- متسول مزعج . سنضع حداً لذلك .
سألته زوجته :

- ما بك يا فرانسيس؟

قال ماكومبير :

- لاشي .

قالت :

- لا . هناك شيء . ما الذي يزعجك؟
قال :

- لاشيء .

نظرتُ إليه :

- قل لي . ألسنتُ بصحة جيدة؟
قال :

- إنه ذلك الزئير اللعين . لقد إستمر طيلة الليل ، كما تعرفين .
قالت :

- لِمَ لم توقظني؟ كنتُ أحببتُ أن أسمعهُ .

قال وهو يحس ببؤس :

- عليّ أن أقتل هذا الشيء اللعين .

- حسنا إذن ، وكما قال ويلسون : اقتله وأوقف زئيره .

قال فرانسيس ماكومبير :

- نعم يا حبيبتي . يبدو الأمر سهلاً ، أليس كذلك؟

- أنتَ لستَ خائفاً ، أليس كذلك؟

- طبعاً لا . لكنني عصبي من سماعي له يزأر طيلة الليل .

قالت :

- ستقتله على نحو رائع . أعرف بأنك ستقتله . أنا متلهفة الى أبعاد حد لرؤيته .

- أكملني إفطارك وسننطلق .

قالت :

- لم يطلع النور بعد . إنها ساعة سخيفة .

في تلك اللحظة تماماً ، زأر الأسد بأنين عميق صادر عن صدره ليتحول فجأة

الى صوت حلقي ثم الى رجفة متصاعدة بدت بأنها تهزّ الهواء وانتهى بتنهيدة

وزمجرة عميقة ثقيلة صادرة عن صدره .

قالت زوجة ماكومبير :

- يبدو كأنه هنا .

قال ماكومبير :

- يا إلهي ، إنني أكره ذلك الصوت اللعين .

- إنه مؤثر جداً .

- مؤثر . إنه مخيف .

عاد روبرت ويلسون حينذاك حاملاً بندقيته القصيرة القبيحة ذات الماسورة

بالغة الضخامة من نوع جيبير عيار ٥٠٥ ، وهو مقطّب الجبين .

قال :

- تعال . بندقيتك سبرنجفيلد والبندقية الضخمة مع حامل بنادقك . كل شيء في

السيارة . هل لديك طلقات؟

- نعم .

قالت السيدة ماكومبير :

- أنا مستعدة .

قال ويلسون :

- يجب أن نجبره على إيقاف هذا الضجيج . اجلس في المقدمة ، تستطيع

المصاحب الجلوس معي هنا في المقعد الخلفي .

صعدوا الى داخل السيارة، وانطلقوا الى اعلى النهر بين الاشجار في أوائل نور النهار. فتح ماكومبير أحمص بندقيته وتأكد من أن لديه رصاصات مكسوة بغلاف معدني ثم أغلق صاحب أقسام البندقية وثبت مسمار الأمان. رأى بأن يده ترتعش. تحسس داخل جيبه بحثاً عن خراطيش أخرى وحرك أصابعه فوق الخراطيش في عروات مقدمة سترته. التفت الى المكان الذي يجلس فيه ويلسون في المقعد الخلفي من السيارة الخالية من الأبواب وذات الهيكل الصندوقي الى جانب زوجته، وكلاهما مقطب الجبين بانفعال. ومال ويلسون الى الأمام وهمس:

- انظر الى الطيور وهي تهوي. هذا يعني بأن الولد العجوز قد ترك فريسته.
وعلى ضفة الجدول البعيدة، رأى ماكومبير الطيور الجارحة محلقة فوق الأشجار راسمة دوائر ومنقصة عمودياً الى الأسفل.
قال ويلسون هامساً:

- من المحتمل أن يمر من هنا ليشرب قبل أن يمضي لينام. إستمر بالمراقبة.
انطلقت بهم السيارة ببطء على امتداد ضفة الجدول العليا التي انحفرت هنا عميقاً لتصل الى قاع النهر المليء بالصخور، ثم داروا داخلين بين الأشجار المضخمة ثم خارجين منها والسيارة تنطلق بهم. كان ماكومبير يراقب الضفة المقابلة حين أحس بويلسون يمسك بذراعه. توقفت السيارة.
سمع الهمس:

- ها هو. أمامك والى اليمين. انزل وأجهز عليه. إنه أسد رائع.
رأى ماكومبير الأسد الآن. كان يتنادى يقف بالعرض، ورأسه الكبير يرتفع عالياً ويواجههم. كان نسيم الصباح الباكر الذي يهب نحوهم يحرك عرفه الأسمر، وبدأ الأسد ضخماً ملقياً بصورته الظلية على سفح الضفة في نور الصباح الرمادي وكشفاه ثقيلان، وجدعه ينتفخ بهدوء.

سأل ماكومبير وهو يرفع بندقيته:

- كم يبعد عنا؟

- حوالي خمس وسبعين ياردة. انزل. واجهز عليه.

- لِمَ لا أطلق من هنا؟

سمع ويلسون يهمس في أذنه:

- لا تطلق النار عليه من السيارة. إنزل. لن يبقى هناك طول النهار.

خطا ماكومبير خارجاً من فتحة بجانب المدد الأمامي المنحنية ثم هبط الى الدرجة ثم الى الأرض. ما زال الأسد ينظر بجذال وبرهبة نحو هذا الشيء الذي

ترأى لعينيه في صورة ظلّية فقط تظهر له متجمعة كخرتيت هائل . لم تصله رائحة إنسان وراقب الشيء ، محرّكاً رأسه الكبير قليلاً من جانب إلى آخر . وبينما هو يراقب هذا الشيء ، وهو غير خائف منه لكنه متردد قبل أن يهبط إلى الضفة ليشرب وذلك الشيء أمامه ، رأى شكل إنسان يفصل نفسه عن ذلك الشيء ، فأدار رأسه الثقيل وانقلبت متبعداً نحو غطاء الأشجار حين سمع ضجة قرقة وأحس بضربة حبة خردق بحجم ٣٠ ، ٠ - ٦٢٢٠ . من رصاصة صلبة تعض خاصرته وتمزقها لتغرس في جوفه في غثيان فجائي حار لاسع داخل معدته . خبّ ثقيلاً بقدمين ضخمتين مؤرجحاً معدة مليئة جريحة ، وسار بين الأشجار نحو العشب الطويل ثم المنحبا ، ووصلته القرقة ثانية لتمر به وتمزق الهواء إلى أشلاء . وقرقت مرة أخرى وأحس بالضربة وهي تضرب أضلعه السفلى وتمزق جسمه وتدخله ، وفيما كان دم فجائي حار ومزبد في فمه ، هرول نحو العشب العالي حيث يمكنه أن يربض ولا يُرى ويجبرهم على جلب الشيء المقرقع إلى مسافة قريبة على نحو كاف لكي يتدفع وينقض على الرجل الذي يمسك بذلك الشيء .

لم يفكر ماكومبير ، وهو يخرج من السيارة ، بما كان يحس به الأسد . لقد عرف فقط بأن يديه ترتجفان ، وعندما سار مبتعداً عن السيارة ، لم يكذب يستطيع أن يحرك رجليه . كانتا متيستين عند الفخذين ، لكنه أحس بالعضلات ترتجف . رفع البندقية وسدّد على المفصل بين رأس الأسد وكتفيه وضغط على الزناد . لم يحدث شيء ، مع أنه ضغط حتى أنه ظن بأن أصبعه سينقطع . ثم عرف بأنه كان قد ثبتت مسمار الأمان ، وفيما هو يخفض البندقية ليحرك مسمار الأمان خطاً خطوة متجمدة أخرى إلى الأمام ، فاستدار الأسد بعد أن رأى صورة ماكومبير الظلية واضحة ومنفصلة عن صورة السيارة الظلية ، وانطلق مبتعداً وهو يهرول ، وسمع ماكومبير صوت «وتك» الدال على أن الرصاصة أصابت هدفها بعد أن أطلقها ، لكن الأسد واصل الجري . أطلق ماكومبير النار مرة أخرى ورأى الكلب بأن الرصاصة تقذف بنافورة من الأوساخ وراء الأسد المهرول . أطلق الرصاص مرة أخرى متذكراً ضرورة خفض تصويبه ، وسمع الكلب الرصاصة وهي تصيب الهدف ، ثم هرول الأسد واختفى داخل العشب العالي قبل أن يدفع بساحب أقسام البندقية إلى الأمام .

وقف ماكومبير هناك شاعراً بغثيان في معدته ، ويداه اللتان تمسكان بندقية سبيرنجفيلد التي ما زالت معدة للاطلاق ترتجفان ، بينما زوجته وروبرت ويلسون يقفان بجانبه . ووقف إلى جانبه كذلك حاملاً البنادق يهدران بلغة واکامبا .

قال ماكومبير:

- أصبته . أصبته مرتين .

قال ويلسون بلا حماس :

- أصبت أمعاه وضربته في مكان في مقدمته .

بدا حاملا البنادق قاتمى الوجه جداً . كانا صامتين الآن .

تابع ويلسون قوله :

- ربما قتلته . لا بد أن ننتظر وهلة قبل أن ندخل للتأكد من هذا .

- ماذا تعني ؟

- ليضعف قبل أن نطارده .

قال ماكومبير :

- آه .

قال ويلسون بمرح :

- أسد لعين رائع . لكنه اختبأ في مكان سيء .

- لِمَ هوسىء ؟

- لن تراه إلا وأنت على رأسه .

قال ماكومبير :

- أوه .

قال ويلسون :

- تعال . تستطيع المصاحب البقاء في السيارة هنا . سنذهب لنلقي نظرة على آثار

الدماء .

قال ماكومبير لزوجته :

- إبقى هنا يا مارجوت .

كان فمه جافاً جداً وكان من الصعب عليه أن يتكلم . سألت :

- لماذا ؟

- ويلسون يقول هذا .

قال ويلسون :

- سنذهب لنلقي نظرة . إبقى هنا . تستطيعين رؤيته على نحو أفضل من هنا .

- حسناً .

تكلم ويلسون باللغة السواحلية الى السائق . أوما برأسه وقال : «نعم بوانا» .

ثم هبطوا منحدر الضفة وعبروا الجدول ، متسلقين الصخور ودائرين حولها الى الضفة الأخرى ، وتمسكين بجذور نائثة وبالضفة حتى وجدوا المكان الذي

كان الأسد يهرول فيه عندما أطلق عليه ماكومبير النار أول مرة . كانت هناك دماء داكنة على عشب قصير أشار إليها حاملاً البنادق بسيقان عشب كأنا يحملانها، كانت تلك الدماء تمتد مبتعدة خلف أشجار ضفة النهر.

سأل ماكومبير:

- ماذا سنفعل؟

قال ويلسون:

- ليس أمامنا كبير خيار . لا نستطيع إحضار السيارة الى هنا . فالضفة شديدة الانحدار . سندعه يتبيس قليلاً ثم ندخل أنا وأنت العشب ونلقي نظرة بحثاً عنه .

سأل ماكومبير:

- ألا نستطيع إشعال النار في العشب؟

- شديد الخضرة .

- ألا نستطيع إرسال مثيري الطرائد؟

نظر اليه ويلسون متفحصاً . قال:

- نستطيع هذا طبعاً، لكن في هذا لمسة إجرامية . أنت ترى بأننا نعرف بأن الأسد جريح . تستطيع أن تسوق أسداً غير جريح - سيتحرك الى الأمام عند إثارة ضجة - لكن أسداً جريحاً سينقض مهاجماً . ولن تستطيع رؤيته إلا حين تكون فوقه تماماً . فهو سيتمدد في مكان ضيق جداً لا يمكنك أن تتصور بأنه يتسع لإخفاء أرنب بري . لا يمكنك إرسال الأولاد الى هناك الى مثل هذا النوع من العرض . فلا بد أن يهرس أحدهم .

- ماذا عن حاملي البنادق؟

- اوه . سيذهبان معنا . إنه عملهما . أنت ترى معي بأنهما وقعا على هذا . ومع ذلك فهما لا يدوان سعيدين ، أليس كذلك؟

قال ماكومبير:

- لا أريد الدخول الى هناك .

خرجت الكلمات من فمه قبل أن يعرف بأنه قالها .

قال ويلسون بمرح شديد :

- ولا أنا . ليس أمامنا خيار .

- وبعد أن عمّل التفكير، ألقى نظرة سريعة على ماكومبير، فرأى فجأة كيف كان يرتجف كما رأى النظرة المثيرة للرتاء على وجهه .

قال:

- لست مجبراً على الدخول طبعاً . فذلك ما استؤجرت من أجله ، كما تعرف .
لذلك أنا غالي إلى هذا الحد .

- تعني بأنك ستدخل إلى هناك وحدك؟ لم لا تتركه هناك؟
شعر روبرت ويلسون ، الذي كان تفكيره مُركّزاً على الأسد والمشكلة التي
أثارها والذي لم يكن يرى ماكومبير إلا ليلاحظ بأنه ثرثار إلى حد ما ، شعر فجأة بأنه
فتح الباب الخطأ في فندق ورأى شيئاً مخجلاً .

- ما تعني؟

- لم لا تتركه؟

- تعني بأن نظاهر ، بيننا وبين أنفسنا ، بأن لم يصب؟

- لا . لنستطه فقط من حسابنا .

- لا يمكن فعل هذا .

- لِمَ لا؟

- لسبب واحد : من المؤكد من أنه سيعاني . ولسبب آخر : قد يقع عليه شخص
آخر .

- فهمت .

- لست مضطراً إلى أن تفعل شيئاً له .

قال ويلسون :

- سأكون أمامك حين ندخل ، وسيكون كونجوني في أثري . إبقِ وراثي منحرفاً قليلاً
إلى أحد الجانين . الفرص مواتية لأن نسمعه يزجر . إذا رأيناه فسنتلق الرصاص
معاً . لا نحش شيئاً . سأساندك . في الحقيقة ، ربما يحسن ألا تذهب وتنضم إلى
الممصاحب بينما أنهى أنا الأمر معه .

- لا . أريد أن أذهب معك .

قال ويلسون :

- حسناً . لكن ، لا تدخل إن كنت لا تريد . إنها مهمتي الآن ، كما تعرف .

قال ماكومبير :

- أريد أن أذهب .

جلسا تحت شجرة ودخنا .

سأل ويلسون :

- أتريد العودة إلى الممصاحب والتحدث إليها بينما ننتظرك؟

- لا .

- سأعود اليها وأطلب منها أن تصبر.

قال ماكومبير:

- حسناً.

جلس هناك، والعرق يتصبب بغزارة تحت إبطيه، وقد جفّ فمه وأحسّ بالخواء في معدته، متلهفًا لاستجماع شجاعته ليطلب من ولسون أن يذهب ويُهيئ الأسد بدونه. لم يكن يستطيع أن يعرف بأن ولسون كان غاضباً لأنه لم يلاحظ الحال التي كان عليها قبل أن يصل إلى هنا فيعيده إلى زوجته. وبينما هو جالس هنا، وصل ولسون.

قال:

- أحضرتُ بندقيتك الكبيرة. خذها. لقد منحناه ما يكفي من الوقت. لنذهب.

أخذ ماكومبير البندقية الكبيرة.

وقال ولسون:

- إبقِ ورائي وعلى بُعد حوالي خمس ياردات إلى اليمين ونفِّذ ما أقوله لك بالضبط.

ثم تكلم بالسواحلية لحاملي البنادق اللذين بدأوا صورة مجسدة للكآبة.

قال:

- لنذهب.

سأل ماكومبير:

- أيمكنني تناول جرعة ماء؟

تحدث ولسون إلى حامل البنادق الأكبر سناً والذي كان يحمل مطرة مثبتة على حزامه، فكَّها الرجل ونزع سدادتها وناولها إلى ماكومبير الذي أخذها وهو يحس بمدى ثقلها ومدى كثافة شعر وصوف غطاء اللباد بيده. رفعها ليشرب ونظر أمامه إلى الأعشاب العالية والأشجار منبسطة القمم والممتدة وراءها. هبَّ النسيم نحوهم وتموج العشب تموجاً لطيفاً في الريح. نظر إلى حامل البنادق ولاحظ بأن حامل البنادق كان يعاني أيضاً من الخوف.

تمدد الأسد الضخم على بُعد خمس وثلاثين ياردة بين الأعشاب مستلقياً على الأرض. كانت أذناه قد تراجعتا إلى الخلف بينما كانت حركته الوحيدة إهتزازاً طفيفاً لذيله الطويل المغطى بالشعر الأسود إلى الأعلى وإلى الأسفل. لقد أصبح في وضع حرج يضطره للدفاع عن نفسه بضرواة حال وصوله إلى مخبأه وهو يحسّ بالغثيان من ذلك الجرح في بطنه المليئة، وبالضعف المتزايد من الجرح في رثيه الذي كان يدفع زبداً أحمر رقيقاً إلى فمه في كل مرة كان يتنفس فيها. كانت

خاصرتاه مبلولتين وساختين وتجمّع الذباب على الفتحة الصغيرة التي خرقتها الرصاصات في جلده الأسمر المصفر، بينما نظرت عيناه الصفراوان الكبيرتان اللتان ضيقتهما البغض الى الأمام، وهما تطرفان فقط حين يحسّ بالألم عندما كان يتنفس، وكانت قد أنشب مخالبه في الأرض الطرية المحروقة. تجمّع كل الألم والغثيان والبغض وما بقي له من قوة في تركيز شديد للانقضاض. كان يسمع الرجال يتكلمون وانتظر، مستجمعاً كل نفسه في هذا التأهب للقيام بهجوم حالما يدخل الرجال العشب. حالما سمع أصواتهم، تصلّب ذيله منتفضاً الى الأعلى والى الأسفل، وأطلق زمجرة ساعلة حين دخلوا طرف العشب، ثم هاجم. ما كادوا يدخلون، كونجونني، حامل البنادق العجوز في المقدمة يراقب آثار الدماء، ويلسون يراقب العشب بحثاً عن أية حركة وبندقية جاهزة، وحامل البنادق الثاني ينظر الى الأمام ويصيخ السمع بينما ماكومبير قريب جداً من ويلسون وأصبعه على زناد بندقية، حتى سمع ماكومبير الزمجرة الساعلة التي تخنقها الدماء، ورأى الاندفاع الصافر في العشب. وكان آخر ما تذكره بعد ذلك هو أنه كان يجري، يجري بعنف في الأرض المكشوفة والفرع يسيطر عليه، يجري نحو الجدول.

سمع صوت: كا- را- وونج من بندقية ويلسون الكبيرة، ثم قرعة أخرى وخلال ثانية: كارا وونج! وبعد أن التفت، رأى الأسد رهيب المنظر الآن وقد بدا نصف رأسه منزوعاً وهو يزحف نحو ويلسون في طرف العشب العالي بينما الرجل أحمر الوجه يعالج ساحب أقسام البندقية القصيرة قبحة الشكل ويسدّد بدقة حينما انطلق صوت انفجار آخر: كارا وونج! من الفوهة، فتصلّب هيكل الأسد الزاحف الثقيل الأصفر وانزلق الرأس الضخم المبتور الى الأمام، وعرف ماكومبير، وهو يقف وحيداً في الأرض الفضاء حيث فرّ هارباً وهو يحمل بندقية محشوة، بينما رجلان أسودان ورجل أبيض يلتفتون نحوه ناظرين اليه باحتقار، عرف بأن الأسد قد مات. إقترب من ويلسون وقد بدا طوله كله تويخاً صريحاً. نظر اليه ويلسون وقال:

- أتريد أخذ صوراً؟

قال:

- لا.

ذلك كان كل ما يُنطق به أي منهما من كلمات الى أن وصلا الى السيارة. ثم

قال ويلسون:

- أسد جهنمي رائع. سيسلخ الأولاد جلده. يمكننا أن نبقى هنا في الظل.
لم تنظر اليه كما لم ينظر اليها بل جلس الى جانبها في المقعد الخلفي بينما

جلس ويلسون في المقعد الأمامي . وحين مَدَّ يده ذات مرة واخذ يدها ، دون أن ينظر إليها ، سحبت يدها من يده . وبعد أن نظر عبر الجدول حيث كان حاملاً البنادق يسليخان جلد الأسد ، تأكد من أنها رأت كل شيء . وبينما كانا يجلسان في الخلف هناك ، تقدّمت زوجته الى الأمام ووضعت يدها على كتف ويلسون . التفت الى الخلف فمالت هي الى الأمام فوق المقعد المنخفض وقبلته على فمه .
قال ويلسون :

- آه . . انني -

غدا وجهه أكثر إحمراراً من لونه الطبيعي المحروق .

قالت :

- يا سيد روبرت ويلسون . يا سيد روبرت ويلسون ذا الوجه الأحمر الجميل .
ثم عادت الى جانب ماكومبير مرة أخرى ونظرت بعيداً عبر الجدول الى حيث سقط الأسد وقائمته الأماميتان العاريتان بيضاويتا العضلات واضحتا العروق مرفوعتان الى أعلى وبطنه الأبيض منتفخ بعد أن نزع الرجلان الأسودان جلده عنه .
وأخيراً ، أحضر حاملاً البنادق جلده مبللاً وثقيلاً وصعدا الى السيارة من الخلف وهما يحملان ذلك الجلد بعد أن طوياه قبل إدخاله في السيارة ثم انطلقت السيارة . لم يقل أحد شيئاً آخر الى أن عادوا الى المخيم .

تلك كانت قصة الأسد . لم يكن ماكومبير يعرف شعور الأسد قبل بدء إندفاعه ، ولا حينما صدمته في فمه الضربة العنيفة من عيار ٥٠٥ ، ٠ بسرعة فوهة البندقية التي تصل الى طنين اثنين ، كما لم يعرف ما الذي جعله يواصل الاندفاع بعد أن حطمت الصدمة الممزقة الثانية ربيعة الخلفيين وظلّ يتقدم زاحفاً نحو الشيء المحطم المفجر الذي دمّره . عرف ويلسون شيئاً عن ذلك وعبر عنه بقوله فقط : « أسد رائع لعين » ، لكن ماكومبير لم يكن يعرف ما كات يحس به ويلسون إزاء الأشياء . ولم يكن يعرف ما كانت تحس به زوجته سوى انها قطعت علاقتها به .

لقد قطعت زوجته علاقتها به في السابق ، لكن هذا لم يستمر . كان ثرياً جداً وسيصبح أكثر ثراءً وكان يعرف بأنها لن تتركه أبداً . كان ذلك أحد الامور القليلة التي يعرفها حقاً . كان يعرف عن ذلك وعن الدراجات النارية - وذلك في وقت سابق - وعن السيارات وعن صيد البط وصيد السمك : الطروته والسلمون والمخلوقات البحرية الكبيرة وعن الجنس في الكتب ، في كثير من الكتب ، في كتب كثيرة جداً ، وعن ألعاب كرة المضرب والسلة والطائرة وعن الكلاب والقليل عن التمسك بماله وعن أغلب الأمور التي يتناولها عالمه ، وعن عدم هجران زوجته له . لقد كانت

زوجته ذات جمال باهر ولا تزال باهرة الجمال في افرىصيا، لكنها لم تعد على درجة كافية من الجمال في الوطن حتى يمكنها أن تتركه وتحسن وضعها وكانت تعرف هذا وكان هو يعرف هذا. لقد أضاعت فرصة هجره، وكان يعرف هذا. لو كان في وضع أفضل مع النساء فلربما كانت قد بدأت تقلق عليه خشية أن يتخذ زوجة جديدة، زوجة جميلة، لكنها كانت تعرف الكثير جداً عنه حتى أنها لن تقلق عليه أيضاً. كما كان يتمتع دائماً بتسامح كبير، وكان ذلك يبدو أفضل ما يتعلق به إن لم يكن أحبها. وعلى وجه الإجمال، فقد عُرف عنهما بأنهما يمثلان زوجة سعيدة نسبياً، واحدة من الزيجات التي كثيراً ما تنتشر إشاعة انفصالها لكنها لا تتحقق أبداً، فقد كانا يضيفان، كما ذكر أحد كتاب أعمدة الصحف في قسم أخبار المجتمع، أكثر من بهارات مغامرات على حياتهما الرومانسية طويلة الأمد والمحسودين عليها وذلك بالقيام برحلات خلال ما هو معروف بأكثر بقع أفريقيا ظلاماً الى أن أنارتها شركة ماريتين جونسون على كثير من الشاشات الفضية، حيث كانا يطاردان الأسد سيمبا العجوز والـ «بافالو» والفيل تيمبو إضافة الى تجميعهم العينات لمتحف التاريخ الطبيعي. وقد كتب نفس كاتب العمود الصحفي بأنهما وصلا «الى الحافة» ثلاث مرات على الأقل في الماضي وكان ذلك ما حدث فعلاً. لكنهما كانا يسويان الأمر دائماً. فقد كان اتحادهما قائماً على أساسا سليم. لقد كانت مارجوت أجمل من أن يطلقها ماكومبير كما كان ما لدى ماكومبير من مال أكثر مما يمكنها أن تتعداه لتهجر ماكومبير.

كانت الساعة الآن حوالي الثالثة صباحاً حين استيقظ ماكومبير الذي نام لبرهة وجيزة بعد أن كان قد كَفَّ عن التفكير بالأسد، ثم نام مرة أخرى واستيقظ فجأة مرتعباً من حلم رأى فيه الأسد دامي الرأس يقف فوقه، فعرف، وهو يصغي وقلبه يخفق بشدة، بأن زوجته لم تكن في السرير النقال الآخر في الخيمة. فتمدد مستيقظاً مدة ساعتين وتلك الحقيقة تدور في ذهنه.

في نهاية ذلك الوقت، دخلت زوجته الخيمة ورفعت ناموسيتها ثم زحفت لتندس في السرير بهدوء.

سأل ماكومبير في الظلام:

- أين كنتِ؟

قالت:

- مرحباً. أنت مستيقظ؟

- أين كنتِ؟

- خرجتُ قبل لحظة لأتَنَسَمَ نسمة هواء .
- تَنَسَّمته كالجحيم .
- ماذا تريدني أن أقول يا حبيبي ؟ .
- أين كنتِ؟ .
- في الخارج لأتَنَسَمَ نسمة هواء .
- هذا اسم جديد له . أنتِ عاهرة .
- حسناً . أنتِ جبان .

قال :

- حسناً . ما شأن هذا؟ .
 - لا شيء ، قدر ما يتعلق بي . لكن ، أرجوك : لنكفَّ عن الكلام يا حبيبي لأنني نعسانة جداً .
 - تظنين بأنني سأقبل أي شيء .
 - أعرف بأنك ستقبله يا جميلتي .
 - حسناً ، لن أقبله .
 - من فضلك يا حبيبي ، لنكفَّ عن الكلام . أنا نعسة جداً .
 - لن يحدث أي شيء من ذلك ، لقد وعدتِ ألا يحدث .
- قالت بعدوية :
- حسناً ، لقد حدث الآن .
 - قلتِ بأننا إن قمنا بهذه الرحلة فلن يحدث شيء من ذلك . لقد وعدتيني .
 - نعم يا حبيبي . تلك هي الطريقة التي عنيتُ أن تسير حسبها الأمور . لكن الرحلة فسدتُ أمس . يجب ألا نتكلم عنها ، أليس كذلك؟ .
 - انكِ لا تبتظرين طويلاً حين تسنح لك فرصة ، أليس كذلك؟ .
 - من فضلك ، لنسكت . أنا نعسة جداً يا حبيبي .
 - سأتكلم .
 - لا تشغل بالك بي إذن ، لأنني سأنام .

ونامت .

أثناء الافطار، جلس ثلاثهم حول الطاولة قبل انبلاج نور النهار واكتشف فرانسيس ماكومبير بأنه يكره، من بين الكثير من الناس الذين يكرههم، روبرت ويلسون أكثر من غيره .

سأل ويلسون بصوته الحلقي وهو يحشو غليونه :

- نمتَ جيداً؟ .
- وأنتَ؟ .
- قال له الصياد الأبيض :
- نوماً عميقاً .
- فكر ماكومبير: يا ابن الحرام يا ابن الحرام الوقح .
- وفكر ويلسون وهو ينظر إليهما بعينه المنطفئتين والباردتين : إذن، فقد أيقظته عندما عادتُ إلى الخيمة . حسناً، لِمَ لا يُبقي زوجته في مكانها؟ ماذا يظنني : قديساً متحجراً دموياً؟ ليبقها في مكانها . إنها غلظته هو .
- سألت مارجوت وهي تدفع طبقاً من المشمش بعيداً :
- اتعتقد بأننا سنعثر على «بافالو»؟ .
- قال ويلسون :
- هناك فرصة . لِمَ لا تبقيين في المخيم؟ .
- قالتُ له :
- لن أبقى مقابل أي شيء .
- قال ويلسون لماكومبير :
- لِمَ لا تأمرها بالبقاء في المخيم؟ .
- قال ماكومبير ببرود :
- مُرها أنت .
- قالت مارجوت بسرور عظيم :
- لنكفّ عن إصدار أية أوامر .
- والنفتتُ إلى ماكومبير :
- وأية سخافة أخرى يا فرانسيس؟ .
- سأل ماكومبير :
- هل أنتَ مستعد للانطلاق؟ .
- قال له ويلسون :
- في أي وقت . هل تريد أن تذهب المصاحب؟ .
- هل سيشكل أي فرق إن قلتُ لا أو نعم؟ .
- فكر ويلسون : إلى الجحيم . إلى الجحيم وبئس المصير . هكذا ستسير الأمور إذن؟ حسناً . على هذا النحو ستسير الأمور .
- قال :

- لن يشكل فرقاً .

سأل ماكومبير:

- أنت متأكد من أنك لا تريد البقاء في المخيم معها وأخرج أنا لاصطاد الـ «بافالو» وحدي؟ .

قال ويلسون:

- لا تستطيع ذلك . ما كنتُ تكلمتُ عفناً لو كنتُ في مكانك .

- أنا لا أتكلم عفناً . أنا قرفان .

- كلمة سيئة : قرفان هذه .

قالت زوجته:

- فرانسيس ، هل تسمح وتتكلم كلاماً معقولاً .

قال ماكومبير:

- أنا أتكلم كلاماً معقولاً لعيناً . هل سبق وتناولت طعاماً قذراً كهذا؟ .

سأل ويلسون بهدوء:

- خطأ في الطعام؟ .

- ليس أكثر خطأ من كل شيء آخر .

قال ويلسون بهدوء كبير:

- كنتُ سأجعلك تماسك أيها الخنفسة . فالصبي الذي يقوم على خدمة المائدة

يفهم قليلاً من اللغة الانجليزية .

- إلى الجحيم به .

نهض ويلسون واقفاً ، نافثاً دخان غليونه وسار الهويني مبتعداً ، مردداً بضع

كلمات بالسواحلية لأحد حاملي البنادق الذي كان واقفاً ينتظره . ظل ماكومبير

وزوجته جالسين إلى الطاولة . كان يحدث في فنجان قهوته .

قالت مارجوت بهدوء:

- إن أثرت فضيحة سأتركك يا حبيبي .

- لا . لن تتركيني .

- يمكنك أن تحاول وترى .

- لن تتركيني .

قالت:

- لا . لن أتركك ولكنك ستأدب .

- أتأدب؟ تلك طريقة كلام؟ أنا أتأدب!؟ .

- نعم ، تأدب .
- لِمَ لا تحاولي أنتِ أن تتأدبي؟ .
- لقد حاولتُ هذا منذ مدة طويلة جداً . مدة طويلة جداً .
- قال ماكومبير:
- أكره الخنزير أحمر الوجه ذلك . أمقتُ رؤيته .
- إنه لطيف جداً حقاً .
- قال ماكومبير وهو يكاد يصرخ:
- أوه ، إخرسي .
- وفي تلك اللحظة ، قدمت السيارة ووقفت أمام خيمة الطعام ونزل منها السائق وحاملا البنادق . تقدّم ويلسون ونظر إلى الزوج والزوجة الجالسين إلى الطاولة .
- سأل:
- ستذهب للصيد؟ .
- قال ماكومبير وهو ينهض واقفاً:
- نعم . نعم .
- قال ويلسون:
- يحسن أن تحضري سترة صوفية . سيكون داخل السيارة بارداً .
- قالت مارجوت:
- سأحضر جاكيتي الجلدية .
- قال لها ويلسون:
- إنها مع الولد .
- ركب في المقدمة مع السائق وجلس فرانسيس ماكومبير وزوجته ، دون أن يتكلما ، على المقعد الخلفي .
- فكر ويلسون محدثاً نفسه : أمل ألا يفكر الحقيير بتفجير قفا رأسي . النساء مصدر إزعاج في رحلات الصيد .
- كانت السيارة تصرّ وهي تهبط قاطعةً النهر على مخاضة مليئة بالحصى في نور النهار الرمادي ثم تسلقت صاعدة الضفة المنحدرة إلى حيث كان ويلسون قد أمر في اليوم السابق بتمهيد طريق حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى الأرض الوعرة المكسوة بالأشجار الشبيهة بمنتزه في الجانب البعيد .
- فكر ويلسون : صباح جميل . وكان ندى كثيف قد تجمّع ، فشم رائحة السرخس المسحوق بينما كانت العجلات تشق طريقها بين العشب والشجيرات

الصغيرة . وكانت تنبعث رائحة كرائحة نبات رعي الغنم فأحب رائحة ندى الصباح الباكر هذا السرخس المسحوق ومنظر جذوع الأشجار التي بدت سوداء من خلال ضباب الصباح الباكر، فيما كانت السيارة تشق طريقها خلال الأرض غير المطروقة والشبيهة بالمنتزه . كان قد وضع الاثنتين في المقعد الخلفي وطردهما من ذهنه الآن وأخذ يفكر بجواميس البافالو . كانت الجواميس التي يطاردها تقيم في مستنقع كثيف في النهار مما كان من المستحيل اصطيادها . لكنها، كانت في الليل ترعى في فسحة مكشوفة من الأرض، فإن تمكن من أن يصل بالسيارة إلى مكان بينها وبين مستنقعها، فستكون أمام ماكومبير فرصة جيدة لمهاجمتها في الأرض المكشوفة، ولم يكن يريد أن يصطاد الجواميس مع ماكومبير في غابة كثيفة . لم يكن يريد اصطياد جواميس بافالو ولا أي شيء آخر مع ماكومبير أبداً، لكنه كان صياداً محترفاً وقد سبق له أن اصطاد مع أشخاص غربيي الأطوار اثناء حياته . فإذا اصطادوا جاموس بافالو اليوم فلن يبقى عليه سوى خرتيت ليصطاده ويكون الرجل المسكين قد أنهى لعبته الخطيرة، وقد تعود المياه إلى مجاريها بعد ذلك . لن يكون أمامه من شيء آخر يفعله مع المرأة وسيجتاز ماكومبير ذلك أيضاً . لا بد أنه مرّ بالكثير من تلك التجارب من قبل كما يظهر من طبيعة الأشياء . المتسول المسكين : لا بد أن يجد طريقة ما لاجتياز هذا . حسناً، كانت تلك غلطة الغر المسكين الدموية .

كان هو، روبرت ويلسون، ينقل معه سريراً نقالاً مزدوجاً ليقدّم مكاناً عليه لمن ترمي بها الريح . لقد اصطاد لزبائن معينين، مجموعة عالمية رياضية منغمسين بالملذات حيث لم تكن النساء يشعرن بأنهن حصلن على ما يعادل قيمة ما يدفعنه من مال إلا إذا شاركن الصياد الأبيض السرير النقال . كان يحتقرهن حين يكون بعيداً عنهن بالرغم من أنه أحب بعضهن إلى حد كاف حينذاك، لكنه كان يكسب رزقه من ورائهن كما كان مستواهن هو نفس مستواه طيلة مدة استئجارهن له .

كن في مستواه في كل شيء باستثناء إطلاق النار . فله مستواه الخاص فيما يتعلق بالقتل وكان يمكنهن الوصول إلى هذه المستويات أو استئجار شخص آخر ليصطادهن . عرف أيضاً بأن الجميع احتراموه لهذا . لكن، ماكومبير هذا كان رجلاً غريب الأطوار . اللعنة إن لم يكن كذلك . والآن الزوجة . حسناً، الزوجة . نعم، الزوجة . همم الزوجة . حسناً، لقد أسقط كل ذلك . جال بنظره حوله . كان ماكومبير يجلس مقطباً وعنيف الغضب . بينما ابتسمت مارجوت له . بدت أصفر سناً الآن، أكثر براءة وأنضر وليست جميلة جداً محترفاً . فكر ويلسون : ماذا في قلبها، الله يعلم . لم تتكلم كثيراً الليلة الماضية . علاوة على ذلك، فقد كان من دواعي

السرور رؤيتها .

صعدت السيارة مرتفعاً طفيفاً وتابعت السير عبر الأشجار ثم خلال أرض عشبية مكشوفة شبيهة بالبراري ، وحافظ على سيرها في ظل الأشجار على طول الحافة ، بينما السائق يقودها ببطء ويلسون ينظر بتمعن عبر البراري وإلى طول الجانب البعيد منها . أوقف السيارة ودرس الأرض المكشوفة بمنظار الميدان . ثم أشار إلى السائق أن يتابع ، فتحركت السيارة ببطء إلى الأمام والسائق يتجنب حفيرات الخنازير الأفريقية ويقود السيارة حول قلاع الطين التي بناها النمل . ثم التفت ويلسون فجأة ، وهو ينظر عبر الأرض المكشوفة ، ثم قال :

- يا إلهي . ها هي .

ورأى ماكومبير بعد أن نظر إلى حيث أشار وبينما السيارة كانت تقفز إلى الأمام ويلسون يتكلم بسرعة باللغة السواحلية إلى السائق ، رأى ثلاثة حيوانات ضخمة سوداء تكاد تبدو واسطوانية الشكل بثقلها الطويل ، كسيارات صهريج سوداء كبيرة ، تسير مهرولة عبر طرف البراري المكشوفة البعيد . كانت تجري بهرولة متصلة الرقبة ومتصلة الجسم ، وكان بوسعه أن يرى قرونها المتشعبة إلى أعلى والعريضة السوداء على رؤوسها وهي تهول ورؤوسها مندفعة إلى الأمام ، ورؤوسها* لا تتحرك .

قال ويلسون :

- إنها ثلاثة ثيران هرمة ، سنقطع عليها الطريق قبل أن تصل إلى المستنقع .

كانت السيارة تسير بسرعة جنونية خمسة وأربعين ميلاً في الساعة عبر الأرض المكشوفة ، وبينما كان ماكومبير ينظر ، إزداد حجم الثيران أكثر فأكثر إلى أن أصبح بوسعه أن يرى هيئة ثور ضخم رمادي خال من الشعر أجرب ، وأن يرى كيف كانت رقبتة جزءاً من كتفه ويرى سواد قرنيه اللامع وهو يهول على مسافة قصيرة خلف الحيوانات الأخرى البائرة على خط قافلة بتلك المشية المندفعة المطردة ، فاقربوا منها حينذاك والسيارة تتمايل كأنها تقفز عن الطريق فأصبح بوسعه رؤية ضخامة الثور المندفعة وقد غطى الغبار شعر فروة جلده ومقدمة القرن العريضة وخطمه الممدود عريض المنخرين ، وكان ماكومبير يرفع بندقيته حين صاح ويلسون :

- ليس من السيارة يا أبله .

ولم يحس بأي خوف ، بل أحس بالكراهية نحو ويلسون فقط ، وحين أطلبت المكابح انزلت السيارة جانباً ، حارثة أثلاماً جانبية إلى حد التوقف تقريباً ، وكان ويلسون قد نزل من السيارة من أحد الجانبين ونزل ماكومبير من الجانب الآخر ،

* التكرار مقصود من المؤلف . (المترجم) .

متعثراً حينما بست قدماه الأرض التي كانت ما تزال تنسحب بشيء من السرعة، ثم راح يطلق النار على الثور وهو يتحرك مبتعداً، سامعاً أزيز الطلقات في أذنيه، مفرغاً البندقية منه وهو يتعد بأطراد، وأخيراً وبعد أن تذكر أن يوصل طلقاته إلى الكتف، وبينما كان يحاول بارتباك إعادة حشوبندقيته، رأى الثور يقبع. وبينما كان ماكومبير على ركبتيه، ورأسه الكبير يتمايل، ويرى الآخرين لا يزالان يهرولان، أطلق النار على القائد وأصابه، أطلق النار مرة أخرى وخطأ، وسمع قرعقة: كارا وونج تهد حين أطلق ويلسون النار ورأى الثور القائد ينزلق إلى الأمام ويقع على أنفه.

قال ويلسون:

- اضرب الآخر. والآن، أنت الذي سيطلق.

. لكن الثور الآخر استمر بالجري باطراد بنفس الهرولة، فخطأه، قاذفاً بنثار من الأوساخ، وخطأ ويلسون كذلك الهدف فارتفع الغبار في سحابة، فصاح ويلسون:

- هيا. إنه أبعد مما يمكن أصابته.

وأمسك بذراعه ورجعا إلى داخل السيارة مرة أخرى، وقد تعلق ماكومبير وويلسون بجانب السيارة وهي تنطلق كضاروخ مهتزة على الأرض غير المستوية، ثم سارت بمحاذاة هرولة الثور المطرد المندفع ثقيل العنق والسائر بخط مستقيم.

كانا خلفه، وكان ماكومبير يحشوبندقيته، مسقطاً الخراطيش على الأرض راميةً إياها ثم مخففاً من إزدحامها، وعند ذلك، كادا أن يلحقا بالثور فصاح ويلسون:

- قف.

فانزلقت السيارة جانباً حتى كادت تنقلب وسقط ماكومبير إلى الأمام واقفاً على قدميه، وسحب صاحب الأقسام إلى الأمام وأطلق النار إلى الأمام إلى أبعد مسافة أمكنه إطلاق النار منها إلى الظهر المهرول المدور الأسود، وسدد ثم أطلق النار مرة أخرى والرصاصات كلها تصيبه لكنها لم تكن مؤثرة أي تأثير واضح على الثور حسبما رأى ذلك. ثم أطلق ويلسون النار فاصمّ الدوي سمعه، ورأى الثور يترنج. أطلق ماكومبير النار ثانية، مصوباً بدقة، فسقط الثور، سقط على ركبتيه.

قال ويلسون:

- حسناً. عمل رائع. ها هي الثلاثة.

أحسن ماكومبير بنشوة سكران. سأل:

- كم مرة أطلقت أنت النار؟

قال ويلسون:

- ثلاث فقط . لقد قتلت أنت الثور الأول . أضخمهم . وقد ساعدتك على الاجهاز على الاثنين الآخرين . كنت أخشى أن يصلا إلى مخبأ . لقد قتلتهما أنت . وكنت أنهي القليل فقط . لقد أطلقت النار بمهارة لعينة .

قال ماكومبير:

- لنذهب إلى السيارة . أريد شراباً .

قال ويلسون:

- لا بد أن ننهي ذلك البافالو أولاً .

كان البافالو على ركبته ويهز رأسه بعنف ويخور بهياج خنزير حينما اقتربنا منه .

قال ويلسون:

- راقبه حتى لا ينهض .

ثم قال:

- ابتعد قليلاً إلى الجانب وأطلق النار عليه في رقبة خلف الأذن تماماً .

صوب ماكومبير بدقة إلى مركز الرقبة الضخمة المهترئة التي يحركها الهياج ثم أطلق النار . فسقط الرأس إلى الأمام مع الضربة .

قال ويلسون:

- ذلك ينهيه . أصابت العمود الفقري . لها مظهر جهنمي ، أليس كذلك؟ .

قال ماكومبير:

- لتتناول الشراب .

لم يحس بمثل هذا الاحساس الرائع طيلة حياته .

في السيارة ، كانت زوجة ماكومبير شاحبة جداً .

قالت لماكومبير:

- كنت رائعاً يا حبيبي . يا لها من رحلة .

سأل ويلسون:

- هل كانت رحلة شاقة؟ .

- كانت مخيفة . لم أخف أكثر مما خفت حينذاك طيلة حياتي .

قال ماكومبير:

- لنشرب شراباً .

قال ويلسون:

- لِمَ لا ، أعطه إلى المصاحب .

شربت الويسكي الصافي من القارورة فأرتعشت قليلاً حينما ابتلعتة .
ناولت القارورة لماكومبير الذي ناولها لويلسون .

قالت :

- كان مثيراً على نحو مخيف . أصابني بصداع رهيب . لكنني لم أكن أعرف بأن
من المسموح لكما إطلاق النار من السيارة .

قال ويلسون بيروود :

- لم يُطلق أحد النار من السيارة .

- أعني مطاردتها بالسيارة .

قال ويلسون :

- لا يحصل هذا عادة . وقد بدا لي رياضياً تماماً بينما كنا نقوم به بهذه الطريقة .
فقد متاح فرص أكثر بالمطاردة بالسيارة بتلك الطريقة عبر سهل مليء بالحفروشيء أو
آخر هنا وهناك من المطاردة على الأقدام . وقد كان البافالو قادراً على مهاجمتنا في
كل مرة أطلقنا عليه النار إن شاء ذلك . لقد منحناه كل فرصة . لكنك لن تذكرني هذا
لأي إنسان . فهذا عمل غير قانوني إن كان ذلك ما تعنيه .

قالت مارجوت :

- بدا لي بأنه ظلم ، مطاردة تلك الأشياء الضخمة العاجزة بالسيارة .

قال ويلسون :

- هل الأمر كذلك؟

- ماذا سيحدث إذا سمعوا عن هذا في نيروبي؟

قال ويلسون وهو يتناول جرعة من القارورة :

- سأفقد رخصتي من جهة . والمزعجات الأخرى هي فصلي من العمل .

- حقاً؟

- نعم ، هذا صحيح .

قال ماكومبير :

- حسناً .

وابتسم لأول مرة في هذا اليوم .

- لديها الآن شيء ضدك .

قالت مارجوت ماكومبير :

- لك طريقة تافهة في التعبير عن الأشياء يا فرانسيس .

نظر ويلسون إليهما كليهما ، كان يفكر : إذا تزوج قواد من امرأة عاهرة ماذا

سيكون أطفالهما*؟ لكن ما قاله كان :

- لقد خسرتنا حامل بندق . ألاحظتَ هذا؟ .

قال ماكومبير :

- يا إلهي . لا .

قال ويلسون :

- ها هو قادم . إنه بخير . لا بد أنه تخلف عنا حين تركنا الثور الأول . كان الذي يقترب منهم هو حامل البنادق متوسط العمر ، وكان يعرج وهو معتمر بقبعته المحبوكة ومرتبدياً سترته الخاكي وسرواله القصير ومتعللاً صندله المطاطي ، وكان وجهه متجهماً مقرف المظهر . حالما وصل إليهم ، صاح لويلسون باللغة السواحلية ، فرأيا التغير الذي طرأ على وجه الصياد الأبيض .

سألت مارجوت :

- ما الذي يقوله؟ .

قال ويلسون وصوته خال من أي تعبير :

- يقول بأن الثور الأول قد نهض ودخل الأجمة .

قال ماكومبير بخواء :

- آه .

قالت مارجوت متحفزة :

- إذن ، سيكون كالأسد تماماً .

قال ويلسون :

- لن يكون كالأسد قط . أتريد جرعة أخرى يا ماكومبير؟ .

قال ماكومبير :

- نعم ، شكراً .

توقع أن يعاوده الاحساس الذي تملكه تجاه الأسد ، لكنه لم يحدث . فلأول مرة في حياته ، شعر شعوراً حقيقياً بأنه لا يحس بالخوف أبداً . وبدلاً من ذلك ، أحس بزهو تام .

قال ويلسون :

- سنذهب ونلقي نظرة على الثور الثاني . سأطلب من السائق أن يضع السيارة في الظل .

* في الأصل : إذا تزوج رجل من أربعة حروف من امرأة من خمسة حروف ، فكم سيكون عدد حروف أطفالهما؟ .

سألت مارجوت ماكومبير:

- ماذا ستفعلان؟ .

قال ويلسون:

- سنلقي نظرة على الثور.

- سآتي .

- تعالي .

تقدم ثلاثتهم إلى حيث كان البافالو الثاني منطرحاً ككتلة سوداء في الأرض المكشوفة ورأسه يميل إلى الأمام على العشب وقد انفتح قرناه على سعتهما .

قال ويلسون:

- له رأس رائع جداً . حوالي الخمسين بوصة عرضاً .

كان ماكومبير ينظر إليه وقد غمرته البهجة .

قالت مارجوت:

- منظره كرهه . ألا نستطيع الذهاب إلى الظل .

قال ويلسون:

- طبعاً .

ثم قال لماكومبير وهو يشير:

- أنظر . أترى تلك البقعة من الأجمة؟ .

- نعم .

- ذلك هو المكان الذي ذهب إليه الثور الأول . قال حامل البنادق بأن الثور كان منطرحاً على الأرض حين سقط هو نفسه على الأرض . كان يراقبنا ونحن نندفع إلى الأمام كالجحيم بينما كان الجاموسان الآخران يهرولان . وعندما رفع نظره إلى أعلى كان الثور يقف فوقه وينظر إليه . جرى حامل البنادق كالجحيم بينما سار الثور مبتعداً ببطء إلى داخل الأجمة .

سأل ماكومبير بلهفة:

- أنستطيع أن ندخل وراءه الآن؟ .

نظر إليه ويلسون مقيماً . فكر: ملعون أنا إن لم يكن هذا غريباً . بالأمس كان خائفاً إلى حد الغثيان واليوم يصبح بالغ نار متورد الوجه .

- لا ، سنعطيه مهلة .

قالت مارجوت:

- لنذهب إلى الظل من فضلكما .

كان وجهها أبيض وبدت مريضه .

ساروا إلى السيارة حيث كانت تقف تحت شجرة وحيدة وارفة الظلال ،
وصعدوا إليها كلهم .

علّق ويلسون :

- هناك احتمال في أن يكون هناك . بعد وهلة ، سنلقي نظرة .

شعر ماكومبير بسعادة عنيفة غير معقولة لم يعرف مثلها من قبل .

قال :

- يا إلهي ، تلك مطاردة . لم أحسّ بهذا الاحساس من قبل . ألم تكن مدهشة يا
مارجوت؟ .

- كرهتها . .

- لماذا؟ .

قالت بمرارة :

- كرهتها . مقتها .

قال ماكومبير لويلسون :

- أتعرف ، لا أظن بأنني سأخاف من أي شيء بعد الآن . لقد حدث شيء فيّ بعد
أن رأينا البافالو لأول مرة وبدأنا نظارده . مثل سد ينفجر . كانت إثارة خالصة .

قال ويلسون :

- تنظف كبدك . تصيب الناس أشياء غريبة لعينة .

كان وجه ماكومبير متألّفاً .

قال :

- أتعرف ، لقد حدث لي شيء ، إنني أحسّ بأنني مختلف تماماً .

لم تقل زوجته شيئاً وحدجته بعينها بنظرة غريبة . كانت تجلس وهي تميل
إلى أقصى مكان في مؤخرة المقعد بينما كان ماكومبير يميل إلى الأمام متحدثاً إلى
ويلسون الذي كان يلتفت جانباً ليتكلم من فوق ظهر المقعد الأمامي .

قال ماكومبير :

- أتعرف؟ أود أن أجرب أسداً آخر . أنا لستُ خائفاً من الأسد الآن حقاً . وعلى
كل ، ماذا سيفعل بك؟ . .

قال ويلسون :

- هذا صحيح . أسوأ ما يستطيع أحدها أن يفعله هو أن يقتلك . ما هو القول؟
شكبير . رائع لعين . لأرى إن كنت أستطيع أن أتذكر . أوه ، جيد لعين . اعتدتُ

الاستشهاد به لنفسي بين وقت وآخر. لِنَرَ: «في الحقيقة، إنني لا أبالي، فالإنسان يموت مرة واحدة فقط، ونحن مدينون لله بمئة واحدة، فلنأتنا بأية طريقة تشاءها، فمن يموت هذه السنة، سينجو في السنة التالية» كلام جميل لعين، إيه؟
كان مرتبكاً جداً لذكر هذا الشيء الذي عاش به، لكنه كان قد رأى رجالاً يبلغون سن الرشد من قبل فكان هذا يحرك مشاعره دائماً. ولم يكن أمراً مرتبطاً بعيد ميلادهم الحادي والعشرين.

وكانت قد أوصلت ماكومبير إلى ذلك السن فرصة صيد غريبة وانغماس فجائي في عمل لم يُتَح له فرصة قلق مسبقة، لكن ذلك تحقق يقيناً بغض النظر عن كيفية تحقيقه. فكر ويلسون: أنظر إلى هذا المتسول الآن. تظل حياتهم كلها أحياناً. وتبقى أشكالهم صيانية حين يبلغون الخمسين. الأولاد الرجال الأمريكيون العظام. شعب غريب لعين. لكنه أحب هذا الماكومبير الآن. شخص غريب لعين. ربما يعني نهاية التديث أيضاً.

حسناً، سيكون هذا أمراً طيباً لعيناً. شيء جيد لعين. ربما ظل هذا الشحاذ خائفاً طيلة حياته. لا تعرف ما الذي بدأ بهذا الخوف. لكنه انتهى الآن. لم يكن في وقته متسع ليخاف من الثور. لذلك ولأنه كان غاضباً أيضاً. السيارة أيضاً. تجعل السيارات الأمر مألوفاً. أصبح الآن آكل نيران لعين. لقد رأى هذا في الحرب بنفس الطريقة. تغيير فقط أكثر منه فقدان عُذرية. اختفى الخوف كعملية جراحية. نما شيء آخر في محله. شيء رئيسي لدى الإنسان. تَخْلِقُ منه رجلاً. النساء يعرفن هذا أيضاً. أليس خوفاً دموياً؟

نظرت مارجوت ماكومبير من ركن المقعد البعيد إلى الرجلين. لم يكن ثمة تغيير في ويلسون. رأت ويلسون كما رآته في اليوم السابق حينما أدركت لأول مرة الموهبة العظيمة التي يتمتع بها. لكنها رأت التغيير الذي طرأ على فرانسيس ماكومبير الآن.

سأل فرانسيس ماكومبير وهو لا يزال يستكشف ثروته الجديدة:

- أيخالجك ذلك الشعور بالسعادة لما سيحدث؟

قال ويلسون وهو ينظر إلى وجه الآخر:

- ليس من المفروض أن تذكر هذا. من الأمور المألوفة جداً القول بأنك خائف

انتبه، سترتعب أيضاً، في مرات كثيرة العدد.

- لكن شعوراً بالسعادة يخالجك حيا ل ما سيحدث.

قال ويلسون:

- نعم . ذلك هو الأمر . ليس مناسباً الكلام كثيراً جداً عن كل هذا . اذكر الأمر كله .
دفعة واحدة ثم أنهه . لن تجد لذة في أي شيء إن أنتَ ذكرته كثيراً .
قالت مارجوت :

- كلاكما يتحدث هراء . لمجرد أنكما طاردتما بعض الحيوانات العاجزة في سيارة
تتكلمان كالأبطال .

قال ويلسون :

- آسف . تبجحتُ كثيراً جداً .

فكر : لقد أزعجها هذا في السابق .

سأل ماكومبير زوجته :

- إن لم تفهمي ما نقوله ، فليَمْ لا تخرجي منه؟ .

قالت زوجته باحتقار :

- أصبحتَ شجاعاً إلى حد رهيب ، وعلى نحو فجائي رهيب .

لم تكن باحتقارها آمنة . كانت خائفة جداً من شيء ما .

ضحك ماكومبير ضحكة طبيعية جداً :

- أنتِ تعرفين بأنني أصبحتُ كذلك . لقد أصبحتُ كذلك حقاً .

قالت مارجوت بمرارة :

- أليس هذا متأخراً إلى حد ما؟ .

لأنها بذلت قصارى جهدها خلال سنين عديدة في الماضي ، فإن حياتهما
معاً وحسبما تسير عليه الآن ، ليست غلطة أحد .

قال ماكومبير :

- ليس متأخراً بالنسبة إليّ .

لم تقل مارجوت شيئاً ، بل جلست مائلة إلى الخلف في ركن المقعد .

سأل ماكومبير ويلسون بمرح :

- أترى بأننا قد منحناه ما يكفي من وقت؟ .

قال ويلسون :

- يمكننا القاء نظرة . بقيت معك بعض الطلقات؟ .

- لدى حامل البنادق بعضها .

نادى ويلسون باللغة السواحلية ، فاعتدل حامل البنادق كبير السن الذي

كان يسلم جلد الرأس ، واخرج صندوق طلقات من جيبه وقدمه لماكومبير الذي ملأ

بها خزنة بندقيته ووضع باقي الطلقات في جيبه .

قال ويلسون :

- يمكنك أن تطلق بندقية سبرنجفيلد أيضاً . لقد اعتدت عليها . ستترك بندقية مانليشر في السيارة مع المصاحب . يستطيع حالم بنادقك حمل بندقيتك الثقيلة . فلدي أنا هذا المدفع اللعين . والآن لأحدثك عن البافالو .

كان قد وفر هذا القول حتى آخر لحظة حتى لا يزعم ماكومبير .

- عندما يقترب بافالو، يقترب ورأسه يرتفع عالياً ويندفع إلى الأمام مستقيماً فتحمي مقدمة قرونة الدماغ من الإصابة بأية طلقة . والطلقة الوحيدة الصائبة هي المستقيمة إلى الأنف تماماً . والطلقة الأخرى الوحيدة هي الضاربة صدره أورقبته أو كتفيه إن كنت عند أحد جانبيه . وبعد أن تصاب مرة فإنها تحتاج إلى جهد كبير لقتلها . فلا تحاول أي عمل خيالي . بل أطلق أسهل طلقة يمكنك إطلاقها . لقد أنهوا سلخ جلد الرأس الآن . هل ننتقل؟ .

نادى على حاملي البنادق اللذين حضرا وهما يمسحان أيديهما، فجلس الأكبر سناً في الخلف .

قال ويلسون :

- سأخذ كونجوني فقط . يستطيع الآخر المراقبة لابعاد الطيور .

حالما تحركت السيارة ببطء عبر الفسحة المكشوفة نحو جزيرة الشجيرات الكثيفة التي تمتد على شكل لسان من الأوراق الخضراء على طول ممر مائي جاف يقطع المستنقع المكشوف، أحس ماكومبير بقلبه يخفق ثم أصبح فمه جافاً مرة أخرى، لكن هذا كان انفعالاً ولي خوفاً .

قال ويلسون :

- ها هو المكان الذي دخل إليه .

ثم قال لحامل البنادق بالسواحلية :

- إقتف أثر الدماء .

كانت السيارة موازية للأجمة . نزل ماكومبير وويلسون وحامل البنادق من السيارة . ورأى ماكومبير، وهو ينظر إلى الخلف، زوجته والبندقية إلى جانبها تنظر إليه . لوج بيده لها، لكنها لم ترد التلويحة .

كانت الأجمة تمتد كثيفة جداً أمامهم، والأرض جافة . وكان حامل البنادق متوسط العمر يتصبب عرقاً غزيراً بينما كان ويلسون قد وضع قبعة على عينيه فرأى ماكومبير رقبته الحمراء تماماً . فجأة، قال حامل البنادق شيئاً باللغة السواحلية لويلسون وجرى إلى الأمام .

قال ويلسون :

- إنه ميت هناك . عمل رائع .

واستدار ليمسك بيد ماكومبير ، وبينما كانا يتصافحان وكل واحد يتسهم للآخر ابتسامة عريضة ، صاح حامل البنادق بعنف ورأوه يخرج من جانب الدغل مسرعاً سرعة سرطان البحر ، والثوريتقدم ، وأنفه يندفع أمامه وفمه محكم الاطباق ، بينما الدم يقطر منه موراسه الضخم أمامه ، مندفعاً بهجوم ، وعيناه الخنزيريتان الصغيرتان محتقتان بالدم وهو ينظر إليهما . كان ويلسون ، الذي كان في المقدمة ، قد ركع وأخذ يطلق النار ، كما رأى ماكومبير ، وهو يطلق النار من بندقيته دون أن يسمع صوت طلقاته بسبب صوت بندقية ويلسون ، ورأى شظايا كالاردواز تتناثر من مقدمة القرون الضخمة ، واهتز الرأس ، وأطلق النار مرة أخرى على المنخرين الواسعين فرأى القرنين يرتجان مرة أخرى والشظايا تتطاير ، لكنه لم يكن يرى ويلسون في تلك اللحظة ، وأطلق النار مرة أخرى ، وهو يصوب بحرص وكتلة جسم البفالو الضخمة تكاد تحط عليه ويندقيته تكاد تكون في مستوى الرأس المتقدم والأنف المندفع إلى الأمام ، حتى أصبح بوسعه أن يرى العينين الشريرتين الصغيرتين كما أخذ الرأس ينخفض ، ثم أحس بوميض فجائي ساخن أبيض يعمي الأبصار ينفجر داخل رأسه ، فكان ذلك كل ما أحس به .

كان ويلسون قد ارتكز على أحد جنبيه حتى يمكنه اصابة الكتف . بينما كان ماكومبير قد وقف وقفة صلبة وأطلق مصوباً على الأنف ، مطلقاً النار إلى الأعلى قليلاً كل مرة ضارباً القرنين الثقيلين ، مشظياً إياهما ومقطعاً إياهما قطعاً صغيرة كأنه كان يضرب سطح اردواز ، فاطلقت السيدة ماكومبير النار وهي في السيارة على الثور طلقة عيار ٥, ٦ من بندقية مانليتشتر حينما بدا لها بأنه على وشك أن يبقر ماكومبير فأصابت زوجها على ارتفاع بوصتين في أعلى أحد جانبي جمجمته على مسافة قصيرة من ذلك الجانب .

سقط فرانيس ماكومبير الآن ووجهه إلى الأسفل على بُعد يقل عن ياردينين من المكان الذي انطرح فيه البفالو على جنبه ، بينما ركعت زوجته فوقه وويلسون إلى جانبها .

قال ويلسون :

- لن ألقبه . *

كانت المرأة تبكي بكاء هستيرياً .

قال ويلسون :

- سأرجع إلى السيارة. أين البندقية؟
هزّت رأسها وقد تشوّه وجهها. التقط حامل البنادق البندقية.
قال ويلسون:

- أتركها حيث هي.

ثم:

- اذهب وأحضر عبدالله ليشهد على كيفية وقوع الحادث.
ركع وأخرج منديلاً من جيبه وفرده فوق رأس فرانسيس ماكومبير المقصوص
قصة البحارة القصيرة حيث ينطرح أرضاً. بينما الدم يغرق في الأرض الجافة
الرخوة.

وقف ويلسون ورأى البافالو منطرحاً على جنبه، وقوائمه ترتفع عالياً وبطنه
خفيف الشعر ومسرح لزحف القردّات. سجل عقله بصورة تلقائية: «ثور جهنمي
رائع جداً. خمسون بوضة رائعة أو أروع، أكثر روعة». نادى على السائق وطلب منه
فرد بطانية على الجثة والبقاء إلى جانبه. ثم مشى مقرباً من السيارة حيث كانت
المرأة تجلس باكية في الركن.

قال بصوت غير واضح المعالم:

- ذلك عمل رائع، ذلك الذي قمّت به. كان سيتركك.

قالت:

- أسكت.

قال:

- لا تنزعجي. سيكون هناك قدر معين من المنغصات لكنني سأخذ بعض الصور
التي ستكون مفيدة في التحقيق. هناك شهادة حاملي البنادق والسائق أيضاً. أنت
آمنة تماماً.

قالت:

- أسكت.

قال:

- هناك جحيم مما لا بد أن نفعله. يجب أن أرسل شاحنة إلى البحيرة ليتصلوا
لاسلكياً طالين طائرة لتأخذنا ثلاثتنا إلى نيروبي. لِمَ لم تسميه؟ ذلك ما يفعله
في انجلترا.

صرخت المرأة:

- أسكت! أسكت! أسكت!

نظر إليها ولسون بعينه الزرقاوين الباردين .

قال :

- لقد انتهيتُ الآن . كنتُ غاضباً قليلاً ، وكنتُ قد بدأتُ أحب زوجك .

قالت :

- من فضلك ، أسكت ! أرجوك ، أرجوك أسكت .

قال ولسون :

- ذلك أفضل . كلمة من فضلك أفضل كثيراً . والآن ، سأسكتُ .

عاصمة العالم

تعج مدريد بأولاد يحملون اسم باكو، وهو صيغة تصغير لاسم فرانسيسكو، وهناك نكتة متداولة عن رجل حضر إلى مدريد ونشر إعلاناً في الأعمدة الشخصية لجريدة الـ ليبرال El-Liberal قال فيه :

«باكو: قابلني في فندق مونتانا ظهريوم الثلاثاء، صفحت عن كل ما حدث - والدك». وتتابع النكتة واصفةً كيف استدعت سرية من الحرس المدني لتفريق ثمانمائة شاب جاءوا استجابة للإعلان. لكن باكو هذا الذي يعمل على خدمة الزبائن في نزل لواركا ليس لديه والد ليصفح عنه، كما أنه لم يقترف ذنباً ليصفح عنه والده. فقد كانت له اختان تكبران سنأ وتعملان في خدمة غرف النوم في نزل لواركا، وكانتا قد شغلتا مركزيهما في العمل لأنهما قديمتا من نفي القرية التي جاءت منها خادم تعمل في النزل نفسه وأثبتت خلال مدة عملها بأنها خادم مجدة وأمينة مما منح قريتها ومنتجاتها سمعة طيبة، وكانت هاتان الأختان قد دفعتا أجرة سفر باكو في الحافلة إلى مدريد وحصلتا له على وظيفة كنادل تحت التدريب. لقد جاء من قرية في جزء من اكستريمادورا حيث كانت الظروف بدائية بشكل لا يُصدق، والطعام نادراً والرفاهيات مجهولة، وقد عمل بجهد منذ اللحظة التي يتذكرها.

كان ولداً حسن البنيان له شعر فاحم السواد، جعد إلى حد ما، وأسنان قوية وبشرة تحسده عليها اختاه، كما كان يتمتع بابتسامة رشيقة وصريحة. كان سريع الحركة ويقوم بعمله خير قيام وبحب أخيه اللتين بدتا له جميلتين وغير متكلفتين، كما أحب مدريد التي ظلت مكاناً غير معقول وأحب عمله الذي بدا له جميلاً جداً رومانسياً وهو يقوم به تحت أضواء ساطعة فيه ملاءات بيضاء وهو مرتد ملابس المساء وطعام وفير في المطبخ.

كان ما بين ثمانية إلى إثني عشر شخصاً آخر يقيمون في نزل لواركا وكانوا يتناولون الطعام في غرفة الطعام، لكن الأشخاص الوحيديين الذين يوجدون حقاً بالنسبة إلى باكو، أصغر نادل من الندل الثلاثة الذين يعملون على خدمة الموائد، فقد كانوا مصارع الثيران.

فمصارعو ثيران من الدرجة الثانية يقيمون في ذلك المنزل لأن العنوان في كالي سان جيرونيمو كان جيداً، والطعام كان ممتازاً وأجرة الغرفة وثمان الطعام كانا رخيصين. فمن الضروري أن يظهر مصارع الثيران بمظهر الاحترام على الأرض إن

لم يكن بمظهر النجاح، لأن الوقار والذوق الرفيع يعلوان على الشجاعة ولأن الفضائل تُجَلُّ تَبَجُّلاً عظيماً في اسبانيا، لذلك اعتاد مصارعو الثيران البقاء في نزل لواركا حتى تختفي آخر بيوتنا معهم. ولم يُسجل قط أن أي مصارع ثيران كان قد غادر نزل لواركا إلى فندق أفضل أو أعلى، فلا يصبح مصارعو ثيران في الدرجة الثانية مصارعي ثيران درجة أولى قط، لكن الهبوط من نزل لواركا يكون سريعاً حيث أن باستطاعة أي شخص يكسب أي مبلغ من المال أن يبقى هناك كما أن قائمة الحساب لا تُقدم إلى أي نزيل، دون طلب منه، إلا بعد أن تتأكد المرأة التي تدير النزل من أن تلك الحالة ميثوس منها.

في ذلك الوقت، أقام في نزل لواركا ثلاثة مصارعي ثيران مؤهلين يحملون هذا اللقب ونخازان picadors جيدان جداً وحامل أعلام banderillero ممتاز. وكان نزل لواركا نوعاً من الترف والتبذير بالنسبة للنخازين وحامل الأعلام الذين يتحتم عليهم الإقامة في مدريد خلال موسم الربيع بينما تقيم ثلاثتهم في اشبيلية، لكنهم كانوا يتفاضون أجوراً جيدة ويعملون على نحو ثابت مع مصارعين متعاقدين للقيام بعروض عديدة خلال الموسم القادم، وقد يكسب هؤلاء التابعون الثلاثة في الحفلة الواحدة أكثر مما يكسبه أي من المصارعين الثلاثة. كان أحد هؤلاء المصارعين الثلاثة مريضاً ويحاول إخفاء علته هذه، بينما كان الثاني قد تجاوز شعبيته التي استمرت لفترة قصيرة، أما الثالث فكان جباناً.

كان الجبان في وقت من الأوقات شجاعاً شجاعة رائعة وماهراً مهارة ملحوظة إلى أن أصيب بجرح قرن مرّوع عجيب في الجزء السفلي من بطنه عند بدء موسم الأول كمصارع ثيران كامل، وظل يتمتع بكثير من طريفته المميّزة العنيفة التي كان يتمتع بها أيام نجاحه. كان جذلاً إلى حد الإفراط، ويضحك باستمرار بسبب أوبلا سبب. وكان مدمناً، أثناء حياته العملية الناجحة، على إطلاق مداعباته السمجة ضد الآخرين، لكنه توقف عن ممارسة عادته الآن. وقد أكدت تلك المداعبات السمجة عدم إحساسه بالآخرين. وكان لهذا المصارع وجه ذكي وصريح جداً، بينما كان سلوكه متأنقاً.

وكان المصارع المريض حريصاً كل الحرص على ألا يظهر مرضه وحريصاً كل الحرص كذلك على أن يأكل القليل من كل طبق يوضع على المائدة أمامه. وكان لديه الكثير جداً من المناديل التي كان يغسلها بنفسه في غرفته، وقد أخذ يبيع بدلات مصارعة مؤخرًا. فباع واحدة، بسعر خيصر، قبل عيد الميلاد وبدلة أخرى في أول أسبوع من شهر إبريل / نيسان. كانتا بدلتين غاليّتي الثمن جداً، وكان

يحافظ عليهما محافظة شديدة، إلى أن بقيت لديه بدلة أخيرة. وقبل أن يصاب بالمرض، كان يبشر بنجاح حتى أنه كان مصارعاً مشيراً، وقد احتفظ بقصاصات جرائد ذكرت بأنه كان أفضل من المصارع بلمونتي أثناء عرضه الأول في مدريد بالرغم من أنه لم يكن يعرف القراءة. وكان يأكل وحيداً على طاولة صغيرة ونادراً ما كان يرفع رأسه عن المائدة.

وكان المصارع الذي كان يدعى في يوم من الأيام قصيراً جداً وأسعر اللون ووقوراً جداً. وكان يأكل كذلك وحيداً على طاولة منفصلة ونادراً جداً ما كان يتسم كما لم يكن يضحك إطلاقاً. وقد أتى من بلد الوليد حيث الناس هناك جادون بافراط، وقد كان مصارعاً قديراً، لكن أسلوبه أصبح قديم الطراز قبل أن ينجح في تحييب نفسه إلى الجمهور للفضائل التي يتحلى بها، وهي الشجاعة والقدرة الهائلة، كما لم يكن اسمه المذكور في ملصق جداري يجذب أحداً إلى حلبة المصارعة. والجديد في أمره أنه كان قصيراً جداً حتى أنه كان لا يكاد يرى من فوق حارك الشور، لكن، كان ثمة مصارعون آخرون قصار القامة، كما أنه لم ينجح قط في فرض نفسه على خيال الجمهور.

كان أحد النخازين الفرسان نحيلاً، صقري الوجه، أشيب الشعر خفيف البنيان، لكن ساقيه وذراعيه كانت قوية كالحديد، وقد كان يلبس دائماً جزمة رعاة بقرتحت سرواله، ويشرب كثيراً كل مساء ويحدّق بهيام في أية امرأة في النزول. كان الآخر ضخماً أسمر البشرة والوجه، جميل الصورة له شعر أسود كهندي، ويدان ضخمتان. وكانا نخازين عظيمين، مع أن أولهما اشتهر بفقد الكثير من قدرته بسبب إسرافه بالشراب والملذات، وكان الآخر عنيد الرأس ومحباً للعراك جداً حتى أنه لم يكن يعمل مع مصارع مدة أطول من موسم واحد.

كان حامل العلم متوسط العمر، أشيب، سريعاً فقط بالرغم من كبر سنه، وكان يبدو، وهو يجلس إلى المائدة، كرجل أعمال متوسط النجاح. وكانت ساقاه لا تزالان صالحتين لهذا الموسم، وعندما ستضعفان فإن ذكاه وحنكته ستعملان على استمراره في العمل المنتظم مدة طويلة. والتغير الذي سيطرأ عليه حين تختفي سرعة قدميه هو الشعور الدائم بالخوف بينما هو الآن يحس بالثقة والهدوء في الحلبة وخارجها.

في هذا المساء غادر الكل غرفة الطعام ما عدا النخاز الصقري الوجه الذي أفرط بالشراب، ودلال الساعات في أسواق واحتفالات إسبانيا المرتسمة على وجهه وحمّة والذي أفرط بالشراب أيضاً وقسيسين من جاليسيا اللذين كانا يجلسان إلى

طاولة ركنية ويشربان ما يناسبهما إن لم يكونا قد أفرطوا بالشراب . وكان النبيذ في ذلك الوقت يُحسب ضمن أجرة الغرفة وثمان الطعام في نزل لواركا، وكان النادل قد أحضروا قناني جديدة من نبيد بلد بينياس إلى موائد الدلال، ثم إلى النخاز، وأخيراً إلى القسيسين .

كان النادل الثلاثة يقفون عند نهاية الغرفة . فقد كان من قواعد المحل أن يواصلوا القيام بواجباتهم إلى أن يغادر كل الزبائن ، المعترين ضمن مسؤولياتهم ، المطعم ، لكن النادل الذي كان يخدم مائدة القسيسين كان مرتبطاً بموعد لحضور اجتماع نقابة فوضوية ، وكان باكو قد وافق على تولي أمر خدمة مائدته بدلاً منه . في الطابق العلوي ، كان مصارع الثيران المريض ممدداً على السرير ووجهه إلى الأسفل وهو وحيد . وكان المصارع الذي لم يعد بدعة يجلس ناظراً من نافذته وقد استعد للخروج إلى المقهى . بينما كانت مع مصارع الثيران الجبان أخت باكو الكبرى في غرفته وكان يحاول حملها على فعل شيء كانت ترفض القيام به ضاحكة .

كان هذا المصارع يقول لها :

- تعالي ، أيتها المتوحشة الصغيرة .

وقالت أخت باكو :

- لا . لماذا لا بد أن آتي ؟ .

- تصنعين معروفاً .

- لقد أكلت الآن تريدني للتحلية .

- مرة واحدة فقط . ما الضرر الذي تسببه ؟ .

أتركني . أتركني وشأني ، قلت لك .

- انه شيء قليل الشأن جداً الذي ستفعلينه .

- أتركني وشأني ، قلت لك .

في الأسفل في غرفة الطعام ، قال أطول النادل ، والذي تأخر عن اجتماعه :

- أنظر إلى شرب ذلكما الخنزيرين الأسودين .

رد عليه النادل الثاني :

- تلك ليست طريقة كلام . إنهما زبونان محترمان . إنهما لا يشربان كثيراً .

قال النادل الطويل :

- إنها بالنسبة إليّ طريقة جيدة للكلام . هناك بلاءان يصيبان اسبانيا : الثيران والقسس .

قال النادل الثاني :

- ليس الثور الفرد ولا القسيس الفرد يقيناً .

قال النادل الطويل :

- نعم . فمن خلال الفرد فقط تستطيع أن تهاجم الطبقة . فمن الضروري قتل الثور الفرد والقسيس الفرد . كلهم . ثم لا يعود منهم أحد باق .

قال النادل الآخر :

- وفرّ هذا للاجتماع .

قال النادل الطويل :

- أنظر إلى بربريه مدريد . الساعة الآن الحادية عشرة والنصف وما زال هذان يكرعان الكؤوس .

قال النادل الآخر :

- لقد بدأ يتناولان الطعام في الساعة العاشرة فقط . وكما تعرف ، هناك أطباق كثيرة . وذلك النيذ رخيص وقد دفعنا ثمنه . إنه ليس نييذاً قوياً .

تساءل النادل الطويل :

- كيف يمكن تحقيق التضامن بين العمال مع وجود أغبياء مثلك ؟ .

قال النادل الثاني الذي كان في الخمسين من عمره :

- اسمع ، لقد اشتغلت طيلة حياتي . ولا بد أن أستمر في العمل فيما بقي من حياتي . ليس لدي أية شكاوي ضد العمل . إن القيام بالعمل أمر طبيعي . .

- نعم ، لكنّ قلة العمل تقتل .

قال النادل الأكبر سناً :

- لقد اشتغلت طيلة حياتي . إذهب إلى الاجتماع . ليس ضرورياً بأن تبقى .

قال النادل الطويل :

- أنت رفيق طيب . لكن ، تنقصكم كلكم الأيدولوجية .

قال النادل الأكبر سناً :

- Mejor si me falta eso que el otro .

(وهو يعني : من الأفضل أن تنقصنا الأيدولوجية على أن ينقصنا الشغل) . إذهب إلى الاجتماع .

لم يقل باكوشيئاً . لم يكن يفهم في السياسة لكن سماعه للنادل الطويل وهو يتكلم عن ضرورة قتل القسس والحرس المدني كان يثيره دائماً . كان النادل الطويل يمثل الثورة بالنسبة إليه وكانت الثورة رومانسية أيضاً . كان يرغب هو نفسه في أن

يصبح كاثوليكيًا طيبًا، وثوريًا، ويكون لديه عمل ثابت كهذا العمل بينما يكون في نفس الوقت مصارع ثيران .

قال للنادل الطويل :

- إذهب إلى الاجتماع يا إجناسيو، سأقوم بعملك .

قال النادل الأكبر سنًا :

- نحن الاثنان .

قال باكو :

- لا يوجد ما يكفي لواحد . إذهب إلى الاجتماع .

قال النادل الطويل :

- Pue, me voy . وشكرًا .

أثناء ذلك وفي الطابق العلوي، تخلّصت أخت باكو من عناق مصارع الثيران

بمهارة مصارع يتخلص من مسكة ثم قالت :

- هؤلاء هم الناس الجياع . مصارع ثيران فاشل : «مع جِملك من الخوف الذي

يزن طنًا . إن كان لديك الكثير من ذلك، فاستعمله في الحلبة» .

- تلك طريقة تتكلم بها عاهرة .

- العاهرة امرأة أيضًا، لكنني لست عاهرة .

- ستكونين عاهرة .

- ليس عن طريقك .

. قال المصارع الذي صُدد ورفض . فأحس بعري جنبه يعود إليه :

- أتركيني .

قالت أخت باكو :

- أتركك؟ ما الذي لم يتركك؟ ألا تريدني أن أرتب السرير؟ إنني اتقاضى أجرًا عن

ذلك .

قال المصارع وقد تغضن وجهه العريض الجميل في التواء يشبه البكاء .

- أتركيني . أنتِ عاهرة صغيرة . أنتِ عاهرة صغيرة قذرة .

قالت وهي تغلق الباب :

- يا مصارع الثيران . يا مصارعي .

في داخل الغرفة، جلس مصارع الثيران على السرير . ظل وجهه راسمًا

الالتواء الذي كان يحوِّله في الحلبة إلى ابتسامة ثابتة كانت تخيف أولئك الذين

يجلسون في صف المقاعد الأولى والذين كانوا يعرفون ما كانوا يشاهدونه . وكان

يقول بصوت عال :

- وهذه . وهذه .

تذكر وقت أن كان مصارعاً رائعاً وكان ذلك قبل ثلاث سنوات فقط . تذكر نقل جاكته مصارعة الثيران الثقيلة المرصعة بالذهب على كتفيه بعد ظهر ذلك اليوم الحار في مايو/ ايار حين كان صوته نفس الصوت في الحلبة وفي المقهى وكيف كان يحدّق في حد الرأس الغاطس في ذلك المكان على قمة الكتفين حيث يكون مغبراً على حذبة العضل السوداء قصيرة الشعر فوق القرنين ضاربي الخشب مشطبيّ الحواف اللذين انخفضا وهويمارس القتل ، وكيف اندفع السيف بسهولة كاندفاعه في كتلة زبدة صلبة وراحة يده تدفع رمانة السيف بينما ذراعه الأيسر يتصالب إلى أسفل وكتفه الأيسر يتدفع إلى الأمام ، وقد ارتكز ثقله على ساقه اليسرى ثم لم يعد ثقله على ساقه . كان ثقله على بطنه السفلي ، واختفى القرن عن الأنظار داخله* حينما رفع الثور رأسه ، ودار* على القرن مرتين قبل أن يسحبوه بعيداً عن الثور ، لذلك ، لم يكن يستطيع الآن النظر إلى القرنين حين يمارس القتل ، وكان نادراً ما يمارس هذا القتل ، ماذا تعرف أية عاهرة عما يعانیه قبل أن يبدأ القتال؟ وما الذي عانينه حتى يضحكن عليه؟ كلهن عاهرات وهن يعرفن ما يمكنهن أن يفعلن به .

وفي غرفة الطعام في الطابق السفلي ، جلس النخّاز ناظراً إلى القسيسين . لو كانت في الغرفة نساء لحدّق فيهن . وإن لم يكن هناك نساء فإنه يحدّق في رجل أجنبي uningles ، لكنه حدّق الآن بمتعة ووقاحة في القسيسين لعدم وجود نساء أو أجنب . وبينما كان يحدّق ، نهض الدلال صاحب الوحمة وخرج بعد أن طوى مندبل الطاولة ، تاركاً ما يزيد عن نصف النبيذ في آخر قنينة طلبها . لو كان حسابه قد دفع بالكامل في نزل لواركا لشرب القنينة حتى آخرها .

لم يبادل القسيسان النخّاز التحديق . وكان أحدهما يقول :

- مرت عشرة أيام عليّ منذ أن بدأت أنتظر مقابلته فأجلس طيلة النهار في غرفة الانتظار ولا يستقبلني .

- ما الذي ستفعله؟ .

- لا شيء . ما الذي يستطيع الانسان فعله؟ لا يستطيع الانسان الوقوف ضد السلطة .

- لقد أمضيتُ أسبوعين هنا بلا فائدة . إنني أنتظر وهم لا يروني .

- نحن من الريف المهمل . حين تنفذ نقودنا ، نستطيع أن نعود .

* الضمير يعود إلى المصارع . (المترجم).

- إلى الريف المهمل . ما الذي يههم مدريد في أمر جاليسيا؟ نحن اقليم فقير .
- يستطيع الانسان فهم تصرف أخينا باسيليو .
- ما زلت لا أتق باستقامة باسيليو الفاريز .
- مدريد هي المكان الذي يتعلم فيه الانسان كيف يفهم الأمور . مدريد تفتن اسبانيا .

- لو أنهم يقابلون ويرفضون ببساطة .
- لا . لا بد أن تُكسر وتُنْهك قواك من طول الانتظار .
- حسناً ، سنرى . يمكنني أن أنتظر كأي شخص آخر .
- في تلك اللحظة ، نهض النخاز على قدميه ومشى مقترباً من طاولة القسيسين ، ووقف ، شائب الرأس وصقري الوجه محدقاً فيهما ومبتسماً .
- قال أحد القسيسين للآخر:

- torero توريرو* .

قال النخاز:

- ومصارع ثيران جيد .
- وسار خارجاً من قاعة الطعام بجاكتته الرمادية وخصره المشدب وساقيه المقوسين في بنطال ضيق فوقه جزمة رعاة البقر عالية العقب تفرقع على أرض الحجره وهويتمايل بثبات تام مبتسماً لنفسه . كان يعيش في عالم كفاءة شخصية ونصر كحولي ووقاحة ، عالم صغير ضيق ومهني . ثم أشعل سيجاراً وبعد أن أمال قبعته على زاوية وهو في الرواق . خرج متجهاً إلى المقهى .

غادر القسيسان المكان بعد النخاز مباشرة ، وبسرعة بعد أن تبينا بأنهما آخر من بقي من الزبائن في قاعة الطعام ، فلم يبق في القاعة الآن سوى باكو والنادل متوسط العمر . فثظفا الموائد وحملا القناني إلى المطبخ .

كان في المطبخ الصبي الذي يغسل الأطباق . كان يكبر باكو بثلاث سنوات وكان شكاكاً جداً ومريراً .

قال النادل متوسط العمر:

- خذ هذا .

وصب كأساً من نبيذ بلد بينياس وناولها له .

- لِمَ لا؟ .

وأخذ الصبي الكأس .

* بالاسبانية في الأصل وتعني مصارع ثيران . (المرجم) .

سأل النادل الأكبر سناً:

- وأنت يا باكو؟ .

قال باكو:

- شكراً .

وشرب ثلاثتهم .

قال النادل متوسط :

- سأذهب .

قال له :

- تصبح على خير .

خرج وبقياً وحدهما . أخذ باكو فوطه طاولة استعملها القسيسان ووقف معتدلاً ، وعقباه مغروسان في الأرض ثم خفض الفوطة وأطاح بذراعيه بحركة veronica* ورنيقة كاسحة بطيئة ورأسه يتابع الحركة . إستدار ثم قام بحركة pass مرور ثانية بعد أن دفع قدمه اليسرى إلى الأمام قليلاً ثم اقترب إلى مسافة قصيرة من الثور الخيالي وقام بحركة مرور ثلاثة بطيئة ومؤقتة توقيتاً دقيقاً ورشيقة ثم جمع فوطة الطاولة على خصره وأدار ردفه بعيداً عن الثور بحركة media - veronica نصف ورنيقة . راقب غاسل الأطباق الذي كان يدعي انريكو، منتقداً ومزدرياً . قال :

- كيف حال الثور؟ .

قال باكو:

- بالغ الشجاعة . أنظر .

وقام بأربع حركات مرور دقيقة ومرنة ورشيقة ولطيفة بينما كان يقف متصب القامة ونحيلاً .

وسأل انريكو وهو يقف أمام حوض غسيل الأطباق ويحمل كأس نبيذه مثبتاً

وزرته عليه :

- والثور؟ .

قال باكو:

- ما زال يتمتع بالكثير من القوة .

قال انريكو:

* يجد القارىء شرحاً وافياً لاصطلاحات مصارعة الثيران هذه في مجموعة قصص : «رجال بلا نساء» ، وقد ترجمت كل تلك الملاحظات من كتاب همنجواي : «موت بعد الظهر» .

- أنت تفرّني .

- لماذا؟ .

- أنظر .

نزع انريكو وزرته وصاح بالثور الخيالي متحدياً ورسم أربع ورنيفات غجرية هادئة دقيقة وأنهى حركته بـ rebolera ريبوليرا* جعلت الوزرة تدور بعنف راسمة قوساً أمام أنف الثور حينما ابتعد عنه .

قال :

- أنظر إلى هذا . وأنا أغسل الأطباق .

- لماذا؟ .

- الخوف ! Miedo نفس الخوف الذي يسيطر عليك في حلبة مع ثور .

قال باكور :

- لا . لن أشعر بالخوف .

قال انريكو :

- Lecha الكلب خائف ، لكن مصارع الثيران يستطيع السيطرة على خوفه ليكون قادراً على مصارعة الثور ، لقد اشتركت في عرض مصارعة هواة وكنت خائفاً جداً إلى درجة أنني لم استطع التوقف عن الجري . يظن الكلب بأن الأمر لعب . ستشعر أنت بالخوف كذلك . لولا الشعور بالخوف ، لأصبح كل ماسح أجدية في إسبانيا مصارع ثيران . ستشعر بالخوف ، أنت الريفّي ، أكثر مما شعرت به أنا .

قال باكور :

- لا .

لقد قام بهذا العمل كثيراً جداً من المرات في خياله . كثيراً جداً من المرات رأى القرنين ، ورأى خطم الثور المبلل ، والأذن تنتفض مرتعشة ، ثم الرأس ينخفص والهجوم ، الحوافر تخبط والثور الساخن يمر به حين يدير الـ «كاب» Cape ليعيد الهجوم وهويلف القطعة مرة أخرى ثم مرة أخرى وأخرى وأخرى لينتهي كل هذا وهو يلف الثور بحركة نصف ورنيفة عظيمة ، ويمشي مبتعداً وهو يتبختر وشعر الثور قد علّق بالزينات الذهبية على جاكته من حركات المرور القريبة ، والثور يقف ممغنطاً بينما الجمهور يصفق . لا ، لن يخاف . الآخرون ، نعم . ليس هو . كان يعرف بأنه لن يخاف حتى وإن خاف في أي وقتٍ إلا أنه يعرف بأنه يستطيع المصارعة بطريقة * rebolera : مرور تزييني بالكاب يُمسك بها الكاب من أحد نهايتيه ويُدار حتى يرسم دائرة حول الرجل (من كتاب همنجواي : موتٌ بعد الظهر) .

ما . فلدیه الثقة .

قال بصوت عالٍ :

- لن أخاف .

قال انريكو مرة أخرى :

- Leche بقرة ،

ثم أضاف بعدئذ :

- وإذا حاولنا؟ .

- كيف؟ .

قال انريكو:

- أنظر . أنت تفكر بالثور ولا تفكر بقرنیه . وللثور قوة عظيمة جداً إلى درجة أن قرنيه يقطعان مثل سكين ويطعنان مثل حربة ، وهما يقتلان كهراوة . أنظر .

فتح درج الطاولة وأخرج سكين مطبخ .

- سأثبت هاتين السكينين على رجلي كرسي ، وسأقوم بدور الثور ممسكاً الكرسي أمام رأسي . السكينان هما القرنان . إن تركتهما يمران ، فإنهما يعنيان شيئاً .

قال باكو:

- أعزني وزرتك . سنقوم بهذا في غرفة الطعام .

قال انريكو وقد فارقه المرارة فجأة :

- لا . لا تفعل هذا يا باكو .

قال باكو:

- نعم . أنا لست خائفاً .

- ستخاف حين ترى السكينين تقربان .

قال باكو:

- سنرى . أعطني الوزيرة .

في هذا الوقت ، وبينما كان أنريكو يربط سكينه قطع اللحم الحادتين كموسى حلاقة والثقيلتين بسرعة برجلي الكرسي بفقوتين متسختين ميرزاً نصف نصل كل منهما ، لاقاً إياهما باحكام بعقدتهما ، كانت خادمتا الغرف ، اختا باكو ، في طريقهما إلى دار عرض لتشهدا جريتا جاربوفي فيلم : «أني كريستي» . وكان أحد القسيسين جالساً في ملبسه الداخلية يقرأ في كتاب صلواته بينما كان الآخر مرتدياً منامته وهو يردد أوراداً . وظهر جميع مصارعى الشيران ، باستثناء الذي كان مريضاً ، في مقهى فورنوس حيث كان النخاز الضخم أسود الشعر يلعب البلياردو ،

بينما كان المصارع القصير الجداد جالسا إلى طاولة مزدحمة أمام قهوة وحليب مع حامل الراية متوسط العمر وعامل آخر جاد.

كان النخاز أشيب اللحية جالسا يشرب وكأس براندي كازالاس أمامه محدقا بسرور في طاولة حيث كان يجلس مصارع الثيران الذي تخلت عنه شجاعته مع مصارع آخر تنازل عن السيف ليصبح حامل راية مرة أخرى مع مومستين منهكتي القوى من أشغال البيوت .

وقف دلال المزدادات في ركن الشارع يتحدث إلى أصدقاء له . وكان النادل طويل القامة في نقابة العمال الفوضوية ينتظر فرصة الكلام . أما النادل متوسط العمر فكان يجلس على كرسي في شرفة مقهى الفاريزيشرب قليلا من البيرة . وكانت المرأة التي تملك نزل لواركا ممددة على ظهرها على السرير ووسادة بين رجليها ، وهي ضخمة سمينة ، أمينة ، نظيفة ، سهلة الانقياد ، شديدة التقوى ، ولم تكن تغفل أبداً عن إفتقاد زوجها أو الصلاة يوميا من أجله ، زوجها الذي مضى على موته عشرون سنة إلى حد الآن . بينما كان المصارع المريض ممددا وحيدا على وجهه على سريره وهو يضع منديله على فمه .

والآن ، وفي غرفة الطعام المهجورة ، ربط أنريكو آخر عقدة من فوطتي المائدة اللتين ثبتتا السكينين برجلي الكرسي ورفع الكرسي . سدّد الرجلين والسكينان تبرزان منهما إلى الأمام ، ثم رفع الكرسي فوق رأسه والسكينان مشرعتان إلى الأمام وكل سكين على جانب من جانبي رأسه .

قال :

- إنها ثقيلة . أنظريا باكو . إنها خطيرة جداً . لا تفعل هذا .
كان يتفصد عرقاً .

وقف باكيوواجهه ، فardاً الوزرة أمامه ، ممسكاً ثنيةً منها متجمعة في كل يد من يديه وابهامه إلى الأعلى وشاهده إلى أسفل ، لئلفت أنظار الثور .

قال :

- اهجم مباشرة . دُر كثور . أهجم قدر ما تريد من المرات .
سأل انريكو :

- كيف ستعرف متى ستقطع المرور؟ يحسن أن تقوم بثلاث حركات قطع ثم حركة متوسطة واحدة .

قال باكو :

- طيب . تقدّم مباشرة . هو . توريتو! تقدم أيها الثور الصغير .

تقدّم إنريكو نحو باكو وهو منكس الرأس فأدار باكو الوزرة أمام نصل السكين حالما مرت أمام بطنه تماماً، وفيما كانت تمر به كان القرن الحقيقي أبيض الرأس، أسود، أملس، وحينما مر به انريكو ودار ليندفع ثانية، كانت كتلة الثور الساخنة دموية الجوانب تلك التي تخبط به، ثم استدار كقطة واقترب ثانية وهو يدير الوزرة ببطء. ثم استدار الثور ثانية واقترب ثانية، وحينما رأى باكو الحافة المندفعة، خطا بقدمه اليسرى مسافة بوصتين أبعد مما يجب إلى الأمام فلم تمر السكين قربه، بل انزلقت فيه بسهولة كسهولة دخولها في قربة خمر، فتدفق سيل لاسع فوق وحول صلابة الفولاذ الداخلي الفجائي وانريكو يصيح:

- آي، آي! دعني أخرجها، دعني أخرجها.

وانزلق باكو إلى الأمام على الكرسي. والوزرة - الكاب ما تزال في يديه بينما كان انريكو يسحب الكرسي والسكين تدور في جسمه، في جسمه في جسم باكو. خرجت السكين أخيراً، وجلس على الأرض في البركة الدافئة المتزايدة الاتساع.

قال انريكو:

- ضع البفظة فوق الجرح. امسك بها! شدّها! سأذهب لأحضر طبيباً. أمسك بها لوقف النزيف.

قال باكو:

- لا بد من فنجان مطّاط.

لقد رأى ذلك يستعمل في الحلبة.

قال انريكو باكياً:

- تقدمت مباشرة بلا إنحراف. كل ما أردت فعله هو إظهار الخطر.

قال باكو وصوته يصل إليه من بعيد:

- لا تقلق. بل أحضر الطبيب.

في الحلبة يرفعونك ويحمونك راكضين بك إلى حجرة العمليات. وإذا كان الوريد الفخذي قد فرغ قبل وصولك إلى هناك فإنهم يستدعون القسيس.

قال باكو وهو يمسك بفظة المائدة على بطنه السفلي:

- استدع أحد القسيسين.

لم يكن بمقدوره تصديق بأن هذا كان قد حدث له.

لكن انريكو كان يجري في شارع طريق سان جيرونيمو إلى مركز الاسعاف الأولي المفتوح طيلة الليل بينما كان باكو وحيداً، جالساً وهو معتدل القامة باديء

الأمر ثم متكوماً حول نفسه ثم ساقطاً على الأرضية إلى أن انتهى شاعراً بأن حياته تنسحب خارجةً منه كما يفرغ ماء قدر من حوض حمام حين تُرفع سدّاته . كان خائفاً وشعراً بالإغماء ، وحاول ترديد فصل من مسحة الموتى متذكراً بدايته ، لكنه قبل أن يردد بأسرع ما يستطيع : « آه ، يا إلهي ، إنني آسف من صميم قلبي على أنني أسأت إليك أنت الذي تستحق كل حبي وأصمم تصميماً أكيداً . » شعر بأنه ضعيف جداً فتمدد ووجهه منكس على الأرضية وانتهى بسرعة بالغة . فالوريد الفخذي المقطوع يُفرغ نفسه بأسرع مما يمكنك تصديق هذا .

عندما كان طبيب مركز الاسعاف يرتقي الدرج مصحوباً بشرطي يُمسك بذراع إنريكو ، كانت أختا باكولا تزالان في قصر العرض السينمائي في شارع جران حيث كنّ قد أصبن بخيبة أمل كبيرة من فيلم جاربو الذي أظهر النجمة العظيمة في أجواء بائسة هابطة بينما اعتادتتا على أن ترياهما محاطة بترف وتألّق عظيمين . كره المشاهدون الفيلم كثيراً ، فأخذوا يحتجون عليه بالصفير ويخبطون أقدامهم بالأرض . وكان كل المقيمين في التزل منهمكين بما كانوا يفعلونه عندما وقع الحادث ، ما عدا القسيسين اللذين كانا قد أنهيا صلاتهما واستعدا للنوم ، بينما نقل ، النخّاز أشيب الرأس كأس شرابه إلى الطاولة مع المومستين اللتين أرهقتهما أشغال البيوت . بعد فترة قصيرة ، خرج من المقهى مع واحدة منهما . وكانت هي التي اشترى لها مصارع الثيران فاقد الأعصاب الشراب .

لم يعرف الفتى باكوشياً عن أي من هذا ولا عما سيفعله هؤلاء الناس في اليوم التالي وما تليه من أيام . لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيف كانوا يعيشون ولا كيف سينتهون . لم يعرف حتى بأنهم انتهوا . لقد مات مليئاً بالأوهام حسبما يقول المثل الأسباني . ولم يكن لديه متسع من الوقت ليضيّع أياً من هذه الأوهام ولا حتى ليكمل فصل مسحة الموتى في النهاية .

كما لم يكن لديه الوقت ليصاب بخيبة الأمل والاحباط من فيلم جريتا جاربو الذي أصاب مدريد كلها بخيبة الأمل .

رجل عجوز عند الجسر

جلس رجل عجوز بنظارة فولاذية الاطار وملابس مغبّرة جداً على جانب الطريق . كان هناك جسر عائم قد أُقيم فوق النهر، فعبرته عربات وشاحنات ورجال ونساء وأطفال . كانت العربات المجرورة بالبغال تتمايل صاعدة الضفة المنحدرة من الجسر والجنود يساعدون بدفعها من أشعة عجلاتها . كما كانت الشاحنات تصرّ صاعدة ومبتعدة وهي تدفع عن طريقها كل الفلاحين الذين كانوا يمشون بتناقل على طول الطريق وأقدامهم تغوص حتى كواحلها في التراب . لكن العجوز جلس هناك بلا أية حركة . كان تعباً جداً إلى حد أنه لم يستطع السير إلى مسافة أبعد .

كانت مهمتي أن أعْبُرَ الجسر وأستطلع رأس الجسر من الجهة الأخرى وأكتشف إلى أي حدّ تقدّم العدو . قمتُ بهذا العمل وعدتُ فوق الجسر . لم تكن هناك عربات كثيرة وكان هناك قليل جداً من المشاة لكن العجوز كان ما زال هناك .

سألته :

- من أين أتيت؟ .

قال :

- من سان كارلوس .

وابتسم .

كانتُ تلك بلدته فأثار ذكرها سروره ، فابتسم .

قال موضعاً :

- كنتُ أعنتي بالحيوانات .

- أوه .

قلتُ هذا دون أن أفهمه تماماً .

قال :

- نعم . ظللتُ أعنتي بالحيوانات ، كما ترى . كنتُ آخر من غادر بلدة سان كارلوس .

لم يكن يسدو كراعي غنم أوبقر، نظرتُ إلى ملابسه المغبّرة السوداء ووجهه المغير الأشيب ونظارته الفولاذية الاطارات ، ثم قلتُ :

- أية حيوانات كانت؟ .

قال :

- حيوانات مختلفة .

وهز رأسه :

- كان يجب أن أتركها .

كنت أراقب الجسر وأرض دلتا إيبرو الشبيهة بأرض افريقية ، وأنا أتساءل : كم من الوقت سيمضي قبل أن نرى الأعداء ، فأصيح السمع طيلة الوقت لالتقاط أول ضوضاء تشير إلى وقوع الحدث الغامض المسمى التماس بينما كان العجوز لا يزال جالساً هناك .

سألته :

- أية حيوانات كانت؟ .

قال موضحاً :

- كانت هناك ثلاثة حيوانات . كانت ثمة عنزتان وقطة وكانت هناك أربعة أزواج حمام .

سألته :

- وكنت مضطراً لتركها؟ .

- نعم . بسبب المدفعية . طلب مني النقيب أن أرحل بسبب المدفعية .

سألته . وأنا أراقب نهاية الجسر البعيدة حيث كانت آخر بضع عربات تسرع

هابطة منحدر الضفة :

- وليس لديك أسرة؟ .

قال :

- لا . فقط الحيوانات التي ذكرتها لك . القطة ، ستكون في أمان طبعاً . فالقطة

تستطيع أن تدبر أمرها ، لكنني لا أستطيع أن أتصور ما سيحل بالحيوانات الأخرى .

سألته :

- ما هي سياستك؟ .

قال :

- أنا بلا سياسة . إنني في السادسة والسبعين . لقد قطعتُ إثني عشر كيلومتراً وأظن

بأنني لن أستطيع أن أسير إلى مسافة أبعد .

قلت :

- هذا ليس مكاناً مناسباً لتوقف فيه . إن استطعتُ الير فهناك شاحنات على

الطريق الذي يتفرع ليتجه إلى تورنوسا .

قال :

- سأنتظر وهلة ثم أذهب . أين تذهب الشاحنات؟ .

قلت له :

- نحو برشلونة .

قال :

- لا أعرف أحداً في ذلك الاتجاه ، لكن ، أشكرك جزيلاً الشكر . أشكرك شكراً جزيلاً مرة أخرى .

نظر إليّ نظرة خاوية وتعبة جداً ثم قال ليشاركه شخص ماقلقه .

- القطة ستكون على ما يرام ، أنا متأكد . لا داعي للقلق على القطة . لكن الحيوانات الأخرى . ما الذي تراه بالنسبة للحيوانات الأخرى؟ .

- لماذا؟ من المحتمل أن تخرج سالمة .

- أترى هذا؟ .

قلتُ وأنا أراقب الضفة البعيدة حيث لم تعد فيها أية عربات .

- لِمَ لا؟ .

- لكن ، ما الذي ستفعله تحت قصف المدفعية في حين طلبوا مني ترك المنطقة بسبب المدفعية؟ .

سألتُ :

- اتركتَ باب قفص الحمام مفتوحاً؟ .

- نعم .

- سيطير إذن .

- نعم . سيطير بالتأكيد . لكن ، الحيوانات الأخرى . يحسن ألا أفكر بالحيوانات الأخرى .

حشنته قائلاً :

- إن استرحتِ أنتِ فإنني سأذهب . انهض وحاول السير الآن .

قال :

- شكراً لك .

نهض واقفاً ، فتمايل من جانب إلى آخر ثم جلس على التراب في الخلف .

قال ببلادة ، لكنه لم يعد يوجه كلامه إليّ :

- كنتُ اعنتني بالحيوانات فقط . كنتُ اعنتني بالحيوانات فقط .

لم يكن هناك ما يمكن فعله له . كان اليوم يوم أحد الفصح والفاشيون

يتقدمون نحو إيبيرو . كان يوماً رمادياً مكفهاً ملبداً بسقف من الغيوم فلم تحلّق

طائراتهم . فكانت تلك الحقيقة ، وحقيقة أنّ القبط تعرف كيف تدبر أمورها كل ما سيحالف ذلك العجوز من حظ حسن .

بعد العاصفة

لم يدر القتال حول أي شيء، بل دار بسبب تكوين عُصبة ثم بدانا الاقتتال، فزلت قدمي وطرحني أرضاً وحط بركبته على صدري خانقاً لإيادي بكلتا يديه كأنه كان يحاول قتلي بينما كنتُ أحاول طيلة الوقت إخراج السكين من جيبي لأفك قبضته عني. كان الكل سكارى إلى درجة أن أحداً لم يجره بعيداً عني. كان يخنقني ويدق رأسي على الأرضية فأخرجتُ السكين وفتحتها، وقطعتُ العضل في ذراعه، فأخلفتُ سيبي. لم يكن يستطيع أن يستمر في الإمساك بي حتى لو شاء ذلك. ثم تدحرج وأمسك بتلك الذراع وأخذ يصرخ فقلت:

- لِمَ تريد خنقي بحق الجحيم؟

كان عليّ أن أقتله. فلم أستطع البلع مدة أسبوع. لقد آذى حلقي كثيراً. حسناً، خرجتُ من هناك وبقي الكثير منهم معه بينما خرج البعض ورائي فدرتُ إلى أن وصلتُ إلى أرصفة الميناء حيثُ قابلتُ شخصاً هناك قال لي بأن شخصاً قُتل رجلاً في أعلى الشارع. سألتُ: «مَنْ الذي قتله؟» وقال: «لا أعرف مَنْ الذي قتله لكنه مات فعلاً»، وكان الظلام مخيماً والماء متجمعاً في الشارع ولم تكن ثمة أنوار كما كانت النوافذ والقوارب منتشرة في البلدة والأشجار ساقطة وكل شيء متناثر هنا وهناك فأخذتُ مركباً وخرجتُ لأجد زورقي في المكان الذي وضعتُه فيه في داخل جزيرة مانجو وكان الزورق سليماً إلا أنه كان مليئاً بالماء. فأفرغته من الماء ودفعته إلى البحر وكان القمر في السماء، لكن، كان فيها الكثير من السحب وكان البحر لا يزال هائجاً بينما كنتُ أبحر بالزورق، وحين طلعتُ نور النهار كنتُ بعيداً عن المرفأ الشرقي.

يا أخي، لقد كانت عاصفة هوجاء. وكان زورقي أول زورق يخرج إلى عرض البحر، فلم أر في حياتي مثل ذلك الماء. لقد كان أبيض كبرميل من القلي* يسير من المرفأ الشرقي في اتجاه الجزيرة الجنوبية الغربية، ولم يكن باستطاعتك رؤية الشاطئ. كانت ثمة قناة كبيرة عبر منتصف الشاطئ. كما كانت الأشجار وأشياء أخرى قد اقتُلعت وتطايرت وشُقَّت قناة. وكان الماء كله أبيض كالطباشير وتناثرت عليه أشياء كثيرة: فروع أشجار وأشجار كاملة وطيور ميتة، وطفلاً كل هذا على سطحه. وتجمعت كل طيور البيلكيان الموجودة في العالم وكل أنواع الطيور

* محلول قلوي يستعمل في الغسيل و صنع الصابون. (المترجم).

المحلقة . لا بد أنها دخلت إلى تلك الجزر حين عرفت بأن العاصفة كانت على وشك الهبوب .

تمددت على الجزيرة الجنوبية الغربية مدة يوم واحد ولم يلحق بي أحد . كنتُ أول من خرج بقارب فرأيتُ سارية تظفو وعلمتُ بأنه لا بد أن يكون هناك حُطام سفينة فخرجتُ إلى البحر بحثاً عنها . وجدتها . كانت سفينة من نوع سكونه بثلاثة صواري ، فتمكنت من رؤية جذوع سواربها خارج الماء . كانت في مياه عميقة جداً فلم أستطع إستخراج أي شيء منها . كنتُ أتمتع بالأفضلية على كل جزء منها وكنت أعرف بأنني لا بد أن أحصل على ما كان فيها . فهبطتُ متقدماً فوق حاجز الرمل من المكان الذي تركتُ فيه تلك السكونة ذات الصواري الثلاثة ، فلم أجد شيئاً ، فقطعتُ مسافة طويلة . كنتُ قد ابتعدتُ في اتجاه الرمال اللينة فلم أجد شيئاً ، لذلك تابعت التقدم . وحين أصبحتُ على مرأى من ريبكا لايتُ رأيتُ كل أنواع الطيور تحلق فوق شيء ما فاتجهتُ نحوها لأزى ما كان ذلك الشيء ، وهناك كانت سحابة طيور محلقة .

رأيتُ شيئاً يشبه الصاري يطلّ خارج الماء وحين اقتربتُ منه انطلقت الطيور محلقة في السماء وبقيتُ على قرب مني . كان الماء ضافياً هناك بينما تناثرت أنواع من صواربها وهناك بارزة فوق سطح الماء قليلاً ، وحين اقتربتُ منها إلى مسافة أقرب ، رأيتُ ما تحت الماء معتماً كله كظل طويل فاتجهتُ فوقها مباشرة فرأيتُ تحت الماء باخرة ، تستقر كلها تحت الماء كبيرة كالعالم كله . وانجرفتُ فوقها وأنا في قاربي . كانت تستقر على جنبها بينما كانت مؤخرتها عميقة في الأسفل . كانت كل كوى السفينة محكمة الاقفال . فتمكنت من رؤية الزجاج يلعب في الماء ورؤية السفينة كلها ، كانت أكبر سفينة رأيتها في حياتي تستقر هناك فاندفعت على امتداد طولها ثم عدتُ وأرسيت القارب على مقدمة سطحها ثم دفعت به في الماء وجدفتُ بينما كانت الطيور كلها تحوم حولي .

كانت لدي نظارات الماء التي نستعملها في صيد الاسفنج لكن يدي كانت تهتز كثيراً حتى أنني لم أكن أكاد أستطيع الإمساك بها . كانت كل كوى السفينة مغلقة وكان بوسعك رؤية كل ما امتد فوقها ، لا بد أن شيئاً كان مفتوحاً في الأسفل هناك قرب القاع ، فقد كانت ثمة قطع تظفو خارجة من هناك طيلة الوقت . لم يكن باستطاعتك معرفة طبيعة تلك الأشياء . كانت قطعاً فقط . وكانت هي التي تلاحقها الطيور . لم تر طيلة حياتك هذا العدد الكبير من الطيور . كانت كلها حولي صارخة بجنون .

كان بوسعي رؤية كل شيء بوضوح ودقة . وكان بوسعي أن أرى بأنها كانت مكتملة التدوير وبدت كأن طولها يبلغ الميل تحت الماء . وكانت تستقر على منحدر أبيض من الرمال وكان الصاري نوعاً من صاري أمامي أو نوعاً من مجموعة جبال أشرعة وصواري مالت خارجةً من الماء بالطريقة التي استقرت فيها السفينة على جنبها . لم تكن مقدمتها بعيدة تحت الماء . فقد تمكنتُ من الوقوف على أحرف اسمها المكتوب على مقدمتها ورأسي فقط خارج الماء . لكن أقرب كوة كانت على بُعد إثني عشر قدماً تحت الماء . وكان يمكنني لمسها بالعمود فقط فحاولتُ كسرهما به لكنني لم أستطع ذلك . فقد كان الزجاج أقوى مما يمكنني كسره . لذلك جَدَفْتُ راجعاً إلى القارب واخرجتُ مفتاح رَبط وربطته بنهاية العمود، لكنني لم أستطع كسرهما . ونظرتُ من مكاني إلى الأسفل من خلال الزجاج إلى تلك الباخرة وإلى كل ما فيها من أشياء ، فقد كنتُ أول مَنْ وصل إليها إلا أنني لم أستطع دخولها . لا بد أنها تحمل في داخلها ما يعادل خمسة ملايين دولار .

أثار التفكير بما فيها من أموال الرعشة في نفسي . فقد كان بوسعي أن أرى شيئاً داخل الكوة المغلقة ، لكنني لم أستطع معرفة طبيعته من خلال نظارة الماء . لم أستطع الاستفادة من العمود ، فخلعتُ ملابسي ووقفتُ ثم أخذتُ عدة أنفاس عميقة وغطست بعيداً عن مؤخره الباخرة ومفتاح الربط في يدي ، وسبحت هابطاً إلى أسفل . كان بوسعي أن أحبس أنفاسي مدة ثانية وأنا أفق على كوة السفينة ، كما كان بوسعي أن أرى ما في داخلها ، فرأيتُ هناك امرأة يطفو شعرها في جميع الاتجاهات . رأيتها تطفو ، فضربت الزجاج مرتين بمفتاح الربط بقوة حتى أنني سمعت صوت الخبط يتردد في أذني لكنه لم ينكسر وكان لا بد أن أصعد .

تمسكتُ بالقارب الصغير والتقطتُ أنفاسي ثم صعدتُ إليه وأخذتُ عدة أنفاس وغطستُ مرة أخرى . سبحتُ هابطاً إلى الأسفل وتمسكتُ بحافة الكوة بأصابعي وأمسكتُ بها وضربتُ الزجاج بأقصى ما أستطيع من قوة بمفتاح الربط . كان بوسعي رؤية المرأة من خلال الزجاج طافيةً في الماء . كأن شعرها مربوطاً لصق رأسها مرة ثم طافيةً في كل مكان في الماء مرة أخرى . كان بوسعي رؤية خواتم في إحدى يديها . وكانت لصق كوة السفينة فضربتُ الزجاج مرتين لكنني لم أستطع حتى شرحه . حين صعدتُ ظننتُ أنني لن أصل إلى القمة قبل أن أكون مضطراً لالتقاط أنفاسي .

هبطتُ مرة أخرى وشرختُ الزجاج ، شرختُه فقط ، وكان أنفي ينزف حين وصلتُ إلى الأعلى ، فوقفتُ على مقدمة السفينة وقدماي الحافيتان على أحرف

إسمها ورأسي فقط يطل خارج الماء، فاسترحت هناك ثم سبحت نحو الزورق وجررتُ نفسي إلى داخله وجلست هناك في إنتظار أن يزول الألم من رأسي وأنا أنظر إلى الأسفل من خلال نظارة الماء، لكنني نزلتُ وكان لا بد أن أغسل زجاج النظارة. ثم تمددتُ على ظهري في المركب ناظراً إلى أعلى بينما حلق مليون طائر فوقي وحولي.

حين توقف النزيف، أقيتُ نظرة أخرى خلال النظارة ثم جدتُ مقرباً من القارب محاولاً البحث عن شيء أثقل من مفتاح الربط، لكنني لم أجد شيئاً، حتى ولا كلاب إسفنج. عدتُ وكان الماء أصفى طيلة الوقت حتى أنه كان بوسعك رؤية كل شيء يخرج طافياً فوق تلك الضفة من الرمل الأبيض. بحثتُ عن أقراش بحر لكنني لم أجد أيّاً منها. فقد كان بوسعك رؤية قرش بحر من مسافة بعيدة جداً. فالبحر كان صافياً جداً والرمل أبيض. كانت ثمة كلابة لمرساة على الزورق فقطعتهما وصعدتُ إلى سطح السفينة ثم هبطتُ وأنا أحملها. حملتني إلى الأسفل مباشرة وبمحاذاة الكوة فحاولتُ الإمساك بها لكنني لم أستطع الإمساك بأي شيء فتابعت النزول إلى أسفل وأسفل، منزلقاً على جنب السفينة المنحني. كان لا بد أن أفلت الكلابة. فسمعتها ترتطم مرة واحدة وبدا كأن سنة قد مرت عليّ قبل أن أصل إلى سطح الماء. كان الزورق قد طفا مبتعداً مع حركة المد والجزر فسبحتُ نحوه وأنفي ينزف في الماء وأنا أسبح وكنتُ مسروراً سروراً عظيماً لأنه لم يكن ثمة أقراش بحر، لكنني كنتُ تعباً.

أحسستُ بأن رأسي يتشقق، فتمدتُ في الزورق واسترحتُ ثم جدتُ عائداً. كان قد مضى وقت طويل من بعد الظهر. فهبطتُ مرة أخرى حاملاً مفتاح الربط، لكنه لم يكن ذا فائدة. فقد كان ذلك المفتاح خفيفاً جداً. لم يكن من فائدة من الغوص إلا إذا كان لديك مطرقة كبيرة أو شيء ثقيل ثقلاً كافياً ليكون صالحاً للعمل. ثم ربطتُ المفتاح بالعمود مرة أخرى ونظرتُ خلال نظارة الماء وخبطتُ على الزجاج وطرقتُ عليه إلى أن أفلت المفتاح من العمود ورأيتُ من خلال النظارة ينزل بوضوح ودقة على السفينة ويهبط إلى الأسفل إلى الرمال اللينة ويغطس فيها. ثم لم أعد أستطيع فعل أي شيء. فقد أفلت المفتاح وضاعت الكلابة، فجدتُ راجعاً إلى القارب. كنتُ تعباً جداً حتى أنني لم أستطع جرّ الزورق إلى ظهر الباخرة كما كانت الشمس هابطة تماماً. كانت الطيور كلها تتجمع لتخرج وتترك السفينة فاتجهتُ نحو الجزيرة الجنوبية الغربية جارا الزورق بينما الطيور تندفع محلقة أمامي وخلفي. كنتُ تعباً جداً.

في تلك الليلة، هبّت الرياح واستمر هبوبها مدة أسبوع. لم يكن بوسعك أن تخرج إلى السفينة. ثم خرجوا من المدينة وجاءوا ليخبروني بأن الشخص الذي كان عليّ أن أجرحه بخير ما عدا ذراعه، فعدتُ إلى المدينة ووضعتُني تحت كفالة بمبلغ خمسمائة دولار. وانتهت القضية على خير وجه لأن بعضهم، أعني أصدقاء لي، أقسموا بأنه كان يجري خلفي ومعه فأس، لكن، وحين رجعتُ إلى الباخرة كان اليونانيون قد فجروها وفتحوا فتحة فيها ونظفوها تماماً. كما كانوا قد أخرجوا الخزنة الحديدية بالديناميت. لم يعرف أحد كم من المال أخرجوا منها. لقد كانت تحمل ذهباً وأخذوه كله. لقد جردوها ونظفوها تماماً. لقد اكتشفتُ أنا وجودها لكنني لم أحصل منها على فلس واحد*.

لقد كانت شيئاً جهنمياً حقاً. لقد قالوا بأنها ما كادت تخرج من مرفأ هافانا إلا وعصف الأعصار بها فلم تستطع دخول المرفأ أو أن أصحابها لم يتيحوا الفرصة لربانها بالدخول، فقد قالوا بأن الربان أراد محاولة ذلك، لذلك كان لا بد أن تندفع مع الأعصار وساروا مع التيار محاولين الدخول عبر الخليج بين ريكا وتورتوجاس حين صدمت الرمال اللينة. ربما كانت دقّتها قد انحرفت مبتعدة. أو ربما لم يكونوا يوجهونها. لكنهم ما كانوا يستطيعوا أن يعرفوا بأن هناك رمال لينة، ولا بد أن الربان كان قد أمرهم بفتح خزانات الصابورة حين ارتطمت الباخرة بالرمال حتى يمكنها أن تستقر بلا حراك. لكن ما كان قد صدمها هو الرمل اللين، فغطست حين فتحوا خزاناتها ومؤخرتها تتقدمها ثم انقلبت على نهايات أشعتها. كان على ظهرها أربعمئة وخمسون راكباً وطاقمها ولا بد أنهم كانوا كلهم على ظهرها حين اكتشفتُ وجودها. لا بد أنهم فتحوا الخزانات حالما ارتطمت بالرمال فسحبته تلك الرمال إلى الأسفل في لحظة استقرارها عليها. ثم لا بد أن تكون مراجلها قد انفجرت وأن ذلك الانفجار سبّب خروج تلك القطع. كان من الغريب عدم وجود أقراس بحر هناك. لم يكن ثمة أية سمكة. وإلا لكان بوسعي رؤيتها في ذلك الرمل الأبيض الصافي.

إلا أن الكثير من السمك كان هناك، السمك اليهودي، أكبر أنواع الأسماك. وكان أضخم جزء من السفينة تحت الرمل الآن بينما الأسماك تعيش داخلها، أضخم أنواع السمك اليهودي. إن بعضه يزن ثلاثمئة أو أربعمئة رطل. سنخرج في أحد الأيام ونصيد بعضه. كان بوسعك أن ترى أنوار زيكا من حيث تستقر. لقد وضعوا طّفوا عليها الآن. إنها تستقر عند نهاية الرمل اللين تماماً وفي طرف الخليج

• في الأصل: نيكل والنيكل يساوي خمسة ستات. (الترجم).

تماماً . لقد أخطأتُ العبور فقط بحوالي مائة ياردة . لقد ضلوا الطريق في الظلام
وأثناء العاصفة ، فما كان بوسعهم رؤية ربيكا والسماء تمطر بالطريقة التي كانت
تمطر بها . كما أنهم لم يكونوا معتادين على مثل ذلك النوع من العواصف . فربان
الباخرة لم يكن معتاداً على الانزلاق جانباً بتلك الطريقة . وكان لهم خط سير ، كما
قالوا لي بأنهم يستعملون نوعاً من البوصلة توجه نفسها بنفسها . من المحتمل أنهم
لم يعرفوا أين كانوا حين هبَّت عليهم تلك العاصفة لكنهم كادوا أن ينجحوا بالعبور .
ربما كانوا قد فقدوا الدفة . وعلى أية حال ، لم يكن أمامهم من شيء آخر ليصدموه
أثناء إبحارهم في الخليج حتى يبلغوا المكسيك . إلا أن شيئاً لا بد كان هناك حين
حوصروا أثناء ذلك المطر وتلك الريح ، فأمرهم الربان بفتح الخزانات . ما كان بوسع
أحد البقاء على ظهر السفينة أثناء العاصفة . لا بد أن الكل كانوا في الأسفل . فما
كان بوسعهم البقاء على ظهر السفينة . لا بد أن هياجاً وضجيجاً قد ثار في داخلها
حقاً ، فقد عرفتُ بسرعة كما تعرفون . لقد رأيتُ مفتاح الربط ينغرس في الرمل . وما
كان بوسع الربان أن يعرف بأن ما اصطدمت به السفينة كان رملًا لئناً إلا إذا كان
الربان يعرف طبيعة هذه المياه . لقد عرفتُ فقط بأنها لم تكن صخوراً . لا بد أنه رآها
كلها من الجسر . ولا بد أنه عرف حقيقتها حين استقرت السفينة عليها . انني
أتساءل : كم من الوقت استغرقت حتى استقرت هناك . وأتساءل إن كان مساعد
الربان معه أم لا . هل ترى بأنهم بقوا داخل الجسر أم أنها فاجأتهم وهم في
الخارج ؟ إنهم لم يعثروا على أية جثة . ولا جثة واحدة . ولا أي شخص طاف . لقد
طفوا إلى مسافة بعيدة بأحزمة النجاة أيضاً . لا بد أنهم استعملوها وهم في الداخل .
جسناً ، لقد استولى اليونانيون عليها كلها . كل شيء . لا بد أنهم جاءوا بسرعة حقاً .
لقد نظفوها تماماً . لقد حضرتُ الطيور أولاً ثم أنا ثم اليونانيون ، وحتى الطيور نالتُ
منها أكثر مما نلتُ أنا منها .

مكان نظيف جيد الاضاءة

كان الوقت متأخراً وغادر الكسل المقهى ما عدا رجل عجوز جلس في الظل الذي تلقى أوراق الشجرة حاجبة النور الكهربائي . كان الشارع مغبراً في النهار، لكن الندى ثبت الغبار في الليل فكان العجوز يحب الجلوس حتى ساعة متأخرة منه، لأنه كان أصم وكان الليل في هذه الساعة هادئاً مما يجعله يحس بالفرق . كان النادلان داخل المقهى يعرفان بأن الرجل العجوز كان ثملاً قليلاً، كما كانا يعرفان بأنه سيفادر المقهى دون أن يدفع الحساب إن هوسكر تماماً، بالرغم من أنه كان زبوناً جيداً، فاستمرا في مراقبته . .

قال أحد النادلين :

- حاول الانتحار في الاسبوع الماضي .

- لماذا؟ .

- كان يائساً .

- مِمَّ؟ .

- لا شيء .

- كيف عرفت بأنه لا شيء؟ .

- لديه مال كثير .

جلسا معاً إلى طاولة ملاصقة للحائط قرب باب المقهى ونظرا إلى الشرفة حيث كانت الطاولات فارغة ما عدا الطاولة التي جلس إليها الرجل العجوز في ظلال أوراق الشجرة التي كانت تتحرك قليلاً في الريح . مرّت فتاة وجندي في الشارع . فتلألأ ضوء الشارع على الرقم النحاسي المثبت على ياقته . ولم تكن الفتاة تضع غطاء على رأسها وكانت تسير مسرعة إلى جانبه .

قال أحد النادلين :

- سيمسك به الحرس .

- ماذا يهمه إن هونال ما يبحث عنه؟ .

- يحسن به أن يغادر الشارع الآن . سيقبض عليه الحرس . لقد مروا من هنا قبل

خمس دقائق .

نقر الرجل العجوز الجالس في الظل على طبق الفنتجان بكأسه . فاقترب

النادل الصغير منه .

- ماذا تريد؟ .
- نظراً إليه العجوز، قال :
- كأس براندي أخرى .
- قال النادل :
- مستسكر .
- نظراً إليه العجوز . فابتعد النادل .
- قال لزميله :
- سيقضي الليل كله هنا . أنا نعسان الآن . وأنا لا آوي إلى الفراش قبل الساعة الثالثة . ليته قتل نفسه في الأسبوع الماضي .
- أخذ النادل قنينة البراندي وصحن فنجان آخر من نضد حاجز المشرب داخل المقهى وسار نحو طاولة العجوز . وضع الصحن وملأ الكأس بالبراندي تماماً .
- قال للرجل الأصم :
- كان يجب أن تقتل نفسك في الأسبوع الماضي .
- أشار الرجل العجوز بأصبعه ، وقال : «زيادة قليلاً» . صبّ النادل في الكأس حتى اندلق البراندي منها وجرى حتى أسفل ساق الكأس إلى داخل أعلى صحن في كومة الصحنون .
- قال العجوز : «شكراً» . أعاد النادل القنينة إلى داخل المقهى . ثم عاد وجلس إلى الطاولة مع زميله . قال :
- إنه سكران الآن .
- إنه سكران كل ليلة .
- لماذا أراد قتل نفسه؟ .
- كيف أعرف هذا؟ .
- كيف فعل هذا؟ .
- شنق نفسه بحبل .
- مَنْ قَطَعَهُ وَأَنْقَذَهُ؟ .
- ابنة أخيه .
- لماذا فعلوا هذا؟ .
- خوفاً على روحه .
- كم لديه من مال؟ .
- لديه الكثير جداً .

- لا بد أنه في الثمانين من عمره .
- لا بد أن أقول بأنه في الثمانين على أية حال .
- ليته يعود إلى بيته . أنا لا آوي إلى فراشي قبل الثالثة . يا لها من ساعة تأوي فيها إلى الفراش؟ .
- يبقى مستيقظاً لأنه يحب هذا .
- هو وحيد . أنا لستُ وحيداً . عندي زوجة تنتظرنني في السرير .
- كانت له زوجة ذات يوم أيضاً .
- لن تكون أية زوجة نافعة له الآن .
- لا يمكنك معرفة هذا . قد يكون في حال أفضل مع زوجة .
- ^{*} ابنة أخيه ترعاه .
- أعرف . لقد قلتُ بأنها قطعت الحبل وأنقذته .
- لا أود أن أبلغ ذلك العمر . الرجل العجوز شيء قذر .
- ليس دائماً . فهذا العجوز نظيف . يشرب دون أن يدللق الخمر . حتى الآن ، وهو سكران . أنظر إليه .
- لا أريد أن أنظر إليه . أتمنى أن يعود إلى بيته . إنه لا يبالي بأولئك الذين لا بد أن يعملوا .
- رفع العجوز نظره عن كأسه ونظر إلى الجانب الآخر من الميدان ثم إلى النادلين .
- قال وهويشير إلى كأسه :
- كأس براندي أخرى .
- اقرب منه النادل المستعجل .
- قال وهويشوه التركيب اللغوي للجمل كما يفعل الأغبياء حين يخاطبون سكارى أو أجانب :
- كَمَل . لا زيادة الليلة . إقفال الآن .
- قال العجوز :
- كأس أخرى .
- لا . كَمَل .
- مسح النادل حافة الطاولة بفوطة وهز رأسه .
- نهض العجوز واقفاً وعدّ الصحون ببطء ثم أخرج محفظة نقود جلدية من جيبه ودفع ثمن مشروباته تاركاً نصف بيزيتا إكرامية .

راقبه النادل وهو ينحدر مع الشارع ، رجلاً بلغ أذل العمر يمشي مترنحاً ،
لكن ، بوقار .

سأله النادل غير المتعجل :

- لِمَ لم تدعه يبقى ويشرب؟ ، لم تبلغ الساعة الثانية والنصف بعد .
- كانا يغلقان مصاريع التوافذ والأبواب .
- أريد أن أعود إلى البيت . إلى السرير .
- ما قيمة ساعة؟
- أهم بالنسبة إليّ مما هي بالنسبة إليه .
- الساعة هي نفسها بالنسبة إلى الكل .
- أنتَ نفسك تتكلم كعجوز . يستطيع شراء قنينة ويشربها في البيت .
- ليس هذا نفس الشيء .

وافقه النادل المتزوج قائلاً :

- لا . ليس نفس الشيء .
- لم يرغب في أن يكون غير مُنصف . لقد كان مستعجلاً فقط .
- وأنتَ؟ ، ألا تخشى العودة إلى البيت قبل ساعة عودتك المعتادة؟ .
- أتحاول إهانتني؟
- لا يا فتى . قلتها فقط على سبيل المزاح .
- قال النادل المتعجل وهو يقف معتدلاً بعد إنزاله المصاريع المعدنية :

- لا ، عندي ثقة . كلي ثقة .

قال النادل كبير السن :

- عندك شباب وثقة وعمل . عندك كل شيء .
- وماذا ينقصك أنت؟ .
- كل شيء ما عدا العمل .
- عندك كل ما عندي .

- لا . لم تكن لدي أية ثقة قط وأنا لستُ شاباً .

- هيا . كَفَّ عن الكلام الفارغ واقفل المحل .

قال النادل كبير السن :

- أنا واحد من أولئك الذين يحبون البقاء في المقهى حتى ساعة متأخرة . مع كل أولئك الذين لا يريدون أن يأووا إلى الفراش . مع كل أولئك الذين يحتاجون إلى نور الليل .

- أريد أن أعود إلى البيت وأندس في السرير.

قال النادل كبير السن :

- نحن من نوعين مختلفين .

كان قد غير ملبسه للعودة إلى البيت .

- ليس المسألة مسألة شباب وثقة فقط ، مع أن ذينك الشيتين جميلين . ففي كل

ليلة أتردد في قفل المحل ، فقد يكون هناك شخص بحاجة إلى المقهى .

- يا فتى ، ثمة خمّارات تظل مفتوحة طيلة الليل .

- أنت لا تفهم . هذا مقهى نظيف ومبهج . إنه جيد الاضاءة . النور فيه جيد جداً

وهناك ظلال أوراق الشجرة الآن .

قال النادل صغير السن :

- تصبح على خير .

قال الآخر :

- تصبح على خير .

واستمر في الحديث إلى نفسه وهويطفىء نور الكهرواء . إنه النور طبعاً ، لكن

من الضروري أن يكون المكان نظيفاً ومبهجاً . أنت لا تريد موسيقى . من المؤكد

أنك لا تريد موسيقى . كما لا يمكنك الوقوف أمام نضد حاجز مشرب بوقار مع أن

هذا هو ما يُقدّمه لهذه الساعات . ما الذي يخاف منه؟ ، لم يكن الخوف أو الرهبة .

كان لا شيئاً يعرفه جيداً جداً . كان كله لا شيئاً والانسان كان لا شيئاً أيضاً . كان ذلك

فقط وكان النور هو كل ما هو مطلوب مع بعض النظافة والنظام . البعض يعيش فيه

ولا يشعر به أبداً . . أما هو فكان يعرف بأنه كله nada y pues nada y nada y pues

nada فيا لا شيئاً الذي أنت في لا شيء ، ليكن اسمك لا شيء وملكوتك لا شيء

ومشيتك لا شيء في لا شيء كما هي في لا شيء . أعطنا هذا اللاشيء لا شيئاً

اليومي ولا تُشيئنا لا شيئاً كما لا تُشيء لا أشياءنا لا تُشيئنا في لا شيء بل نجنا من لا

شيء ، وبعد لا شيء . السلام عليك يا لا شيء الممتلئة باللاشيء لا شيء معك .

ثم أبتسم ووقف أمام نضد حاجز مشرب عليه جهاز لامع لصنع القهوة بضغط

البخار .

سأله الساقى :

- ماذا تطلب؟ .

- لا شيء "nada" .

● بالاسبانية في الأصل ، وتعني : لا شيء وبعد ذلك لا شيء ولا شيء وبعد ذلك لا شيء .

قال الساقى :

* Otro loco mas -

وابتعد .

- فنجاناً صغيراً .

صبه الساقى له .

قال النادل :

- النور ساطع جداً ومبهج لكن نضد حاجز المشرب غير مصقول .

نظر إليه الساقى ، لكنه لم يجبه . فالليل كان متأخراً على تبادل الحديث .

سأل الساقى :

- تريد فنجاناً آخر؟ .

قال النادل :

- لا . شكراً .

وخرج . إنه يكره الحانات والمخمارات . إن مقهى نظيفاً جيد الاضاءة شيء
يختلف عنها اختلافاً كبيراً . سيمضي الآن عائداً إلى بيته ثم إلى غرفته دون أن يفكر
أكثر مما فكر . سيتمدد على السرير ثم يستغرق في النوم أخيراً مع طلوع النهار . قال
لنفسه : مع هذا كله ، ربما يكون هذا مجرد أرق فقط . لا بد أن الكثيرين يعانون
منه .

* بالاسبانية في الاصل وتعني : مجنون آخر . (المترجم) .

نور العالم

عندما رأنا الساقى ندخل من الباب، رفع نظره ومدّ يده إلى طبقى المازة المجانية وغطاهما بأغطية زجاجية .

قلت :

- أعطني بيرة .

سحب قنينة ثم قطع سداداتها ونزعها بملعقة باسطة ثم رفع الكأس في يده . وضعت قطعة النيكل على الخشب فدفع البيرة نحوي .

سأل الساقى توم :

- ما هو شرابك؟ .

- بيرة؟ .

سحب تلك البيرة ونزع سداداتها ثم دفع البيرة نحو توم حين رأى النقود .

سأل توم :

- ما الأمر؟ .

لم يجبه الساقى . نظر من فوق رؤوسنا فقط وقال لرجل دخل المحل :

- ما هو شرابك؟ .

- ويسكي جاودار .

أخرج الساقى القنينة وكأساً وكأس ماء .

مدّ توم يده وأبعد غطاء طبق المازة المجانية الزجاجي . كان طبق أقدام خنازير مخلّبة وفيه أداة خشبية تعمل كمقص ، في نهايتها شوكتان خشبيتان لالتقاط المخلل .

قال الساقى :

- لا .

وأرجع الغطاء الزجاجي إلى الطبق . وكان توم يمسك شوكة المقص الخشبية

بيده .

قال الساقى :

- أرجعها .

قال توم :

أنت تعرف إلى أين؟ .

مدّ الساقى يده إلى أسفل نضد حاجز المشرب وهو يراقبنا. وضعتُ خمسين
ستناً على الخشب، فاعتدل.

- ماذا كان شرابكما؟

قلت:

- بيرة.

وقبل أن يسحب البيرة كشف الغطاء عن الطبقين.

قال توم:

- إن أقدام خنازيرك اللعينة نتنة.

وبصق ما كان في فمه على الأرضية. لم يقل الساقى شيئاً. دفع الرجل الذي
شرب ويسكي الجاودار الحساب وخرج دون أن يلتفت إلى الخلف.

قال الساقى:

- أنتَ نفسك نتن، أنتم كلكم أيها الأولاد نتون.

قال تومي لي:

- يقول بأننا أولاد.

قلت:

- إسمع. لنخرج.

قال الساقى:

- أيها الأولاد، طهروا هذا المكان من وجودكم.

قلت:

- قلتُ أننا سنخرج. لم تكن هذه فكرتك.

قال تومي:

- سنعود.

قال له الساقى:

- لا. لن تعودا.

التفت تومي إليّ وقال:

- أخبره كم هو مخطيء.

قلت:

- هيا بنا.

في الخارج، كان الجو لطيفاً ومظلماً.

قال تومي:

- أي مكان جحيميّ النوع هذا؟ .

قلت :

- لا أدري . لنذهب إلى المحطة .

لقد دخلنا تلك المدينة من أحد طرفيها بينما سنخرج من طرفها الآخر . وكانت تعبق برائحة جلود ولحاء الدبّاغين وأكوام نشارة الخشب الضخمة . كان الظلام يخيم حينما دخلناها ، وها قد أصبحت الآن باردة بعد أن خيم الظلام فتجمدت أطراف برك الماء المتجمعة في الطريق .

كانت في المحطة خمسُ عاهرات ينتظرن أن يدخل القطار المحطة مع ستة رجال بيض وأربعة هنود . كانت المحطة مزدحمة وحارة من الموقد الذي فيها كما تراكم دخان باث فيها . حين دخلنا ، لم يكن من أحد يتكلم وكان شبّاك التذاكر مقفولاً .

قال أحد الأشخاص :

- أغلق الباب . ألا تستطيع أن تفعل هذا؟ .

نظرتُ لأرى مَنْ قال هذا . كان أحد الرجال البيض . كان يرتدي بنطالاً من جلد الوعل ومطّاط تجار الخشب وقميصاً ماكيناوياً مثل الآخرين ، لكنه لم يكن يعتمر طاقية وكان وجهه أبيض ويداه بيضاوين ونحيلتين .

- ألن تغلقه؟ .

قلت :

- بالتأكيد .

وأغلقتّه .

قال :

- شكراً .

ضحك واحد من الرجال الآخرين بصوت مكتوم .

قال لي :

- هل تعرّفت على طبّاخ في حياتك؟ .

- لا .

- يمكنك التعرف على هذا الطباخ .

نظر إلى الطباخ . وتابع :

- إنه يجب هذا .

أشاح الطباخ بوجهه عنه زاماً شفّتيه باحكام .

قال الرجل :

- إنه يضع عصير الليمون على يديه . إنه لا يضعهما في طبق ماء أياً كان الثمن .
أنظر كم هما بيضاوان .

ضحكت إحدى العاهرات بصوت عالٍ . كانت أضخم عاهرة رأيتها في حياتي وأضخم امرأة كذلك . كانت ترتدي تلك الملابس الحريرية التي تتغير ألوانها . كانت هناك عاهرتان أخريان ضخمتين ضخامة الأولى تقريباً لكن وزن أضخمهن حجماً كان ثلاثمائة وخمسين رطلاً . لن تستطيع تصديق أنها شيء حقيقي عندما تنظر إليها . كن ثلاثهن يرتدين تلك الثياب الحريرية متغيرة الألوان . جلسن واحدة إلى جانب الأخرى على المقعد الخشبي الطويل . كن ضخمت . وكانت الاثنتان الأخريان عاهرتين عاديتين المظهر شقراوين بلون البيروكسيد .

قال الرجل :

- أنظر إلى يديه .

وأوماً يراسه إلى الطباخ . ضحكت العاهرة مرة أخرى واهتز كل جسدها .

التفت إليها الطباخ وقال لها بسرعة :

- أنت يا جيبلاً ضخماً مقرفاً من اللحم .

واصلت الضحك والاهتزاز .

قالت :

- آه يا مسيحي . آه يا مسيحي الجميل .

كان صوتها جميلاً .

تصرّفت العاهرتان الأخريان ضخمتا الجثة بهدوء عظيم ورباطة جأش كأن لم يكن لديهما الكثير من الاحساس ، لكنهما كانتا ضخمتين ، بحجم أضخمهن تقريباً . كان وزن كل منهما يزيد عن المائتين والخمسين رطلاً . بينما كانت الاثنتان الأخريان وقورتين .

كان هناك خطّابان آخران اضافة إلى الطباخ وإلى الشخص الذي تكلم ، كان أحد هذين الخطّابين هو ذلك الذي كان يصغي بانتباه ، لكن بخجل ، والأخر هو الذي بدا بأنه يستعد لأن يقول شيئاً ، وكان هناك سويديان أيضاً . كان هنديان يجلسان على طرف المقعد الخشبي الطويل بينما كان هندي آخر يقف متكئاً على الحائط .

قال لي الرجل الذي كان مستعداً لأن يقول شيئاً ، قال بصوت منخفض :

- لا بد أن هذا يشبه الصعود إلى قمة مخزن تبن .

ضحكتُ ونقلتُ قوله إلى تومي :

قال :

- أقسم بالمسيح بأنني لم أزر مكاناً كهذا المكان . أنظر إلى ثلاثهن .

ثم رفع الطباخ صوته قائلاً :

- كم عمركما أيها الفتیان ؟ .

قال تومي :

- عمري ست وتسعون سنة وعمره تسع وستون سنة .

- هو هو هو .

أهتزت العاهرة الضخمة بالضحك . إن لها صوتاً جميلاً حقاً . لم تبسم العاهرتان الأخريان .

قال الطباخ :

- أوه . ألا يمكنك أن تكون مهذباً . لقد سألتُ تودداً فقط .

قلت :

- نحن في السابعة عشرة والتاسعة عشرة .

التفت تومي إليّ :

- ما بك ؟ .

- ذلك صحيح .

قالت العاهرة الضخمة :

- تستطيعون مناداتي بـ « أليس » .

ثم بدأت تهتز ثانية :

سأل تومي :

- أذلك اسمك ؟ .

قالت :

- بالتأكيد . اسمي « أليس » . أليس كذلك ؟ .

التفتت إلى الرجل الجالس إلى جانب الطباخ .

- « أليس » . ذلك صحيح ؟ .

قال الطباخ :

- هذا هو النوع من الأسماء يصلح لك .

قالت « أليس » :

- إنه اسمي الحقيقي .

سأل توم :

- ما هما إسما الفتاتين الأخرين؟ .

قالت «أليس» :

- هازيل وايثيل .

ابتسمت هازيل وايثيل . لم تكونا مسرورتين جداً .

قلتُ لاحدى الشقراوين :

- ما اسمك؟ .

قالت :

- فرانسيس .

- فرانسيس ويلسون . ماذا يعني هذا لك؟ .

سألت الأخرى :

- ما اسمك؟ .

قالت :

- لا تكن غراً .

قال الرجل الذي تكلم أولاً :

- يريدنا فقط أن نصبح أصدقاء . ألا تريدون أن تصبحوا أصدقاء؟ .

قالت المرأة البيروكسيدية اللون :

- لا . ليس معك .

قال الرجل :

- إنها حادة الطباع فقط . إنها فتاة صغيرة جادة الطباع دائماً .

نظرتُ الشقراء إلى الأخرى وهزّت رأسها .

قالت :

- سلاحف طحلبية لعينة .

بدأت «أليس» تضحك مرة أخرى ويهتز جسدها كله .

قال الطباخ :

- ليس ثمة ما يشير الضحك . كلكم تضحكون ، لكن ليس هناك ما يشير الضحك .

أيها الفتيان الشابان ما هي وجهتكما؟ .

سأله توم :

- إلى أين أنت ذاهب؟ .

قال الطباخ :

- اريد الذهاب إلى كاديلاك، هل زرتها من قبل؟ أختي تعيش هناك.

قال الرجل الذي يرتدي بنطال جلد الغزال:

- عنده أخت هو نفسه.

سأل الطباخ:

- ألا يمكنك الكف عن ذلك النوع من الكلام؟، ألا يمكنك الكلام بأدب؟.

قال الرجل الخجول:

- كاديلاك هي المكان الذي جاء منه ستيف كيتشيل وهو المكان الذي جاء منه آد وولجاست.

قالت إحدى الفتاتين الشقراوين بصوت عالٍ كما لو كان ذكراً الاسم بمثابة ضغط زناد مسدس استقرت رصاصته فيها:

- ستيف كيتشيل، أطلق أبوه عليه النار وقتله. نعم أقسم بالمسيح، أبوه نفسه فعل هذا. لم يبق رجال كستيف كيتشيل.

سأل الطباخ:

- ألم يكن اسمه ستانلي كيتشيل؟.

قالت الشقراء:

- أوه. أغلق فمك. ما الذي تعرفه عن ستيف؟ ستانلي. لم يكن ستانلي. كان ستيف كيتشيل. كان أكثر الرجال العائشين تهديباً وجمالاً. لم أزر جلاً بنظافة وبياض وجمال ستيف كيتشيل. لم يكن ثمة رجل مثله. كان يتحرك كإنمر وكان أكثر الرجال لطفاً وكرماً.

سأل أحد الرجال:

- أعرفته؟.

- أعرفته؟ أعرفته؟ أحبته؟ تسألني عن ذلك؟ عرفته كما لم تعرف شخصاً آخر في العالم وأحبهته كما تحب الله. كان أعظم الرجال، وأكثرهم تهديباً وبياضاً وجمالاً، ستيف كيتشيل، ثم يأتي أبوه ويطلق عليه النار ويقتله ككلب؟.

- أخرجت معه إلى الساحل؟.

- لا. تعرفت عليه قبل هذا الوقت. كان الرجل الوحيد الذي أحبهته.

أحسن الكسل باحترام عميق للشقراء بلون البيروكسيد التي قالت كل هذا بطريقة مسرحية راقية جداً، لكن «أليس» أخذت تهتز ثانية. شعرت بهذا لجلوسي إلى جانبها.

قال الطباخ:

- كان عليك أن تتزوجيه .

قالت الشقراء بلون البيروكسيد :

- لم أكنُ أريد أن أضرح حياتهِ المهنيّة . لم أكنُ أريد أن أكون عقبة في طريقهِ . لم تكن الزوجة هي كل ما كان يحتاج إليه . آه يا إلهي ، لقد كان رجلاً عظيماً .

قال الطباخ :

- تلك طريقة رائعة للنظر إلى هذا . ألم يصرعه جاك جونسون بالضربة القاضية ؟ .

قالت البيروكسيدية اللون :

- كانت خدعة . فاجأه القدر الضخم . كان قد صرع جاك جونسون ذلك النغل الضخم الأسود . وضربه ذلك الزنجي ضربة أصابته بالصدفة .

إرتفع شبّاك التذاكر وانفتح فتوجه الهنود الثلاثة إليه .

قالت البيروكسيدية اللون :

- صرعه ستيف . ثم التفت إليّ لبيتسم لي .

قال أحدهم :

- أظن بأنك قلت إنك لم تذهبي معه إلى الساحل .

- ذهبْتُ إلى هناك فقط لمشاهدة تلك الملاكمة . التفت ستيف لبيتسم لي ، فقفز ابن الكلبة الأسود ذلك الخارج من الجحيم وأخذهُ علي حين غرة وضربه . يستطيع ستيف أن يهزم مائة شخص مثل ابن الحرام الأسود ذلك .

قال تاجر الأخشاب :

- كان ملاكماً عظيماً .

قالت البيروكسيدية :

- أدعو الله أن يكون كذلك . أدعو الله ألا يكون عندهم ملاكمون مثله الآن . لقد كان مثل إله ، نعم لقد كان كذلك . كان أبيض ونظيفاً وجميلاً وناعماً وسريعاً كالنمر أو كالبرق .

قال توم :

- رأيتُهُ في فيلم عن الملاكمة .

تأثرنا كلنا شديد التأثير . وكانت «اليس» تهتز كلها ، نظرتُ إليها فرأيت أنها كانت تبكي . كان الهنود قد خرجوا إلى الرصيف .

قالت البيروكسيدية :

- كان أكثر مما يمكن أن يكونه أي زوج . لقد كنا متزوجين أمام الله وأنا له الآن وسأبقى له دائماً وكلّي له ، أنا لا أهتم بجسدي . انهم يستطيعون أخذ جسدي ..

لكن روحي لستيف كيتشيل . أقسم بالله ، لقد كان رجلاً .
شعر الكل بالأسى الشديد . كان أمراً محزناً ومربكاً . ثم تكلمت « أليس » التي
كانت لا تزال تهتز ، فقالت بذلك الصوت المنخفض :
- أنتِ كذّابة قذرة . . أنتِ لم تضاجعي ستيف كيتشيل في أي يوم من أيام عمرك ،
وأنتِ تعرفين هذا .

قالت البيروكسيدية بخفر :

- كيف تجرؤين على قول هذا؟ .

قالت « أليس » :

- قلتُ هذا لأنها الحقيقة ، أنا الانسانة الوحيدة هنا التي عرفتُ ستيف كيتشيل وقد
جئتُ من مانسيلونا وعرفته هناك وهذا حقيقي وأنتِ تعرفين بأن هذا حقيقي
وليصرعني الله ويميتني إن لم يكن هذا حقيقياً .

قالت البيروكسيدية :

- وليصرعني الله ويميتني كذلك . .

- هذا حقيقي حقيقي حقيقي . وأنتِ تعرفين هذا . إنها ليست بقصة ملفقة وأنا
أعرف تماماً ما قاله لي .

سألت البيروكسيدية بلطف :

- ماذا قال؟ .

كانت « أليس » تبكي بحرقه حتى أنها لم تستطع الكلام إلا بصعوبة بسبب
ارتعاشها :

- قال : أنتِ فاتنة يا « أليس » . ذلك ما قاله بالضبط .

قالت البيروكسيدية :

- إنها كذبة .

قالت « أليس » :

- إنها الحقيقة . ذلك ما قاله حقاً .

قالت البيروكسيدية بكبرياء :

- إنها كذبة .

- لا إنها الحقيقة الحقيقة الحقيقة ، وأقسم بالمسيح ومريم بأنها الحقيقة .

قالت البيروكسيدية بسعادة :

- لا يمكن لسُتيف قول مثل ذلك . إنها ليست الطريقة التي يتكلم بها .

قالت « أليس » بصوتها العذب :

- إنها الحقيقة . ولن يتغير شيء إن أنتِ صدقتها أولم تصدقها .
لم تعد تبكي بل كانت هادئة .
صرخت البيروكسيدية :
- من المستحيل أن يقول ستيف ذلك ! .
قالت «أليس» وابتسمت :
- قال هذا . وأنا أذكر متى قال هذا وكنتُ أنا حينذاك قطعة فاتنة تماماً كما قال ، وأنا الآن قطعة أفضل منك ، أنتِ يا قربة ماء ساخن قديمة جافة .
قالت البيروكسيدية :
- لا يمكنك إهاتني . أنتِ يا جبل صديد ضخيم . فلي أنا ذكرياتي .
قالت «أليس» بذلك الصوت الجميل العذب .
- لا . ليس لك أية ذكريات حقيقية ما عدا إخراج أنابيك حين تشرعين بممارسة الدعارة . أما الأشياء الأخرى فقد قرأتها في الجرائد . أنا نظيفة وأنتِ تعرفين هذا . والرجال يحبونني ، مع أنني بدينة ، وأنتِ تعرفين هذا ، وأنا لا أكذب أبداً وأنتِ تعرفين هذا .
قالت البيروكسيدية :
- أتركيني مع ذكرياتي . مع ذكرياتي الحقيقة المدهشة .
نظرت «أليس» إليها ثم إلينا وفقد وجهها نظرة الاستياء تلك وابتسمت فأصبح وجهها أجمل وجه رأيته في حياتي . كان لها وجه جميل وبشرة ناعمة جميلة وصوت ساحر وكانت جميلة بلا ريب وودودة حقاً . لكن ، يا إلهي لقد كانت ضخمة . كانت بدينة بحجم ثلاث نساء . رأني توم أنظر إليها فقال :
- هيا . لنذهب .
قالت «أليس» :
- مع السلامة .
من المؤكد بأن لها صوتاً جميلاً .
قلت :
- مع السلامة .
سأل الطباخ :
- أي طريق تسلكان أيها الفتیان .
أخبره توم :
- عكس الطريق الذي تسلكه .

ليريحكم الله بالمرح ، أيها السادة

في تلك الأيام ، كانت جميع المسافات مختلفة ، وكانت الأقدار تتطير من التلال التي أزيلت الآن ، وكانت مدينة كانساس تشبه مدينة القسطنطينية كثيراً . قد لا تصدقون هذا . لا أحد يصدق هذا ، لكن هذا صحيح . فبعد ظهر هذا اليوم ، كان الثلج يتساقط ، وكانت تُعرض بعد ظهر هذا اليوم وداخل نافذة عرض محل بيع سيارات مضاءة في الظلام المبكر ، سيارة سباق مطلية كلها بلون الفضة ومكتوب على غطاء محركها كلمتا : دانس* أرجيت . رأيتُ بأن هاتين الكلمتين تعنيان الرقص الفضيّ أو الراقص الفضي ، واحترتُ قليلاً أيهما كانتا تعنيان ، لكنني سرت في الشارع تحت الثلج وأنا أحس بالسعادة من منظر السيارة والسرووريشيع في نفسي لمعرفتي لغة أجنبية . قطعتُ المسافة مشياً على الأقدام من صالون «وولف إخوان» حيث كان يقدّم في عيد الميلاد وعيد الشكر عشاءً مكوّناً من ديك حبش مجاني وسرتُ في اتجاه مستشفى المدينة الواقع على تل عال ويشرف على الدخان والمباني وشوارع المدينة . وكان في غرفة الاستقبال في المستشفى جراحاً مستشفياً الميدان : دكتور فيشير ودكتور ويلكوكس ، وقد جلس أحدهما أمام مكتب بينما جلس الآخر في كرسيّ ملاصق للحائط .

كان الدكتور فيشير نحيلاً أشقر رملياً له فم رقيق وعينان مرحتان وبدا مقامر . وكان دكتور ويلكوكس قصيراً أسمر يحمل كتاباً مفهراً هو : «صديق ودليل الطبيب الشاب» الذي كان يحدّد الأعراض والعلاج حين يُرجع إليه ويستشار في أي موضوع . كما كان مفهراً فهرسة ترافقية حتى أنه كان يقدّم التشخيص حين يُستشار حول الأعراض . وقد اقترح دكتور فيشير أن لا بد أن تفهرس أية طبعة في المستقبل فهرسة ترافقية أخرى بحيث تقدّم الألام والأعراض حين يُستشار عند معرفة العلاج . قال مبرراً هذا : «لشحد الذاكرة» .

كان لدى دكتور ويلكوكس حساسية نحو هذا الكتاب ، لكنه لم يكن يستطيع العمل دونه . كان مجلداً بجلد لّين وملائماً لحجم جيب معطفه كما كان قد اشتراه بناء على نصيحة استاذة الذي قال له : «يا ويلكوكس ، انك لا تصلح لمهنة الطب ، وقد بذلتُ كل ما لدي من قوة لأنعمك من أن تكون طبيباً تحمّل شهادة بذلك .

* يخلط الرازي بين dans الفرنسية وكلمة dance الانجليزية ، ومن هنا جاء المعنى غير الدقيق للكلمتين الفرنسيّتين . (المترجم) .

والآن، وحيث أنك أصبحت عضواً في هذه المهنة العلمية، فإني أنصحك، باسم الإنسانية، بأن تحصل على نسخة من كتاب «صديق ودليل الطبيب الشاب» وتتعلمه يا دكتور ويلكوكس، وتعلم كيف ستعمله.

لم يقل دكتور ويلكوكس شيئاً، لكنه اشترى الدليل المغلف بالجلد اللين في ذلك اليوم نفسه.

كان دكتور فيشير قد قال وأنا أدخل غرفة الاستقبال العابقة برائحة الدخان والمخدر وحامض الكاربونيك ومشع حراري مفرط الحرارة.

- حسناً يا هوارس.

قلت:

- أيها السيدان.

سأل دكتور فيشير:

- ما هي أخبار السروق المركزي؟

وافتحل طريقة عابثاً بها بالكلام بدت لي بأنها بالغة الكياسة إلى أعلى حد.

أجبت:

- الديك الرومي المجاني في محل وولف.

- شاركت فيه؟

- بافراط.

- كثير من الزملاء حضروا؟

- كلهم. كل المجموعة.

- كثير من بهجة موسم عيد الميلاد؟

- ليس الكثير منها.

قال دكتور فيشير:

- شارك دكتور ويلكوكس قليلاً.

رفع دكتور ويلكوكس نظره إليه ثم إلى.

سأل:

- تريد شارباً؟

قلت:

- لا. شكراً.

قال دكتور ويلكوكس:

- حسناً.

قال دكتور فيشير:

- هوارس، ليس لديك مانع من مناداتي لك بـ «هوارس»، أليس كذلك؟
- لا.

- هوارس العجوز الطيب. لدينا حالة مشوقة جداً.

قال دكتور ويلكوكس:

- ما هي؟

- أنت تعرف الفتى الذي أدخل إلى هنا أمس؟

- أي واحد؟

- الولد الذي طلب الخصاء.

- أعرفه.

كنتُ هناك حين دخل. كان ولداً في حوالي السادسة عشرة من عمره. حضر إلى هنا عاري الرأس وكان مهتاجاً وخائفاً، لكنه كان مصمماً. كان جعد الشعر حسن البنيان وبارز الشفتين.

سأله دكتور ويلكوكس:

- ما بك يا بني؟

قال الولد:

- أريد أن أنخصي.

سأل دكتور فيشير:

- لماذا؟

- صليتُ ودعوتُ وفعلتُ كل شيء، لكن شيئاً من هذا لم يعنني في شيء.

- يعينك على ماذا؟

- تلك الشهوة الشنيعة.

- أية شهوة شنيعة؟

- الحالة التي وصلت إليها. الحالة التي لا أستطيع التوقف عن الانحدار إليها.

لأنني أصلي طوال الليل لأتخلص منها.

سأل دكتور فيشير:

- أخبرني فقط ماذا حدث.

وأخبره الفتى.

قال دكتور فيشير:

- إسمع يا فتى. ليس فيك أي عيب. هذه هي الحالة التي من المفترض أن تكون

عليها . ليس من خطأ في ذلك .

قال الولد :

- هذا خطأ . إنها خطيئة ضد الطهارة . إنها خطيئة ضد الرب ومخلصنا .

قال دكتور فيشير :

- لا . إنها أمر طبيعي . إنها الحالة التي من المفترض أن تكون عليها وسترى بأنك محظوظ جداً فيما بعد .

قال الولد :

- أوه ، أنت لا تفهم .

قال دكتور فيشير :

- إسمع .

وأخبر الفتى عن أمور معينة .

- لا . لا أريد أن أسمع . لا يمكنك حملي على سماعك .

قال دكتور فيشير :

- أرجو أن تسمع .

قال دكتور ويلكوكس للولد :

- ما أنت إلا غبي لعين .

سأل الولد :

- إذن ، لن تقوم بها؟ .

- أقوم بماذا؟! .

- أن تخصيني .

قال دكتور فيشير :

- إسمع . لن يُخصيك أي انسان . ليس في جسمك أي خطأ . لك جسم جميل ويجب عليك ألا تفكر في هذا . إذا كنت متديناً فأذكر أن ما تشكومنه ليس حالة خطيئة بل هو وسيلة تحقيق السر المقدس .

قال الولد :

- لم أستطع إيقاف حدوث هذا . إنني أصلي طوال الليل وأصلي في النهار . إنها خطيئة ، خطيئة مستمرة ضد الطهارة .

قال دكتور ويلكوكس :

- أوه ، اذهب و . .

قال الولد بوقار للدكتور ويلكوكس :

- حين تتكلم بهذه الطريقة فإنني لا أسمعك .
- وقال للدكتور فيشير:
- بالله عليك ، ألن تقوم بها؟
- لا . لقد قلت لك يا فتى .
- قال دكتور ويلكوكس:
- أخرجته من هنا .
- قال الولد:
- سأخرج . لا تلمسني . سأخرج .
- كان ذلك في حوالي الساعة الخامسة من اليوم السابق . سألت:
- ماذا حدث بعد ذلك؟ .
- قال دكتور فيشير:
- استقبلنا الشاب في الساعة الواحدة من صباح اليوم وكان قد بتر نفسه بموس حلاقة .
- أخصي؟ .
- قال دكتور فيشير:
- لا . لم يكن يعرف ماذا تعني كلمة يُخصى .
- قال دكتور ويلكوكس:
- قد يموت . .
- لماذا؟ .
- تزيّف دم .
- كان زميلي دكتور ويلكوكس العظيم في نوبة عمله هنا فعجز عن أن يجد هذه الحالة الطارئة مدرجة في كتابه .
- قال دكتور ويلكوكس:
- إلى الجحيم بطريقة كلامك تلك .
- قال دكتور فيشير وهو ينظر إلى يديه ، إلى يديه اللتين كانتا قد جلبتاه المتاعب لرغبته في الارضاء ولافتقاره إلى إحترام القوانين الاتحادية .
- عنيّت قول هذا بطريقة ودية فقط . سيذكر هوارس هنا بأنني أقول هذا بطريقة ودية جداً . كان بتراً ذلك الذي قام به الشاب يا هوارس .
- قال دكتور ويلكوكس:
- حسناً . أود ألاّ تسخر مني بسبب هذا . لا داعي للسخرية مني .

- أنا أسخر منك يا دكتور، في هذا اليوم، يوم الاحتفال بميلاد مخلصنا؟

قال ويكوكس:

- مخلصنا؟ ألسنت يهودياً؟

- أنا كذلك. أنا كذلك. وكثيراً ما أنسى هذا. لم أول هذا الأمر الأهمية التي

يستحقها فقط. إنه لحسن منك أن تذكّرني. مخلصك أنت. ذلك صحيح.

مخلصك، مخلصك بلا شك - والركوب لأحد السُف.

وقال دكتور ويلكوكس:

- أنت ذكي لعين.

- تشخيص ممتاز يا دكتور. كنت دائماً ذكياً لعيناً. أذكى من أن أعيش على

الساحل بالتأكد. تجنّب هذا، يا هوارس. ليس لديك كبير ميل، لكنني أرى لمعة

ذكاء أحياناً. يا له من تشخيص - وبدون الكتاب.

قال دكتور ويلكوكس:

- إلى الجحيم بك.

قال دكتور فيشير:

- كل ذلك في الوقت المناسب يا دكتور. كل ذلك في الوقت المناسب. إن كان

ثمة مكان كهذا فإنني سأزوره بالتأكيد. حتى أنني سألقي عليه نظرة سريعة. ليس

أكثر من إختلاس النظر، حقاً. ثم سأحوّل نظري على الفور تقريباً. وهل تعرف ما

الذي قاله الفتى الشاب يا هوارس، حين أدخله الطبيب إلى هنا؟ قال: «آه. لقد

طلبتُ منك أن تفعل هذا. طلبتُ منك أن تقوم بهذا مراراً وتكراراً».

قال دكتور ويلكوكس:

- وفي يوم عيد الميلاد أيضاً.

قال دكتور فيشير:

- ليس لدلالة اليوم الخاصة أية أهمية.

قال دكتور ويلكوكس:

- ربما لا يكون هذا بالنسبة إليك.

قال دكتور فيشير:

- أنت تسمعه يا هوارس؟ أنت تسمعه؟ بعد أن يكتشف الطبيب نقطة الضعف

عندي، فلنقل: عَمَقَبَ أخيل، فإنه يستغل هذه النقطة.

قال دكتور ويلكوكس:

- أنت ذكي لعين جداً.

تفسير البحر

قال الرجل :

- حسناً . ما رأيك ؟ .

قالت الفتاة :

- لا . لا أستطيع .

- تعنين أنك لن تفعلها .

قالت الفتاة :

- لا أستطيع . ذلك كل ما أعنيه .

- تعنين أنك لن تفعلها .

قالت الفتاة :

- حسناً . فهمتَ كلامي بطريقتك الخاصة .

- لم أفهمه بطريقتي الخاصة . أدعوا الله أن أكون فهمته كذلك .

قالت الفتاة :

- أنتَ تفهم كذلك منذ مدة طويلة .

كان الوقت مبكراً، ولم يكن في المقهى من أحد سوى الساقى وهذين الشخصين اللذين جلسا معاً إلى طاولة في الركن . كان الوقت نهاية الصيف وكانا كلاهما مدبوغَي البشرة من الشمس، فبديا كأنهما في غير محلها في باريس . كانت الفتاة ترتدي بدلة من نسيج التويد، وكانت بشرتها ناعمة ذات سمرة ذهبية، وشعرها الأشقر قصيراً وقد تجمّع بخصلة جميلة بعيداً عن جبهتها . نظر الرجل إليها .

قال :

- سأقتلها .

قالت الفتاة :

- لا تفعل هذا . أرجوك ألا تفعل هذا .

كانت لها يدان جميلتان جداً، ونظر الرجل إليهما . كانتا رقيقتين وسمراوين

وجميلتين جداً .

- سأقتلها . أقسم بالله بأنني سأقتلها .

- لن يسعدك هذا .

- ألم تستطيعي التوصل إلى شيء آخر؟ ألم تستطيعي التوصل إلى حل آخر؟
قالت الفتاة:
- لا يبدو هذا. ماذا ستفعل فيما يتعلق بهذا؟
- أخبرتك بهذا.
- لا، أعني ماذا ستفعل حقاً؟
قال:
- لا أدري.
نظرت إليه ومدت يدها.
قالت:
- يا فيل العجوز المسكين.
نظر إلى يديها، لكنه لم يمس يدها بيده.
قال:
- لا. شكراً.
- لن يفيدك قلبي لك بأنني آسفة؟
- لا.
- ولا قلبي لك كيف هي؟
- أفضل ألا أسمع هذا.
- أحبك كثيراً.
- نعم. هذا يبرهن على حبك.
قالت:
- آسفة إن أنت لا تفهم.
- أنا أفهم تماماً. تلك هي المشكلة. إنني أفهم.
قالت:
- أنت تفهم. وذلك ما يزيد الطين بله طبعاً.
قال وهو ينظر إليها:
- بالتأكيد. سأفهم طيلة الوقت. طيلة النهار وطوال الليل. خصوصاً طول الليل.
سأفهم. لا داع لأن تقلقي على ذلك.
قالت:
- آسفة.
- لو كان رجلاً.

- لا تقل ذلك . لن يكون رجلاً . أنت تعرف ذلك . ألا تثق بي ؟ .

قال :

- ذلك سخيف . أتق بك . ذلك سخيف حقاً .

قالت :

- إنني آسفة . ذلك كل ما يبدو أنني سأقوله . لكن ، حين نفهم حقاً بعضنا بعضاً ،
فلا فائدة من التظاهر بغير ذلك .

قال :

- لا . لا أظن هذا .

- سأعود إن أردتني .

- لا . لا أريدك .

ثم لم ينبسا لوهلة .

سألت الفتاة :

- أنت لا تصدق بأنني أحبك ، أليس كذلك ؟ .

قال الرجل :

- لنكف عن الكلام العفن .

- ألا تصدق حقاً بأنني أحبك ؟ .

- لِمَ لا تبرهنني عليه ؟ .

- لم تعتد أن تكون على تلك الشاكلة . لِمَ تطلب مني أن أبرهن على أي شيء .
ذلك غير لائق .

- أنت فتاة مضحكة .

- أنت لست كذلك . أنت رجل مهذب وسيتفطر قلبي حزناً إن أنا ذهبت وتركتك . .

- لا بد أن تركيني طبعاً .

قالت :

- نعم . لا بد أن أتركك وأنت تعرف هذا .

لم يقل شيئاً فنظرت إليه ومدت يدها ثانية . كان الساقى يقف في الطرف
القصي من نضد حاجز المشرب . كان وجهه أبيض وكذلك كانت جاكته . وكان
يعرف هذين الشخصين ورأى بأنهما شابان جميلان . فقد كان قد رأى أزواجاً شباباً
جميلين يفترقون وأزواجاً جدداً يلتقون ، لكنهم لا يستمرون فترة طويلة على هذا
النحو الجميل . لم يكن يفكر بهذا الموضوع ، لكنه كان يفكر بحصان . فسيتمكن
من إرسال شخص عبر الشارع خلال نصف ساعة ليكتشف إن كان حصانه قد فاز .

سألت الفتاة:

- ألا يمكنك أن تكون لطيفاً معي ثم تدعني أذهب؟
- ماذا تريد بأنني سأفعل؟

دخل شخصان من الباب واتجها نحو نضد حاجز المشرب.
تلقى الساقى طلباتهما وقال:

- حسناً يا سيدي.

سألت الفتاة:

- لن تغفر لي؟ حين تعرف عنه؟

- لا.

- ألا ترى بأن الأشياء التي حصلت بيننا وقمنا بها ستؤدي إلى تغيير في الفهم؟
- قال الشاب بمرارة:

- الرذيلة وحش وهي ذات هيئة رهيبة جداً إلى درجة أنها لن تحتاج إلا إلى أن تنظر إليها حتى تصبح شيئاً محمّداً أو شيئاً آخر. ثم نحن شيء، شيء، ثم عناق.
لم يستطع أن يتذكر الكلمات.
قال:

- لا أستطيع الاستشهاد بالنص.

قالت:

- لنكفّ عن ذكر الرذيلة. ذلك ليس لائقاً جداً.

قال:

- إنحرف.

خاطب أحد الزبائن الساقى:

- جيمس. تبدو بصحة جيدة جداً.

قال الساقى:

- وأنت نفسك تبدو بصحة جيدة جداً.

قال الزبون الآخر:

- جيمس العجوز، صحتك أحسن.

قال الساقى:

- إنه لأمر رهيب، طريقة تظاهري.

قال الزبون الأول:

- لا تنس أن تصبّ البراندي يا جيمس.

قال الساقى :

- لا يا سيدي . ثق بي .

نظر الشخصان الجالسان إلى نضد حاجز المشرب إلى الإثنين الجالسين إلى الطاولة من فوق النضد ثم عادا ونظرا إلى الساقى من جديد . فاتجاه النظر إلى الساقى كان الاتجاه المريح .

قالت الفتاة :

- أنا أفضل إن أنت لم تستعمل كلمات كتلك . ليس ثمة ضرورة لاستعمال كلمة كتلك .

- ماذا تريدني أن أسميها؟ .

- لا داعٍ لأن تسميها . لا داعٍ لإطلاق أي اسم عليها .

- ذلك هو الاسم لها .

قالت :

- لا . فقد جُبِلْنَا من كل أنواع الأشياء . لقد عرفت ذلك . لقد استغللتها بما فيه الكفاية .

- لا تقولي ذلك مرة أخرى .

- لأن ذلك يفسرها لك .

قال :

- صحيح . صحيح .

- تعني بأن الكل خطأ . أنا أعرف . الكل خطأ . لكنني سأعود . لقد أخبرتك بأنني سأعود . سأعود في الحال .

- لا ، لن تعودي .

- سأعود .

- لا ، لن تعودي . لن تعودي إلي .

- ستري .

قال :

- نعم . ذلك هو الجحيم منها . ربما تعودين .

- سأعود طبعاً .

- إمضِ إذن .

لم تصدق ، لكن صوتها كان يشي بالسعادة :

- حقاً؟ .

- إِمض .

بداله صوتُه غريباً . كان ينظر إليها ، إلى طريقة حركة فمها وإلى منحني عظام
وجنتيها ، إلى عينيها وإلى طريقة نمو شعرها على جبهتها وإلى حافة أذنها وإلى
رقبتها .

قالت :

- ليس ذلك حقاً . آه ، أنتَ جميل جداً . أنتَ أطيب مما استحق .
- وعندما تعودين أخبريني عن كل شيء .

بدا صوتُه غريباً جداً . لم يستطع تمييزه . نظرت إليه بسرعة . لقد استقر رأيه
على شيء . . .

سألته بجد :

- أتريدني أن أذهب ؟ .

قال جاداً :

- نعم . حالاً .

لم يكن صوتُه نفس الصوت وكان فمه جافاً جداً .

قال :

- الآن .

نهضت واقفة ثم خرجت بسرعة . لم تلتفت إليه . راقبها وهي تبتعد . لم يكن
نفس الرجل الذي كأنه قبل أن يطلب منها أن تذهب . وقف مبتعداً عن الطاولة
والتقط قصاصتي ورقتي الحساب ثم اقترب من نضد حاجز المشرب وهو يحملهما .
قال للساقى :

- أنا رجل مختلف يا جيمس . أنتَ ترى فيّ رجلاً مختلفاً تماماً .

قال جيمس :

- نعم يا سيدي .

قال الرجل الأسمر الشاب :

- الرذيلة شيء غريب جداً يا جيمس .

نظر إلى الخارج من الباب . رآها تسير مبتعدة في الشارع . وحين نظر في
الزجاج رأى بأنه حقاً رجل مختلف تماماً . وأفسح له الإثنان الآخران المجالس إلى
نضد حاجز المشرب مكاناً .

قال جيمس :

- أنتَ في حالة جيدة يا سيدي .

أفسح له مكاناً أوسع ليرتاح تماماً . رأى الشاب نفسه في المرأة خلف نضد
حاجز المشرب .

قل :

- قلتُ إنني رجل مختلف يا جيمس .

وفيما هو ينظر إلى المرأة ، رأى بأن ذلك كان صحيحاً تماماً .

قال جيمس :

- تبدو بصحة جيدة جداً يا سيدي . لا بد أنك أمضيتَ صيفاً رائعاً جداً .

حال لن تكون عليها أبداً

وقع الهجوم عبر الحقول، وكانت قد أوقفته نيران مدافع رشاشة انطلقت من الطريق الغائر ومن مجموعة المنازل الريفية، بينما لم يواجه أية مقاومة في المدينة، فبلغ ضفة النهر. وفيما كان نيكولاس آدمز يتقدم على الطريق فوق دراجة ليزرل عنها ويدفعها حين يكون الطريق متكسراً كثيراً، رأى ما كان قد حدث من وضع الموتى. فالموتى يتمددون فرادى أو جماعات في عشب الحقول العالي وعلى الطريق، وقد قلبت جيوبهم وتجمع فوقهم الذباب بينما الأوراق تتناثر حول كل جثة أو مجموعة جثث.

وكانت بين العشب والحجوب وعلى جانب الطريق وفي بعض المساكن المتفرقة فوق الطريق، الكثير من المواد: مطبخ حقل، لا بد أنه وصل إلى هناك حين كانت الأمور على ما يرام، وأكياس مونة مصنوعة من جلد العجول، وقنابل عسوية، وخوذات وبنادق وأحياناً أكاف بنادق منزوعة، وحراب مغروسة في القاذورات، لقد حفروا القليل جداً في النهاية، وقنابل عسوية، وخوذات، وبنادق، وأدوات حفر خنادق، وصناديق ذخيرة، ومسدسات قذائف نجمية، بينما تناثرت رصاصاتها في كل مكان، وصناديق طيبة، وأقنعة واقية من الغاز، وعلب أقنعة فارغة، ومربض رشاش بثلاث قوائم بين مجموعة من القذائف الفارغة المتناثرة، وأحزمة رصاص تبرز من الصناديق، وعلبة تبريد ماء فارغة تقع على جانبها مجموعة من أعقاب بنادق محطمة وطاقم بأوضاع غريبة بينما تناثرت حولهم في العشب أوراق أخرى من النوع العادي.

وكانت هناك كتب صلوات ومجموعة بطاقات بريدية تصوّر وحدة الرشاشات وهم يقفون في مرج متورد ومرتب كأنهم في صورة فريق كرة قدم في نشرة كلية سنوية، وها هم الآن متكومون متفخون في العشب، وبطاقات بريدية دعائية تصوّر جندياً بزي نمساوي يثني امرأة إلى الخلف ويدفع بها فوق سرير، وقد رسم الشخصان رسماً انطباعياً، وصُورا تصويراً جذاباً جداً ولم يكن فيه شيء مشترك مع الاغتصاب الفعلي التي ترفع فيه تنورة المرأة فوق رأسها لتجمدها، وقد جلس أحد الرفاق على رأسها أحياناً. هناك الكثير من هذه البطاقات المحرّضة التي لا بد أنها صدرت قبل الهجوم تماماً. وها هي الآن متناثرة مع البطاقات البريدية والصور الملطخة بالأوساخ، والصور الصغيرة لفتيات قرويات أخذها مصورون قرويون،

وصور الأطفال التي أخذت في المناسبات، والرسائل، رسائل، رسائل. ويكون حول الموتى دائماً كثير من الورق، ولم يكن حُطام هذه المعركة إستثناءً. كان هؤلاء موتى جدداً، ولم يهتم أحد بأي شيء إلا بجيوبهم. لاحظ نيك أن موتانا، أو من أعتقد بأنهم ما زالوا موتانا، قليلو العدد إلى حد مدهش. وكانت معافطهم مفتوحة أيضاً وجيوبهم مقلوبة، فظهروا بأوضاعهم أسلوب ومهارة الهجوم. وكان الطقس الحار قد نفخ الموتى بنفس الدرجة دون إعتبار لجنسياتهم. من الواضح بأنه كان قد دوفع عن المدينة لآخر مرة من خطر الطريق الغائر ولم يكن قد بقي من النمساويين إلا القليل أولم يكن قد بقي منهم أحد ليعاودوا الهجوم على المدينة. وكانت في الشارع ثلاث جثث فقط بدوا بأنهم قتلوا وهم يجرون. وكانت بيوت المدينة قد كُسرت بفعل القصف المدفعي وكانت في الشارع الكثير من ركام قصارة ومونة البيوت كما كانت فيه عوارض مكسورة، وبلاط مكسور، وحفر كثيرة، وكانت بعضها صفراء الحواف من غاز الخردل. كانت هناك الكثير من قطع القذائف وكرات الشظايا متناثرة بين الحُطام. لم يكن في المدينة أحد على الإطلاق.

لم يرنك آدمز أي شخص منذ غادر فورناسي، مع أنه كان قد رأى، فيما كان راكباً دراجته وسائراً على الطريق عبر الريف المفرط الخضرة، مدافع مخبأة تحت ستائر أوراق التوت إلى يسار الطريق، ملاحظاً وجودها من موجات الحرارة المتصاعدة في الجو فوق أوراق الأشجار حين كانت الشمس تنعكس على المعدن. وتابع سيره الآن داخل المدينة، وقد اندهش لرؤيته لها مهجورة، وخرج إلى الطريق الدافئ تحت ضفة النهر. وفيما هو يغادر المدينة، رأى أرضاً فضاء مكشوفة حيث ينحدر الطريق إلى الأسفل وكان بوسعه أن يرى مصب النهر الهادي والمضحي الواطيء لضفته المقابلة والوحد الأبيض المشوي بالشمس حيث كان النمساويون قد حفروا. كان المكان مورقاً جداً وأخضر على نحو أعمق مما رآه آخر مرة، كما أن تميّزه بالميزة التاريخية لم يُضف أي تغيير على هذا النهر الواطيء.

كانت الكتيبة تنتشر على طول الضفة إلى اليسار. كما كانت في قمة الضفة سلسلة من الحفر يستقر فيها قليل من الرجال. رأى نيك المكان الذي نُصبت فيه المدافع الرشاشة وصواريخ الإشارة على حواملها. وكان الرجال في الحفر الواقعة على جانب الضفة نائمين. لم يوقفه أي من الحرس. وحين دار مع الطريق المنحني، صوب ملازم ثان شاب بلحية قصيرة لم يحلقها منذ أيام ويعينين محتقتين جداً مسدساً نحوه.

- من أنت؟ .
- أخبره نيك :
- كيف لي أن أعرف هذا؟ .
- أراه نيك قصاصة الورق المثبتة عليها صورة وتعريف وختم الجيش الثالث .
- أمسك بها .
- سأحتفظ بهذه .
- قال نيك :
- لن تحتفظ بها . أعد إليّ البطاقة وأبعد مسدسك . هناك ، في جرابه .
- كيف لي أن أعرف مَنْ أنت؟ .
- تُعلمك قصاصة الورق .
- وإذا كانت القصاصة مزيفة؟ أعطني تلك البطاقة .
- قال نيك بمرح :
- لا تكن أبله . خذني إلى قائد سريتك .
- لا بد أن أرسلك إلى قيادة كتيبة .
- قال نيك :
- حسناً . اسمع . أتعرف النقيب بارافيشيني؟ الرجل الطويل ذو الشاربين القصيرين والذي كان مهندساً معمارياً ويتكلم اللغة الانجليزية؟ .
- تعرفه؟ .
- قليلاً .
- أية سرية يقودها؟ .
- الثانية .
- إنه يقود الكتيبة .
- قال نيك :
- حسناً .
- لقد شعر بالارتياح لمعرفته بأن بارافيشيني بخير . تابع :
- لنذهب إلى الكتيبة .
- وفيما كان نيك يغادر طرف المدينة ، انفجرت ثلاث قذائف شظايا عالياً إلى اليمين فوق أحد البيوت المحطمة ، إلا أنه لم يجر أي قصف منذ ذلك الوقت . لكن وجه هذا الضابط بدا كوجه رجل أثناء القصف . فقد ارتسم عليه نفس التوتر ولم يبد صوته طبيعياً . لقد أثار مسدسه أعصاب نيك .

قال :

- أبعده عني . النهر كله يفصل بينهم وبينك الآن .

قال الملازم الثاني :

- لو خطر في بالي بأنك جاسوس لأطلقت عليك النار الآن .

قال نيك :

- أسرع . لنذهب إلى الكتيبة .

أثار هذا الضابط أعصابه كثيراً .

نهض النقيب بارافيشيني واقفاً حين رفع نيك يده بالتحية العسكرية من وراء الطاولة في المخبأ الذي كان قيادة الكتيبة ، والنقيب بارافيشيني نائب رائد وبدا أكثر نحولاً وشبهأ بالانجليز مما كان في السابق .

قال :

- مرحباً . لم أعرفك . ماذا تفعل بهذا الزي .

- لقد وضعوني فيه .

- أنا مسرور جداً لرؤيتك يا نيكولو .

- حسن . تبدو بخير . كيف كان العرض .

- قمنا بهجوم رائع جداً . حقاً . هجوم رائع جداً . سأريك . أنظر .

أراني على الخرائط كيف جرى الهجوم . قال نيك :

- جئت من فورناسي . كان بوسعي أن أرى كيف كان الهجوم . كان جيداً جداً .

- كان خارقاً للعادة . كان هجوماً فوق العادة عموماً . هل أنت مرتبط بالفوج ؟ .

- لا . من المفروض أن أتقل من مكان إلى آخر هنا لأريهم الزي .

- كم هو غريب هذا .

- إذا رأوا زياً أمريكياً واحداً فمن المفروض أن يحملهم على الاعتقاد بأن آخرين

سيحضرون .

- لكن ، كيف سيعرفون بأنه زي أمريكي ؟ .

- أنت ستخبرهم بهذا .

- أوه . نعم . فهمت . سأرسل معك عريفاً ليريك المكان وستقوم بجولة بين صفوف

الجنود .

قال نيك :

- كسياسي حقير .

- ستكون أكثر شهرة بكثير وأنت في ملابس مدنية . فهي المميّزة حقاً .

قال نيك :

- بقبعة همبورجية .
- أوبقبعة فرو من نوع فيدورا .

قال نيك :

- من المفروض أن تكون جيوبي مليئة بالسجائر والبطاقات البريدية وأشياء كهذه .
- لا بد أن تكون لدي حقيبة مليئة بالشوكولاته ، ويجب أن تُوزع مع كلمة رقيقة وتريبتة على الظهر . لكن ، ليس ثمة أية سجائر ولا بطاقات بريدية ولا شوكولاته . لكنهم طلبوا مني التنقل من مكان إلى آخر على أية حال .
- أنا متأكد من أن ظهورك سيقوي من عزائم الجنود كثيراً .

قال نيك :

- أتمنى ألا يكون كذلك . إنني مستاء لهذا الوضع كما هو عليه . ومبدأياً ، كان يحسن أن أحضر لك قنينة براندي .
- قال بارا وقد ابتسم لأول مرة ، مبيئاً أسنانه المصفرة .
- مبدأياً : يا له من تعبير جميل . أتريد بعض شراب الجرابا؟ .

قال نيك :

- لا . شكراً لك .
- ليس فيه أي إثير .
- لا زلتُ أحس بطعم ذلك الإثير .
- تذكر نيك فجأة كل ما جرى .
- أتعرف بأنني لم أعرف أنك كنت سكراناً إلا بعد أن بدأتُ تتكلم ونحن عائدون في الشاحنات .

قال نيك :

- كان السكر يتعنتني في كل هجوم .

قال بارا :

- لا أستطيع أن أفعل هذا . لقد شربتُ هكذا في العرض الأول ، في العرض الأول فقط ، وقد جعلني منزعجاً جداً فقط ثم شعرت بعطش مخيف .
- أنت لا تحتاج إلى شراب .
- أنت أشجع مني في أثناء أي هجوم .

قال نيك :

- لا . أنا أعرف كيف أكون وأنا أفضل أن أغرق بالسكر . لستُ خجلاً من هذا .

- لم أرك سكراناً أبداً .

قال نيك :

- لا؟ أبداً؟ لم أكن كذلك حين سافرنا في تلك الليلة من ميستر إلى بورتوجرانند ثم أردتُ أن أنام فاتخذتُ الدراجة غطاءً لي وسحبته فوق جسمي حتى ذقني؟ .
- لم يكن ذلك في الخطوط .

قال نيك :

- لنكف عن الحديث عن كيف كنتُ . إنه موضوع أعرف عنه أكثر من اللازم حتى أنني لا أريد أن أفكر فيه .

قال بارافيشيني :

- بوسعك البقاء هنا لوهلة . بوسعك أخذ غفوة إن شئت . فهم لا يفعلون الكثير لهذا أثناء القصف . كما أن الجواشُد حرارة مما يسمح بالخروج الآن .

- أرى أن لا موجب للمجلة .

- كيف حالك حقاً؟ .

- بخير . أنا بخير تام .

- لا . أعني كيف حالك حقاً .

- لا . أنا بخير . إنني لا أستطيع أن أنام بلا نور من أي نوع كان . ذلك كل ما أعاني منه .

- لقد قلتُ بأنه كان لا بد من تقويرها . أنا لستُ طبيباً ، لكنني أعرف ذلك .

- حسناً ، رأوا بأنه كان يحسن أن تُمتَصَّ ، وذلك ما حصل لي . ما بك؟ أنا لا أبداً
مجنوناً بالنسبة إليك ، أليس كذلك؟ .

- تبدو على أحسن حال .

قال نيك :

- إنه جحيم من الازعاج إن هم أصدروا شهادة بأنك مجنون . لن يثق بك أحد بعدئذ .

قال بارافيشيني :

- سأغفوق قليلاً يا نيكولو . هذا المكان ليس مركز قيادة الكتيبة الذي عرفناه من قبل .

- نحن في انتظار سحبنا من هنا فقط . يجب ألا تخرج من هنا في هذه الحرارة الآن -
إنه لسخف . استعمل ذلك السرير الخشبي .

- ربما أتمدد فقط . -

تمدّد* نيك على السرير الضيق . كان مُحَبَطاً جداً لما كان يحس به من

مشاعر، وأكثر إحباطاً لأن حاله كانت واضحة حتى للنقيب بارافيشيني . لم يكن هذا المخبأ بحجم المخبأ الذي أصيب فيه مجندو ١٨٩٩ ، الخارجين من الجبهة مباشرة ، بالهستيريا أثناء القصف قبل الهجوم ، فطلب منه بارا أن يقودهم ليسيروا اثنين اثنين في الخارج ليبيّن لهم بأن شيئاً لن يحدث ، وكان هو قد أحكم شدّ شريط الذقن في الخوذة على فمه ليبقي شفّته ساكنتين . عارفاً بأنهم لن يستطيعوا الصمود أمام القصف حين يبدأ . عارفاً بأن القصف كان كله أجراساً رهية - وإن لم يستطع الكف عن البكاء ، فأكسر أنفه لتقدّم إليه شيئاً آخر يفكر فيه . سأطلق النار على واحد منهم ، لكن الأوان فات . ستسوء حالهم كلهم . أكسر أنفه . لقد أجّلوه إلى الساعة الخامسة وعشرين دقيقة بقيت لدينا أربع دقائق فقط . أكسر أنف ذلك اللوطي الآخر السخيف وأركل مؤخرته السخيفة وأطرده من هنا . أترى بأنهم سيجتازون القصف؟ وإن لم يصمدوا فأطلق النار على اثنين وحاول أن تخرج الآخرين بطريقة ما . ابق خلفهم أيها الرقيب . فلا فائدة من السير أمامهم فستكتشف بأن أحداً لا يتبعك . اضمن خروجهم وأنت تخرج . يالها من أجراس دموية . حسناً . ذلك حسن . ثم قال ، ناظراً إلى ساعة اليد ، بتلك النغمة الهادئة ، تلك النغمة الهادئة القيّمة : «سوفوبيا» . جاعلاً أياها باردة ، لا وقت للوصول إليها ، لم يستطع أن يجد طريقه بعد الإنيهار ، فقد انهارت نهاية واحدة كاملة ، ذلك ما أفرزهم ، مبرداً أياها على ذلك المنحدر في المرة الوحيدة التي لم يجعل رائحتها نتنة . وبعد أن عادوا ، بدا أن صندوق التلفزيون احترق ، فتأخر نقل بعض الجرحى إلى أسفل التل أربعة أيام كما لم ينقل بعضهم إلى الأسفل ، لكننا صعدنا وعدنا وهبطنا - إننا نهبط دائماً . وكان هناك جابي ديسليز ، على نحو غريب جداً ، والریش يغطيه ، لقد دعوتني بالطفل المدلل قبل سنة قلت أيها الطفل الصغير إن من الجميل أن أرى طفلاً صغيراً والریش يكسوه ، والریش منزوع عنه ، يا جابي العظيم ، بينما اسمي هاري بيلسير أيضاً ، واعتدنا أن نخرج من الجانب البعيد من سيارات الأجرة عندما يصبح الطريق منحدرًا ونحن نصعد إلى أعلى التل وكان بوسعه أن يرى ذلك التل كل ليلة حين حلم بالقلب المقدس يتنفخ أبيض مثل فقاعة صابون . كانت فتاته هناك أحياناً وأحياناً أخرى كانت مع شخص آخر ولم يكن يستطع فهم ذلك ، لكن ذلك كان في الليالي التي كانت الأنهار تجري فيها بعرض أوسع وهدوء أكبر مما كان يجب أن تكون عليه كما كان في خارج فوسالتا بيض منخفّض مطلياً باللون الأصفر تحيط به

• على القارئ أن يلاحظ أن هذه الفقرة وما يليها من فقرات هي مجرد هلوسة وصور وذكريات تدور في ذهن نيك الذي يعاني من انهيار عصبي . (المترجم) .

أشجار صفصاف من جميع الجهات واسطبل منخفض وقناة، وكان قد ذهب إلى هناك آلاف المرات لكنه لم ير القناة، لكنها كانت هناك واضحة وضوح التل، إلا أنها كانت تخيفه فقط. لقد كان ذلك المنزل يعني له أكثر من أي شيء وكان يستحوذ عليه في كل ليلة. ذلك ما كان يحتاجه لكنه كان يخيفه خصوصاً حين يكون القارب مربوطاً هناك بهدوء بين شجر الصفصاف في القناة، لكن الضفاف لم تكن مثل ضفاف هذا النهر. كانت كلها أكثر انخفاضاً كما لو كانت في بورتوجراند، حيث رأوهم يخوضون عائدين عبر الأرض المغمورة بالفيضان، رافعين بنادقهم عالياً إلى أن سقطوا معها في الماء. مَنْ الذي أمر ذلك الشخص؟ لو لم تختلط الأمور على هذا النحو للعين لكان بوسعها أن يتبعه حقاً. ذلك كان السبب الذي جعله يلاحظ كل شيء بمثل هذه التفاصيل ليبقيه واضحاً حتى يعرف المكان الذي كان فيه، لكن، الأمور اختلطت بلا سبب كما هو الحال الآن وهو يتمدد على سرير خشبي ضيق في مركز قيادة الكتيبة وبارا يقود كتيبة وهو في زي امريكي دموي. اعتدل جالساً ونظر حوله، كانوا كلهم يراقبونه. كان بارا قد خرج، وتمدد مرة أخرى.

وجاءه جزء باريس في وقت مبكر ولم يكن خائفاً منه إلا حين هجرته وذهبت مع شخص آخر ومن الخوف من أن يأخذوا نفس السائق مرتين. ذلك ما أخافه من ذلك. لم يخف قط من الجبهة. لم يعد يحلم بالجبهة الآن إطلاقاً لكن ما أخافه جداً إلى درجة لم يستطع التخلص منه هو ذلك البيت الأصفر الطويل وعرض النهر الآخر. وما هو قد عاد إلى هنا عند النهر، فقد عَبَرَت تلك المدينة نفسها ولم يكن فيها أي بيت. كما لم يكن النهر على ذلك النحو. إذن، أين ذهب كل ليلة، وما هو الخطر الذي تعرّض له، ولماذا كان سيستيقظ مبلاً جداً وخائفاً أكثر مما كان أثناء القصف، بسبب بيت وطاولة طويلة وقناة؟.

جلس وطوّح برجليه إلى الأسفل بحذر، فقد كانتا تتيسان في أي وقت إن هو مدهما على استقامتهما مدة طويلة، ثم رَدَّ على تحديقات المعاون وعاملي الإشارة وساعيين إثنين قرب الباب ثم وضع على رأسه خوذة الخندق المغطاة بالقماش.

قال:

- آسف لغياب الشيكولاته، وبطاقات البريد والسجائر. لكنني أرثدي الزي الموحد على أية حال.

قال الضابط المعاون:

- سيحضر الرائد حالاً.

والضابط المعاون في ذلك الجيش لا يكون ضابطاً مفوضاً.

قال نيك لهم :

- ليس الزي صحيحاً تماماً. لكنه يوحي إليكم بالفكرة. سيحضر إلى هنا ملايين عديدة من الأمريكيين قريباً.

سأل الضابط المعاون :

- أترى بأنهم سيرسلون أمريكيين إلى هنا؟.

- أوه، طبعاً. أمريكيون بضعف حجمي، وأصحاء وقلوب نظيفة، ونامون ليلاً، ولم يصابوا بجروح قط، ولم يطأطأوا رؤسهم قط، ولم يفرغوا قط، ولا يشربون الخمر، وهم مخلصون للفتيات اللواتي تركوهن وراءهم، ولم يصب الكثير منهم بالفساد، شبان رائعون. سترون.

سأل الضابط المعاون :

- هل أنت إيطالي؟.

- لا. أنا أمريكي. أنظر إلى الزي. سيانوليني هو الذي خاطه لكنه ليس صحيحاً تماماً.

- أمريكي شمالي أم جنوبي؟.

قال نيك :

- شمالي.

أحسن بها تأتيه الآن. سيهدأ.

- لكنك تتكلم الإيطالية.

- لِمَ لا؟ ألدريك مانع إن أنا تكلمتُ الإيطالية؟ أليس من حقي الكلام بالإيطالية؟.

- ولديك ميداليات إيطالية.

- الأشرطة والأوراق فقط. ستأتي الميداليات فيما بعد. أو أنكم تعطونها إلى

أشخاص ليحتفظوا بها فيهجرون الجيش، أو أنها تضيع بين أمتعتكم. يمكنك

شراء ميداليات أخرى في ميلانو. أن الأوراق هي المهمة. يجب ألا تساءوا لذلك.

ستحصلون أنتم أنفسكم على بعض الميداليات إن أنتم بقيتم في الجبهة مدة

كافية.

قال الضابط المعاون بجفاء :

- أنا محارب قديم في حملة إرتيريا. وحاربت في طرابلس.

مدّ نيك يده :

- إنه لشيء عظيم أن أقابلك. لا بد أن تلك الأيام كانت أياماً شاقة. لقد لاحظتُ

الأشرطة . هل كنت في كارسو؟ .

- لقد استدعيتُ للخدمة في هذه الحرب . دفعتي كانت قديمة جداً .

قال نيك :

- ذات وقت ، كنت تحت السن القانوني ، لكن الحرب أصلحتني الآن .

- لكن ، لِمَ أنت هنا الآن؟ .

قال نيك :

- أنا أستعرض الزيِّ الأمريكيِّ . ألا ترى بأنه عظيم الدلالة؟ إنه ضيقٌ قليلاً عند

الياقة ، لكن ، سترى ملايين لا تعد ولا تحصى يرتدون هذا الزي ، محتشدين مثل

الجراد . الجندب ، فأنتم تعرفون بأن ما نسميه جندياً في أمريكا هو في الحقيقة

جرادة . فالجندب الحقيقي هو حشرة صغيرة وخضراء وضعيفة نسبياً . إلا أنه يجب

الآ تخلصوا هذا بالجراد الذي يعيش سبع سنوات أو بيزيد الحصاد الذي يطلق صوتاً

ممتوطاً غريباً لا أستطيع تذكره في هذه اللحظة . إنني أحاول تذكره ، لكنني لا

أستطيع . إنني أكاد أسمعه ثم يتلاشى بعدئذ . ستعذروني إن أنا قطعْتُ محادثتنا؟ .

قال الضابط المعاون لأحد الساعيين :

- شُفَّ إن كنتَ تستطيع أن تعثر على الرائد .

ثم قال لنيك :

- أرى بأنك قد أصبت بجراح .

قال نيك :

- في أماكن مختلفة . إن كنتَ مهتماً بالندوب فإنني أستطيع أن أريك بعض

الجروح المثيرة للاهتمام لكنني أفضل أن أتحدث عن الجنادب . أعني ما تدعونها

جنادب ، والتي هي في الحقيقة جراد . لقد لعبت هذه الحشرات دوراً مهماً جداً في

حياتي في وقت من الأوقات . قد يثير هذا اهتمامكم كما أن بوسعكم النظر إلى الزي

بينما أنا أتكلم .

أشار الضابط المعاون بيده إلى الساعي الثاني الذي خرج .

- ثبُتوا أنظاركم على الزي . إن سيبانوليني خاطه كما تعرفون .

وقال نيك لجنود الإشارة :

- يمكنكم أن تنظروا إليه أنتم أيضاً . ليست لدي رتبة حقاً . فنحن تحت إمرة

القنصل الأمريكي . إنه لمن الطبيعي تماماً أن تنظروا . يمكنكم أن تحدقوا ، إن

أردتم . سأحدثكم عن الجراد الأمريكي . لد فضلنا دائماً الجراد الذي ندعوه البني

المتوسط . فهو يبقى في الماء على نحو أفضل من غيره كما أن الأسماك تفضله .

والأنواع الكبيرة والتي تطير تطلق ضجيجاً شبيهاً إلى حد ما بذلك الضجيج الذي تصدره الأفعى المجلجلة وهي تجلجل جلجلاتها، صوتاً جافاً جداً، ولها أجنحة ملونة زاهية، فبعضها حمراء زاهية والأخرى صفراء مقضبة بالأسود، لكن أجنحتها تفتت إلى قطع صغيرة في الماء وتكون طعاماً سيئاً جداً، بينما الجراد البني المتوسط جندب ريان مكتنز كثير العصارة مما يحملني على أن أوصي به إلى الحد الذي قد يوصي شخص ما بشيء لن تروه أبداً أيها السادة. لكن، لا بد أن أصر على أنكم لن تجمعوا تمويلاً كافياً من هذه الحشرات ليوم صيد سمك بمطاردتكم إياها بأيديكم أو بمحاولتكم ضربها بمضرب. ذلك عمل هراء وتضييع وقت غير مجدٍ. وأكرر القول أيها السادة بأنكم لن تصلوا إلى أية نتيجة بهذه الطريقة. والإجراء السليم، الإجراء الذي يجب تعليمه لكل الضباط الصغار في كل دورة تعليمية عسكرية صغيرة، إن كان لدي ما أقوله عن هذا، ومن يعرف، لكن ما سيكون لدي هو استخدام شبكة عمودية أو شبكة مصنوعة من ناموسية عادية فيمسك ضابطان هذا الطول من الشبك من طرفين متقابلين، أو لنقل من كل نهاية من النهايتين، فينحيان ويمسكان نهاية قاع الشبكة بيد وقمة نهايتها باليد الأخرى ويجريان في الريح. فتندفع الجنادب الطائرة مع الريح لتتصادم طول الشبك وتسجن في طياتها. ليست خدعة أبداً الإمساك بكمية كبيرة منها حقاً، وحسب رأيي، يجب ألا يكون ثمة أي ضابط بلا طول من شبك ناموسية صالحة لارتجال إحدى هذه الشبكات العمودية لصيد الجنادب. أمل أن أكون قد أوضحت نفسي. هل من أسئلة؟ إن وجدتم في الدرس شيئاً غير واضح ولم تفهموه فأرجو أن تسألوا أسئلة. إرفعوا أصواتكم. لا أسئلة؟ إذن، أود أن أنهى الكلام بهذه الملاحظة. فحسب كلمات ذلك الجندي والسيد العظيم، سير هنري ويلسون: فأنتم أيها السادة لا بد أن تحكموا أولاً بد أن تحكموا. لأكرر هذا، أيها السادة، هناك شيء واحد أريدكم أن تتذكروه. شيء واحد أريدكم أن تأخذوه معكم حين تغادرون هذه الغرفة. أيها السادة، إما أنكم لا بد أن تحكموا. . أو أنكم لا بد أن تحكموا. ذلك كل شيء أيها السادة. يوماً سعيداً.

خلع خوذته المغطاة بالقماش، اعتمرها ثانية ثم خرج من مدخل المخبأ المنخفض وهو ينحني. كان باراً يقترب من خط الطريق مصحوباً بالساعيين. كان الطقس حاراً جداً تحت أشعة الشمس، فخلع نيك الخوذة.

قال:

- لا بد أن يكون ثمة جهاز يبلل هذه الأشياء. سأبلل هذا الشيء في النهر. إنطلق

صاعداً الضفة .

نادى بارافيشيني :

- نيكولو. نيكولو. إلى أين أنت ذاهب؟ .

هبط نيك المنحدر ممسكاً الخوذة بيديه :

- لا داع لأن أذهب حقاً. إنها إزعاج لعين : إن كانت جافة أو مبللة . هل تعد
خوذتك طيلة الوقت؟ .

قال بارا :

- طيلة الوقت . إنها تجعلني أصلعاً . تعال إلى الداخل .

في الداخل ، طلب منه بارا الجلوس .

قال نيك :

- أنتَ تعرف أنها ليست جيدة لعينة . أذكر متى كانت مريحة حين استلمناها أول
الأمـر ، لكنني رأيتها مليئة بالأدمغة مرات عديدة جداً .

قال بارا :

- نيكولو . أرى بأنك يجب أن تعود . أظن بأن من المستحسن ألا تذهب إلى خط
القتال إلا بعد أن تكون لديك تلك التموينات . ليس ثمة شيء هنا لتفعله ، فإن أنتَ
تجولت هنا ومعك أي شيء يستحق تقديمه للرجال ، فسيتجمعون حولك وقد يدعو
هذا القصف . لا أريد أن يحدث هذا .

قال نيك :

- أعرف بأن هذا سخيف . لم تكن هذه فكرتي . سمعتُ بأن اللواء كان هنا ففكرتُ
أن أراك أو أرى شخصاً آخر أعرفه . كان بوسعي الذهاب إلى زينزون أو إلى سان
دونا . إنني أود الذهاب إلى سان دونا لأرى الجسر ثانية .

قال النقيب بارافيشيني :

- لا أريدك أن تحوم هنا بلا غرض .

قال نيك :

- حسناً .

أحسُ بأنها ستأتيه ثانية .

- فهمت؟ .

قال نيك :

- طبعاً .

حاول أن يصمد أمامها .

- لا بد أن ينفذ شيء من ذلك النوع ليلاً .

قال نيك :

- هذا طبيعي .

عرف بأنه لن يستطيع وقفها الآن .

قال بارا :

- أنت ترى، إنني أقود الكتيبة .

قال نيك :

- ولم لا تكون كذلك؟ .

ها هي تأتيه .

- تستطيع القراءة والكتابة، أليس كذلك؟ .

قال بارا بلطف :

- نعم .

- المشكلة أن لديك كتيبة صغيرة لعينة تقودها، وحالما تقوى ثانية فإنهم سيعيدون

إليك سريتك . لم لا يدفنون الموتى؟ لقد رأيتهم الآن . لا تهمني رؤيتهم ثانية .

إنهم لا يستطيعون دقّهم في أي وقتٍ بالقدر الذي يهمني الأمر وسيكون هذا أفضل

كثيراً بالنسبة إليك . ستمرضون كلكم على نحو دموي .

- أين تركت دراجتك؟ .

- داخل آخر منزل .

- أتظن بأنها ستكون بأمان؟ .

قال نيك :

- لا تقلق . سأرحل خلال وهلة .

- استلقي لوهلة قصيرة يا نيكولو .

- حسناً .

أغمض عينيه فرأى بدلاً من الرجل ذي اللحية الراكع على ركبتيه والناظر إليه

من فوق مناظير البندقية بهدوء تام قبل الضغط على الزناد وانطلاق الرميض الأبيض

وصدمة القذيفة الشبيهة بهراوة والخانقة والساخنة على الصخر بينما هم يمرون

أمامه ، رأى بيتاً أصفر طويلاً باسطبل منخفض ونهراً أعرض كثيراً مما كان واهداً .

قال :

- يا للمسيح . قد أذهب أيضاً .

نهض واقفاً .

قال :

- سأذهب يا بارا، سأعود راكباً الدراجة بعد ظهر اليوم . فإن وصلت أية تموينات ، فإنني سأحضرها الليلة . وإن لم تصل فمأخضر ليلاً حين يكون لدي شيء لأحضره .

قال النقيب بارافيشيني :

- ما زال الطقس حاراً على ركوب دراجة .

قال نيك :

- لا داع لأن تقلق . أنا بخير الآن ولبرهة تماماً . لقد أصابني نوبة لكنها كانت خفيفة . لقد أصبحت أخف كثيراً . أستطيع أن أعرف متى ستصيبني واحدة لأنني أتكلم كثيراً جداً .

- سأرسل ساعة معك .

- أفضل ألا تفعل هذا . إنني أعرف الطريق .

- ستعود قريباً؟

- طبعاً .

- دعني أرسل . . .

قال نيك :

- لا . كدليل على الثقة .

- حسناً . تشاو + ciao * إذن .

قال نيك :

- تشاو + ciao .

سار عائداً على الطريق الغائر إلى حيث كان قد ترك الدراجة . وبعد الظهر ، يكون الطريق في الظل بعد أن يكون هو قد تجاوز الفناء . كما تكون وراء ذلك المكان أشجار على جانبي الشارع لم تقصف اطلاقاً . وعلى تلك البقعة من الأرض مروا بفوج فرسان تيريزا سافويا ذات مرة بينما كان أفراد ذلك الفوج يمتطون صهوات خيلهم في الثلج ومعهم رماحهم . وكانت أنفاس الخيل تكوّن ريشاً في الهواء البارد . لا ، حدث ذلك في مكان آخر . أين كان ذلك؟

قال نيك لنفسه :

- يحسن أن أصل إلى تلك الدراجة اللعينة . فانا لا أريد أن أضيع الطريق المؤدية إلى فورناسي .

• بالاطالية في الأصل وتعني مع السلامة . (المترجم) .

أم ملكة

حين مات أبوه، كان مجرد ولد صغير، فدفنه مدير أعماله على نحو دائم. وذلك يعني بأن قطعة الأرض التي دُفن فيها أصبحت ملكاً دائماً له. لكن، حين ماتت أمه، فكّر مديره بأنه لا يمكنهما أن يستمرا في الخصام. كانا حبيبين، فمن المؤكد بأنه كان ملكة، ألم تعرف ذلك، إنه كذلك طبعاً. وهكذا دفنها لمدة خمس سنوات فقط.

حسناً، حين عاد إلى المكسيك من إسبانيا، استلم الإخطار الأول. قال بأنه أول إشعار بعد إنقضاء السنوات الخمس ولا بد أن يعمل على وضع الترتيبات اللازمة للاحتفاظ بقبر أمه. كانت عشرون دولاراً هي اللازمة لجعل القبر دائماً. كان صندوق المال معي فقلتُ له دعني أتولى الأمر يا باكو. لكنه قال لا، وسيتولى الأمر بنفسه. سيتولى الأمر في الحال. كانت أمه وأراد أن يقوم بالعمل بنفسه. وبعد أسبوع، استلم الإخطار الثاني. تلوته عليه وقلت بأنني ظننتُ بأنه قد تولى الأمر.

قال، لا إنه لم يفعل ذلك.

قلت:

- دعني أقوم به. إن المبلغ هنا في صندوق المال.
قال، لا. لا يمكن لأحد أن يُملي عليه ما سيفعله. سيقوم بالعمل بنفسه حين يأزف الوقت. «ما العبرة من إنفاق نقود قبل الوقت المحدد لهذا؟».

قلت:

- حسناً. لكن، تأكد من تولي الأمر.

وأبرم في ذلك الوقت عقداً للقيام بست حفلات مصارعة بسعر أربعة آلاف بيزوس لكل حفلة إضافة إلى حفلته الخيرية. كسب ما يزيد عن خمسة عشر ألف دولار هناك في العاصمة فقط. لقد كان شحيحاً، ذلك كل ما في الأمر.

ووصل الإخطار الثالث بعد مرور أسبوع آخر وتلوته عليه. جاء فيه أنه في حال ما إذا لم يسدّد الدفعة يوم السبت التالي فإن قبر أمه سيُفتح وتقذف ببقاياها في كومة العظام العمومية. قال بأنه سيذهب لتولي الأمر بعد ظهر ذلك اليوم وذلك حين يذهب إلى المدينة.

سألته:

- لِمَ لا تدعني أتولى الأمر؟

قال:

- لا تتدخل في شؤني . إنه شغلي وسأقوم به بنفسي .

قلت:

- حسناً، إن كان ذلك هو شعورك حول هذا . فقم بملكك بنفسك .

أخرج النقود من صندوق المال ، مع أنه كان يحمل حينذاك مائة بيزوس أو أكثر طيلة الوقت ، وقال بأنه سيتولى الأمر . خرج والنقود معه واعتقدتُ بأنه تولى الأمر وأنجز المهمة طبعاً .

بعد أسبوع ، وصل إخطار بأنه لم يصلهم رد على الإنذار الأخير فألقيتُ بجثة أمه في كومة العظام العمومية .

قلت له:

- يا للمسيح . قلتُ بأنك ستدفع ذلك المبلغ وأخرجتُ النقود من صندوق المال لتقوم بالمهمة ، ماذا حدث لأمك؟ يا إلهي ، فكر بهذا! مزيلة العظام العامة وأمك! لِمَ لَمْ تدعني أتولى الأمر؟ كنتُ سأرسل النقود حال وصول الإخطار الأول .
- إن هذا ليس شغلك . إنها أمي أنا .

- نعم ، إنه ليس شغلي أنا ، لكنه شغلك أنت . أي نوع من الدماء يجري في عروق رجل يسمح بحدوث شيء كهذا لأمه؟ أنت لا تستحق أن يكون لك أم .

قال:

- إنها أمي . إنها الآن عزيزة عليّ أكثر من أي وقت مضى . والآن ، لن أفكر بها مدفونة في مكان واحد فأحزن عليها . هي حولي الآن في كل مكان ، في الهواء مثل الطيور والزهور . سيبقى معي باستمرار الآن .

قلت:

- يا للمسيح ، أي نوع من الدماء يجري في عروقك؟! إنني لا أرغب حتى في أن أتكلم معك .

قال:

- إنها الآن حولي في كل مكان . لن أشعر بالحزن أبداً .

وكان يصرف كل أنواع المال حوله في ذلك الوقت ، وعلى النساء محاولاً الظهور بمظهر الرجل العظيم وليخدع الناس ، لكن ذلك لم يحدث أي تأثير على الناس الذين كانوا يعرفون عنه أي شيء . كان مديناً لي بستمائة بيزوس ولم يردها إليّ . كان يردد: «لماذا تريدها الآن؟ ألا أشتق بي؟ ألسنا أصدقاء؟» .

- ليس الأمر متعلقاً بصداقتنا وثقتي بك . كل ما في الأمر أنني كنت أدفع حساباتك من مالي الخاص حين كنت مسافراً، وأنا بحاجة إلى مالي الآن وعليك أن تردّها إليّ .

- ليس لدي مال .

قلت :

- لديك : إنها في صندوق المال الآن وتستطيع دفعها لي .

قال :

- احتاج إلى ذلك المال لغرض من الأغراض . أنت لا تعرف مدى حاجتي إلى المال .

- ظلمت هنا طوال الوقت الذي كنت فيه في إسبانيا ، وكلفّنتني بدفع كل النفقات عن كل الأمور الطارئة . وكل ما تعلق بالبيت ، ولم ترسل لي نقوداً بينما كنت في خارج البلاد وقد دفعتُ ما يزيد عن ستمائة بيزوس من مالي الخاص وأنا أحتاج الآن إلى هذه النقود وبإمكانك دفع هذا المبلغ لي .

قال :

- سأدفع لك قريباً . إنني بحاجة ماسة إلى المال الآن .

- لماذا؟

- لعملِي الخاص .

- لِمَ لا تدفع لي مبلغاً علي الحساب؟

قال :

- لا أستطيع : إنني بحاجة ماسة إلى ذلك المال . لكنني سأدفع لك .

صارع في إسبانيا مرتين فقط ، فلم يحتملوه هناك واكتشفوا حقيقة أمره بسرعة ، وكان قد فضّل سبع بدلات مصارعة جديدة ، فقد كان من هذا الصنف من الرجال ، ثم حزمها بطريقة سيئة جداً إلى ذرّجة أن أربعاً منها تلفت من ماء البحر في رحلة العودة ولم يعد بإمكانه ارتدائها فيما بعد .

قلت له :

- يا إلهي ، تسافر إلى إسبانيا وتبقى هناك موسماً كاملاً وتصارع مرتين فقط . وتنفق كل النقود التي أخذتها معك على بدلات أتلّفها ماء البحر ولا تستطيع ارتدائها بعد ذلك . ذلك هو الموسم الذي أمضيتَه هناك ثم تأتي لتردد على مسامعي ما رددته عن غملك الخاص؟ لِمَ لا تدفع لي المال الذي تدين به إليّ حتى أستطيع تركك؟

قال :

- أريدك هنا، سأدفع لك كل نقودك، لكنني بحاجة إلى المال الآن .

قلت :

- أنتَ بحاجة ماسة إليها لتدفعها لغير أمك حتى ترتاح إلى الأبد فيه، أليس كذلك؟ .

قال :

- أنا سعيد لما حدث لأمي . وأنتَ لا يمكنك أن تفهم .

قلت :

- أشكر المسيح على أنني لا أفهم . إُدفع لي ما أنتَ مدين به إليَّ وإلا أخذته من صندوق المال .

قال :

- سأبقي صندوق المال معي .

وبعد ظهر ذلك اليوم حضر مع صعلوك ، رجل من بلدته كان مفلساً .

قال :

- ها هو فلاح بحاجة إلى نقود ليعود إلى بلدته لأن أمه مريضة جداً .

كان ذلك الرجل مجرد صعلوك متشرد، كما تعرف، شخصاً نكرة لم يره من قبل قط، لكنه كان أحد أبناء بلدته وأراد الظهور بمظهر مصارع الثيران العظيم الكريم أمام رجل من أبناء بلدته .

قال لي :

- أعطه خمسين بيزوس من صندوق المال .

قلت :

- لقد أخبرتني الآن بأنك لا تملك مالاً تدفعه لي، وها أنت الآن تنبري لاعطاء خمسين بيزوس لهذا الصعلوك .

قال :

- إنه من أبناء بلدتي وهو في ضيق .

قلت :

- أنتَ كلبة* .

وأعطيته مفتاح صندوق المال .

- أعطه النقود بنفسك . أنا ذاهب إلى المدينة .

قال :

* لاحظ هنا بأنه يدعو بكلبة، زيادة في الاحتقار. (المترجم).

- لا تغضب . سأدفع لك .

أخرجتُ السيارة لأتوجه بها إلى المدينة . كانت سيارته لكنه كان يعرف بأنني أقودها خيراً منه . كنت أقوم بكل ما كان يقوم به خيراً منه . كان يعرف هذا . لم يكن يعرف حتى القراءة والكتابة . أردتُ الخروج لأرى شخصاً ما ليدلني على ما يمكنني فعله لحمله على تسديد ديني . خرج وقال :

- أنا أت معك وسأدفع لك . نحن صديقان حميمان . لا حاجة للخصام .
دخلنا المدينة بالسيارة وكنتُ أنا الذي يقودها . وقبل أن ندخل المدينة أخرج
عشرين بيزوس .

قال :

- هاك النقود .

قلت :

- أيها الكلبة بلا أم .

وذكرتُ له ما يمكنه فعله بالنقود .

- تعطي خمسين بيزوس لذلك الصعلوك وتعرض عليّ بعد ذلك عشرين بيزوس في حين أنك مدين لي بستمائة . لن آخذ نيكلًا منك . تعرف ما يمكنك فعله بها .
نزلتُ من السيارة وأنا خالي الوفاض لا أملك بيزوساً واحداً ولم أكن أعرف أين سأنام في تلك الليلة . خرجتُ فيما بعد مع صديق وأخذتُ متاعي من عنده . ولم أتكلم معه منذ ذلك الوقت حتى هذه السنة . وقد صادفته يسير مع ثلاثة من أصدقائه في المساء وهو في طريقه إلى دار سينما كالاوفي شارع جران في مدريد . مَدَّ يده نحوي .

قال لي :

- مرحباً يا روجيريا صديقي القديم . كيف حالك؟ يقول الناس بأنك تتكلم عني .
وبأنك تردّد كل الأقوال الظالمة عني .

قلت له :

- كل ما قلته بأنه لم يكن لديك أم قط .

كان ذلك أسوأ ما يمكنك قوله لإهانة رجلٍ في إسبانيا .

قال :

- ذلك صحيح . ماتت أمي المسكينة حين كنتُ صغير السن جداً حتى ليبدو كأن
ليس لي أم أبداً . إنه لأمر محزن جداً .

هناك ملكة لك . لا يمكنك لمسهم * . لا شيء ، لا شيء يمكنه لمسهم .
إنهم ينفقون النقود على أنفسهم أو غروراً ، لكنهم لا يدفعون أبداً . حاول أن تطلب
من أحدهم الدفع . رددت على مسامحة ما كان يراود ذهني من أفكار وذلك في شارع
جران أمام ثلاثة من أصدقائه ، لكنه ما يزال يتكلم معي حتى الآن حين ألتقي به
وكاننا صديقان . أي نوع من الدماء تلك التي تجري في عروق رجل كذلك
الرجل ؟ !

• طريقة تعبير عن الاحتقار والشنم . (المترجم) .

قارئة تكتب

جلستُ إلى الطاولة في غرفة نومها وجريدة مفتوحة أمامها ولم تكن تتوقف إلا لتنظر من خلال النافذة إلى الثلج الذي كان يتساقط ويذوب على الأسطح حال سقوطه . كتبتُ هذه الرسالة، وكتبتها باطراد وبلا حاجة إلى شطب أو إعادة كتابة أي شيء .

روانوك - فيرجينيا

٦/ شباط - فبراير/ ١٩٣٣

عزيزي الطبيب :

هل تسمح لي بالكتابة إليك طالبة تقديم نصيحة مهمة جداً . فلدي قرار لا بد أن أتخذه ولا أعرف الشخص الذي يمكنني الثقة به أكثر من غيره، كما أنني لا أجرؤ على سؤال والدي - ولهذا لجأتُ إليك - ولأنني لا أحتاج إلى رؤيتك، فإنني أستطيع وضع ثقتي فيك . والآن، ها هو وضعي - تزوجتُ شخصاً في خدمة الولايات المتحدة في ١٩٢٩، وقد أرسل إلى الصين في السنة نفسها إلى شنغهاي - وقد أمضى فيها ثلاث سنوات - ثم عاد إلى الوطن - فقد سُرح من الخدمة قبل بضعة شهور - وذهب إلى بيت والدته في هيلينا في أركانساس . وقد كتبتُ إليّ لأعود إلى البيت - فذهبتُ، ووجدتُ بأنه يتعاطى حقناً وكان من الطبيعي أن أسأله عن السبب، فوجدتُ بأنه يُعالج من مرض لا أعرف كيف اتهمجأ كلمته لكنها تبدو وكأنها هذه الكلمة : «الزهري» - أتعرف ما أعني - والآن، أخبرني : هل سيكون من المأمون أن أعيش معه ثانية - إنني لم أتصل به في أي وقت من الأوقات منذ أن عاد من الصين . لقد أكد لي بأنه سيصبح بخير بعد أن ينتهي الطبيب منه - هل ترى بأن هذا صحيح - كثيراً ما سمعتُ والدي يردد بأن الشخص الذي يقع ضحية لهذا المرض يتمنى أن يموت - إنني أصدق والدي لكنني أود أن أصدق زوجي أكثر - أرجوك، أرجوك أن تخبرني : ماذا أفعل - إن لي ابنة ولدت بينما كان والدها في الصين -

وأنا أشكرك وأثق بنصيحتك ثقةً كاملةً فأنا

ووقعت باسمها

قالت لنفسها: ربما يستطيع أن يخبرني بما يمكنني فعله . ربما يستطيع إخباري
فصورته المنشورة في الجريدة توحى بأنه سيفعل هذا . يبدو أنه ذكي جداً ، حقاً .
ففي كل يوم يشير إلى شخص بما سيفعله . لا بد أنه يعرف . أريد أن أفعل كل ما هو
صحيح . لقد انقضى وقت طويل . إنه لوقت طويل . وكان وقتاً طويلاً . لقد كان وقتاً
طويلاً يا مسيحي . كان لا بد أن يذهب إلى حيثما يرسلونه ، أنا أعرف هذا ، لكنني
لا أعرف لماذا كان لا بد أن يصاب به . لكنني أدعو المسيح لو أنه لم يكن قد أصيب
به . لا يهمني ما فعله وأدى إلى أن يصاب به . لكنني أدعو المسيح لو أنه لم يكن قد
أصيب به إطلاقاً . يبدو كأنه لم يكن يجب أن يصاب به . لا أدري ما أفعله . أدعو
المسيح ألا يصاب بأي نوع من الأمراض . أنا لا أعرف لماذا كان لا بد أن يصاب
بأي مرض .

عربون وفاء لسويسرا

الجزء الأول

صورة السيد ويلير في مونثرو

كان الجود داخل مقهى المحطة دافئاً ومضيئاً . وكان خشب الطاولة يلمع من المسح كما كانت عليها سلال من بسكويات عُقديات في أكياس ورق مزجج . وكانت الكراسي مزينة بنقوش ، بينما كانت المقاعد بالية ومريحة . وكانت على الحائط ساعة خشب مزينة بنقوش بينما كان في الطرف القصي من القاعة نضد حاجز مشرب . وكان الثلج يتساقط خارج النافذة .

كان حمالان من حمالي المحطة يجلسان إلى الطاولة الواقعة تحت الساعة ويشربان نبيذاً جديداً . دخل حمال آخر وقال بأن قطار سيمبلون - الشرق السريع سيتأخر ساعة في سانت موريس . خرج . اقتربت النادلة من طاولة السيد ويلير .

قالت :

- سيتأخر القطار السريع ساعة . أحضر لك بعض القهوة؟ .

- إذا رأيتَ بأنها لن تبقيني مستيقظاً .

سألت النادلة :

- عفواً .

قال السيد ويلير :

- أحضري إلي بعض القهوة .

- شكراً .

أحضرت القهوة من المطبخ ونظر السيد ويلير من النافذة إلى الثلج الساقط في الخارج في الضوء المنبعث من رصيف المحطة .

سأل النادلة :

- أتتكلمين لغات أخرى إضافة إلى الانجليزية؟ .

- أوه . نعم يا سيدي . أتكلم الألمانية والفرنسية واللهجات المحلية .

- أترغبين في أن تشربي شراباً أوشيثاً آخر؟ .

- أوه. لا يا سيدي. من غير المسموح لنا أن نشرب في المقهى مع الزبائن.
- ألا تريدان سيجاراً؟
- أوه، لا يا سيدي. فأنا لا أدخن.
- قال السيد ويلير:
- حسناً.

نظر إلى خارج النافذة ثانية، وشرب القهوة، ثم أشعل سيجارة.
نادى:

- فراولايين *Fraulein*.

- ماذا تريد يا سيدي؟

قال:

- أنت.

- يجب ألا تسخر مني بهذه الطريقة.

- أنا لا أسخر منك.

- إذن، يجب ألا تقول هذا.

قال ويلير:

- لا يتسع وقتي للمناقشة. سنيصل القطار بعد أربعين دقيقة. إذا صعبت معي إلى الطابق العلوي فسأدفع لك مائة فرنك.

- يجب ألا تقول مثل هذه الأشياء يا سيدي. سأطلب من الحمال أن يتكلم معك.

قال ويلير:

- أنا لا أريد نحماًلاً. ولا رجل شرطة، ولا واحداً من هؤلاء الصبية الذين يبيعون السجائر. أريدك أنت.

- إن تكلمت بهذه الطريقة فلا يد أن تخرج من هنا. لا يمكنك البقاء هنا والكلام على ذلك النحو.

- لِمَ لا تتعدي إذن؟ إن ابتعدت لن أستطيع التحدث إليك.

ابتعدت النادلة. راقبها السيد ويلير ليرى إن كانت تحدثت إليّ الحمال. لم تفعل ذلك.

ونادى عليها:

- Mademoiselle مدموزيل *

* بالالمانية في الاصل وتعني آنسة. (المترجم):

** بالفرنسية في الاصل وتعني آنسة. (المترجم):

اقتربت النادلة .

- أحضري لي قنينة سيون من فضلك .
- حسناً يا سيدي .

راقبها السيد ويلير تخرج ثم تدخل مع النبيذ وتضعه على طاولته . نظر في اتجاه الساعة .

قال :

- سأعطيك مائتي فرنك .
- من فضلك ، لا تقل مثل هذه الأشياء .
- إن مائتي فرنك مبلغ كبير من المال .

قالت النادلة :

- سوف لن تقول أشياء كهذه .
- بدأت تفقد انجليزيتها . نظر إليها السيد ويلير باهتمام .
- مائتا فرنك .
- أنت كرية .

- لِمَ لا تتعدي إذن؟ لن أستطيع التحدث إليك وأنتِ لستِ هنا .
تركت النادلة الطاولة واقتربت من نضد حاجز المشرب . شرب السيد ويلير النبيذ وابتسم لنفسه بعض الوقت .

نادى :

- مدموزيل .
- تظاهرت النادلة بأنها لم تسمعه .

نادى ثانية :

- مدموزيل .

أقربت النادلة :

- تريد شيئاً؟
- كثيراً جداً . سأعطيك ثلاثمائة فرنك .
- أنت كرية .
- ثلاثمائة فرنك سويسري .

ابتعدت وتابعها السيد ويلير بنظراته . فتح حمال الباب . كان الحمال المسؤول عن حقائق السيد ويلير .

قال بالفرنسية :

- القطار يقترب يا سيدي .
نهض السيد ويلير واقفاً .
نادى :

- مدموزيل .
اقتربتُ النادلةُ من الطاولة .
- كم ثمن النبيذ؟ .
- سبع فرنكات .

عد السيد ويلير ثمانية فرنكات وتركها على الطاولة . ارتدى معطفه وتبع
الحمال إلى الرصيف حيث كان الثلج يتساقط .
قال :

- أرىقوار مدموزيل **Au revoir mademoiselle* .

راقبته النادلة وهو يغادر المكان . فكرت : إنه قبيح ، قبيح وكريه . ثلاثمائة
فرنك مقابل شيء لا يتطلب جهداً . كم مرة مارستُ هذا بلا مقابل . وليس ثمة مكان
هنا للجوء إليه . لو كان لديه عقل يعرف بأن ليس ثمة مكان هنا . ليس ثمة وقت
وليس ثمة مكان للجوء إليه . ثلاثمائة فرنك لفعل ذلك . أي نوع من البشر أولئك
الأمريكيون .

كان السيد ويلير يفكر وهو واقف على الرصيف الاسمتي إلى جانب حقائبه ،
ناظراً إلى سكك الحديد نحو النور الأمامي للقطار القادم من خلال الثلج : إنها
رياضة غير باهظة التكاليف . فقد أنفق فعلاً ، إضافة إلى العشاء ، سبع فرنكات ثمن
زجاجة نبيذ وفرنكاً واحداً كإكرامية . كانت خمسة وسبعون سنتيماً أفضل . لكان
يشعر شعوراً أفضل الآن لو كانت الإكرامية خمسة وسبعون سنتيماً . فالفرنك
السويسري يعادل خمسة فرنكات فرنسية . كان السيد ويلير متجهاً إلى باريس .
وكان حريصاً جداً على نقوده ولم يكن يهتم بالنساء . لقد كان في تلك المحطة من
قبل وكان يعرف بأن ليس ثمة طابق علوي يلجأ إليه . فالسيد ويلير لم يجازف
بالاعتماد على الحظ قط .

● بالفرنسية في الأصل وتعني إلى اللقاء يا آنسة . (المترجم) .

الجزء الثاني

السيد جونسون يتحدث عنه في فيفي

كان داخل مقهى المحطة دافئاً ومضيئاً. وكانت الطاولات تلمع من المسح كما كانت على بعضها أغطية طاولات قماشية بيضاء مخططة، وعلى بعضها الآخر أغطية طاولات قماشية بيضاء مخططة، وعلى بعضها الآخر أغطية طاولات قماشية زرقاء وبيضاء مخططة، كما كانت عليها كلها سلال فيها بسكويت عُقديات بأكياس ورق مزجج. كانت الكراسي مزينة بالنقوش لكن المقاعد الخشبية كانت مهترئة ومريحة. كانت على الجدار ساعة، ونضد حاجز مشرب من الزنك في الطرف القصي من الحجرة، وكان الثلج يتساقط خارج النافذة. كان حمّالان من حمالي المحطة يجلسان إلى الطاولة الواقعة تحت الساعة ويشربان نبيذاً جديداً. دخل حمّال آخر وقال بأن قطار سيمبلون - الشرق السريع سيتأخر ساعة في سانت موريس. اقتربت النادلة من طاولة السيد جونسون:

قالت:

- سيتأخر القطار السريع ساعة يا سيدي، هل أحضر لك بعض القهوة؟
 - إن لم يزعجك هذا كثيراً؟
- سألت النادلة:

- عفواً؟

- سأتناول بعضها.

- شكراً.

أحضرت القهوة من المطبخ ونظر السيد جونسون من النافذة إلى الثلج المتساقط في النور المنبعث من رصيف المحطة.

سأل النادلة:

- هل تتكلمين لغات أخرى إضافة إلى اللغة الانجليزية؟
 - أوه، نعم. أتكلم الألمانية والفرنسية واللهجات المحلية.
 - أتودين أن تشربي شيئاً؟
 - أوه، لا يا سيدي، ليس من المسموح لنا أن نشرب شيئاً في المقهى مع الزبائن.
 - خذي سيجاراً؟
- ضحكت:

- أوه، لا يا سيدي . أنا لا أدخن يا سيدي .

قال جونسون :

- ولا أنا . إنها عادة قبيحة .

ابتعدت النادلة وأشعل جونسون سيجارة وشرب القهوة . أشارت ساعة الحائط إلى العاشرة إلا ربعاً . كانت ساعة يده أسرع منها قليلاً . كان موعد القطار في الساعة العاشرة والنصف - وتأخير ساعة أخرى يعني بأنه سيصل في الساعة الحادية عشرة والنصف . نادى جونسون النادلة :

- سينيورينا Signorina* .

- ماذا تريد يا سيدي؟ .

سأل جونسون :

- ألا تودين اللهومي؟ .

احمر وجه النادلة :

- لا يا سيدي .

- لم أقصد أي شيء عنيف . ألا تودين تنظيم حفلة لنرى حياة الليل في فيفي؟
أحضري صديقة لك إن شئت .

قالت النادلة :

- يجب أن أشتغل . عندي نوبة عمل هنا .

قال جونسون :

- أعرف . لكن ، ألا تستطيعين إيجاد بديل لك . اعتدن فعل هذا خلال الحرب الأهلية .

- لا يا سيدي . يجب أن أكون هنا بنفسى وشخصياً .

- أين تعلمت اللغة الانجليزية؟ .

- في مدرسة بيرلitzيا سيدي .

قال جونسون :

- أخبريني عنها . هل كان طلاب بيرلitz عنيفين؟ ماذا عن كل العناق والتقبيل؟ هل كان هناك كثير من الفتيات الناعمات؟ هل صادفت سكوت فيتزجيرالد*؟ .
- عفواً .

- أعني : هل كانت حياة الكلية أجمل أيام حياتك؟ أي فريق كان لبيرلitz في

* بالاطالية في الأصل وتعني آنسة . (المترجم) .

** Scot Fitzgerald (١٨٩٦ - ١٩٤٠) اقترنت رواياته وقصصه وشخصه بعصر الجاز . (المترجم)

- الخريف الماضي؟ .
- أنتَ تمزح يا سيدي؟ .
- قال جونسون:
- قليلاً. أنتِ فتاة طيبة جداً. وأنتِ لا تريدين اللومعني؟ .
- قالت النادلة:
- أو، يا سيدي هل تريدين أن أحضر لك شيئاً؟ .
- قال جونسون:
- نعم. هل لك أن تحضري لي قائمة النبيذ؟ .
- نعم يا سيدي .
- اقرب جونسون من الطاولة التي يجلس إليها الحمالون الثلاثة ومعه قائمة النبيذ. رفعوا أبصارهم إليه. كانوا رجالاً كبار السن.
- سأل:
- أتريدون أن تشربوا؟ .
- أوما أحدهم برأسه وابتسم .
- Oui, Monsieur وي مسيو* .
- تتكلم الفرنسية؟ .
- Oui, monsieur .
- ماذا ستشرب؟ هل تعرف الشمبانيا؟ .
- Non, monsieur نومسيو** .
- قال جونسون:
- هل من الضروري أن تعرفها .
- نادى جونسون على النادلة .
- فراولايين Fraulein. سنشرب شمبانيا .
- أي شمبانيا تختار يا سيدي؟ .
- قال جونسون:
- الأفضل .
- سأل الحمالين:
- أيها الأفضل؟ .

* بالفرنسية في الأصل وتعني نعم يا سيد. (المترجم).

** بالفرنسية في الأصل وتعني لا يا سيد. (المترجم).

سأل الحمّال الذي تكلم أولاً .

- Le meilleur الأحسن ؟ .

- مهما كان ثمنها .

أخرج الحمّال نظارة ذهبية الاطار من جيب معطفه وفحص القائمة . أجرى
اصبعه على الأسماء والأسعار الأربعة المطبوعة على الآلة الكاتبة . وقال :

- سبورتسمان . سبورتسمان أفضلها .

سأل جونسون الحمّالين الآخرين :

- توافقان أيها السيدان ؟ .

أوماً أحد الحمّالين برأسه موافقاً . وقال الآخر بالفرنسية : «أنا لا أعرفها
شخصياً لكنني كثيراً ما سمعتُ كلاماً عن سبورتسمان . إنها جيدة» .

قال جونسون للنادلة :

- قنينة سبورتسمان .

نظر إلى السعر المذكور في بطاقة النيذ : أحد عشر فرنكاً فرنسياً .

- اجعليهما قنيتي سبورتسمان .

وسأل الحمّال الذي اقترح نيذ سبورتسمان :

- أسمح لي بالجلوس هنا معكم ؟ .

- اجلس . تفضل ضع نفسك هنا .

ابتسم الحمّال له . كان يطوي نظارته ويضعها في علبتها .

- هل هو عيد ميلاد السيد ؟ .

قال جونسون :

- لا . إنها ليست مناسبة سعيدة . لقد قررت زوجتي الطلاق مني .

قال الحمّال :

- هكذا . أمل الآ يحدث هذا .

هزّ الحمّال الآخر رأسه ، وبدا بأن الحمّال الثالث أطرش قليلاً .

قال جونسون :

- مما لا شك فيه بأنها تجربة شائعة ، مثل أول زيارة لطبيب الأسنان أو مثل أول مرة
تشعر بها فتاة بالحوض ، لكنني انزعجتُ منها .

قال أكبر الحمّالين سناً :

- هذا مفهوم . إنني أفهم هذا .

سأل جونسون :

- لم يُطَلِّق أي منكم أيها السادة؟ .
- كفَّ عن التهريج اللغوي ، وبدأ يتكلم بلغة فرنسية سليمة واستمر كذلك لبعض الوقت .
- قال الحَمَّال الذي طلب سيورتسمان :
- لا . إنهم لا يطلقون كثيراً هنا . ثمة رجال طَلَّقوا هنا لكنهم ليسوا كثيري العدد .
- قال جونسون :
- معنا، الوضع مختلف . فكل شخص مطلق عملياً .
- أكد الحَمَّال :
- ذلك صحيح . قرأتُ هذا في الصحف .
- تابع جونسون قوله :
- أنا متأخر إلى حد ما . هذه أول مرة أُطلق فيها . إنني في الخامسة والثلاثين من عمري .
- قال الحَمَّال :
- ما زلت شاباً .
- قال موضحاً للحَمَّالين الآخرين :
- إن السيد في الخامسة والثلاثين .
- أوما الحَمَّالان الآخران برأسيهما .
- قال واحد منهم :
- إنه صغير السن جداً .
- سأل الحَمَّال :
- وهذه هي أول مرة تطلق فيها حقاً؟ .
- قال جونسون :
- بالضبط . أرجو أن تفتحي النيذ يا آنسة .
- وهو يكلف غالياً؟ .
- عشرة آلاف فرنك .
- نقود سويسرية؟ .
- لا . نقود فرنسية .
- أوه، نعم . ألفا فرنك سويسري . الأمر سواء، إنه ليس رخيصاً .
- لا .
- لماذا يُقدِّم الإنسان عليه؟ .

- يُطلب من الإنسان القيام به .
- لكن، لماذا يطلبين ذلك؟ .
- ليتزوجن أشخاصاً آخرين؟ .
- لكن هذا غباء .
- قال جونسون:
- أتفق معك بالرأي .
- ملأت النادلة الكؤوس الأربعة . ورفع الجميع كؤوسهم .
- قال جونسون:
- في صحتك .
- قال الحمال:
- في صحتك يا سيد .
- قال الحمالان الآخران:
- نخيك .
- كان مذاق الشمبانيا مذاق عصير فواكه قرنفلي حلو .
- سأل جونسون:
- هل من عادتكم في سويسرا دائماً أن تجيئوا بلغة مختلفة؟ .
- قال الحمال:
- لا . الفرنسية أكثر حضارة . إضافة إلى أن هذه منطقة من سويسرا الرومانية .
- لكنك تتكلم الألمانية؟ .
- نعم . فقد جئتُ من حيثُ يتكلمون الألمانية .
- قال جونسون:
- أرى هذا، وقلت بأنك لم تطلق أبداً؟ .
- لا . سيكون هذا باهظ التكاليف . إضافة إلى أنني لم أتزوج قط .
- قال جونسون:
- آه . وهذان السيدان الآخران؟ .
- انهما متزوجان .
- سأل جونسون أحد الحمالين:
- أيعجبك الزواج؟ .
- ماذا؟ .
- أتعجبك حالة الزواج؟ .

- نعم ، هذا طبيعي .
- قال جونسون :
- بالضبط . وأنتَ أيها السيد؟ .
- قال الحمال الآخر:
- حسن ، Ca va .
- قال جونسون :
- بالنسبة إليّ ، ليس حسناً .
- قال الحمال الأول موضحاً :
- السيد سيطلق .
- قال الحمال الثاني :
- أوه .
- قال الحمال الثالث :
- آه . ها .
- قال جونسون :
- حسناً ، يبدو أن الموضوع قد استنفد .
- ثم خاطب الحمال الأول :
- أنتَ لست مهتماً بمشاكلي .
- قال الحمال :
- لكنني مهتم بها .
- حسناً ، لتتكلم عن شيء آخر .
- كما تشاء .
- عمّ يمكننا أن نتحدث؟ .
- هل تلعب الرياضة؟ .
- قال جونسون :
- لا . لكن زوجتي تلعبها .
- ماذا تفعل للترفيه؟ .
- أنا كاتب .
- هل يكسب ذلك مالاً كثيراً؟ .
- لا . لكن حين تصبح مشهوراً فيما بعد ، يكسب الكثير .
- مشيراً؟ .

قال جونسون :

- لا ، ليس مثيراً . أنا آسف أيها السادة ، لكنني لا بد أن أترككم . هلاً شربتم القنينة الأخرى ؟ .

- لكن القطار لن يصل إلا بعد ثلاثة أرباع الساعة .

قال جونسون :

- أعرف هذا .

حضرت النادلة ودفع ثمن النيذ وعشاءه .

سألت :

- ستخرج يا سيدي ؟ .

قال جونسون :

- نعم . لأنمشى قليلاً . سأترك حقيبتى هنا .

ارتدى لفاعته ومعطفه وأعتمرقبعته . كان الثلج يتساقط غزيراً في الخارج . التفت ناظراً من خلال النافذة إلى الحمالين الثلاثة الجالسين حول الطاولة . كانت النادلة تملأ كؤوسهم بما بقي من نيذ في الزجاجة المفتوحة . وأخذت الزجاجة المقفلة وأرجعتها إلى نضد حاجز المشرب . فكّر جونسون : سيكون نصيب كل واحد منهم ثلاثة فرنكات وبضعة ستيمات . التفت إلى الأمام ومشى في اتجاه الرصيف . ظن وهو داخل المقهى بأن الكلام حول الموضوع سيخفف من حدته ، لكن الكلام لم يخفف من حدته ، بل جعله يحسّ بالقرف .

الجزء الثالث

ابن عضو زميل في تيريتيت

كان مقهى المحطة في تيريتيت دافئاً أكثر من اللازم والأنوار ساطعة والطاولات لامعة من الصقل . وكانت على الطاولات سلال فيها بسكويت عُقديات في أكياس ورق مزجج وقطع ورق توضع تحت كؤوس البيرة حتى لا ترسم الكؤوس المبللة حلقات على الخشب . كانت الكراسي مزينة بنقوش لكن المقاعد الخشبية كانت بالية ومريحة تماماً . كانت على الحائط ساعة ، كما كان في الطرف البعيد من الغرفة نضد حاجز مشرب ، بينما كان الثلج يتساقط خارج النافذة . كان رجل عجوز جالساً إلى طاولة تحت الساعة يشرب قهوة ويقراً جريدة المساء . دخل حمال قاعة المحطة وقال بأن قطار سيمبلون - الشروق السريع سيتأخر ساعة في سانت موريس . اقتربت

- النادلة من طاولة السيد هاريس . كان السيد هاريس قد أنهى العشاء في تلك اللحظة تماماً .
- سيتأخر القطار السريع ساعة يا سيدي . أتريد أن أحضر لك بعض القهوة؟ .
- إذا أردتِ .
- سألت النادلة :
- عفواً؟ .
- قال السيد هاريس :
- حسناً .
- قالت النادلة :
- أشكرك يا سيدي .
- أحضرت القهوة من المطبخ ووضع السيد هاريس السكر فيها وسحق كتل السكر بملعقته ، ونظر من خلال النافذة إلى الثلج المتساقط في الضوء المنبعث من رصيف المحطة .
- سأل النادلة :
- هل تتكلمين لغات أخرى إضافة إلى الانجليزية؟ .
- أوه، نعم يا سيدي . أتكلم الألمانية والفرنسية واللهجات المحلية .
- أيها تفضلين؟ .
- كلها متشابهة جداً يا سيدي . لا أستطيع القول بأنني أفضل واحدة على الأخرى .
- أتشربين شيئاً أو قهوة؟ .
- أوه، لا يا سيدي ، ليس مسموحاً لنا أن نشرب في المقهى مع الزبائن .
- ألا تريدن سيجاراً؟ .
- ضحكتُ :
- أوه، لا يا سيدي أنا لا أدخن .
- قال هاريس :
- ولا أنا . أنا لا أتفق مع ديفيد بيلاسكو .
- عفواً .
- بيلاسكو . ديفيد بيلاسكو . تستطيعين التعرف عليه لأن ياقته تكون دائماً إلى الخلف . لكنني لا أتفق معه . ثم أنه ميّت أيضاً .
- سألت النادلة :
- أعلزني يا سيدي .

قال هاريس :

- بالطبع .

مال بجسمه إلى الأمام في كرسيه ونظر إلى خارج النافذة . كان العجوز قد طوى جريدته في الجانب الآخر من الغرفة . نظر إلى السيد هاريس ثم حمل قهوته وطبقه واتجه إلى طاولة السيد هاريس :

قال باللغة الانجليزية :

- عفواً إن كنتُ أتفضل عليك ، لكن ، خطرفي بالي بأنك قد تكون عضواً في الجمعية الجغرافية الوطنية .

قال هاريس :

- اجلس من فضلك .

جلس الرجل .

- ألا تريد قهوة أخرى أوليكير؟ .

قال الرجل :

- شكراً .

- ألا تحب أن تشرب خمرة الكرز معي؟ .

- ربما . لكن ، لا بد أن تشربها معي .

- لا ، أنا أصبر .

نادى هاريس النادلة : أخرج العجوز من جيب معطفه الداخلي محفظة جيب جلدية الغلاف . أخرج رزمة أوراق محاطة بمطاط عريض وسحب عدة أوراق ، ثم اختار ورقة منها وناولها لهاريس .

قال :

- تلك شهادة عضويتي . أتعرف فريدريك ج . روسيل في أمريكا؟ .

- أخشى أنني لا أعرفه .

- أعتقد بأنه شخص بارز جداً .

- من أين هو؟ أتعرف من أية ولاية؟ .

- من واشنطن طبعاً . أليست هي المركز الرئيسي للجمعية؟ .

- أظن هذا .

- تظن هذا؟ أليست متأكد؟ .

قال هاريس :

- كنتُ خارج البلاد مدة طويلة .

- أنت عضو في الجمعية، إذن؟
- لا. لكن أبي عضو فيها. كان عضواً فيها مدة سنين عديدة جداً.
- إذن فهو يعرف فريدريك ج. روسيل. إنه أحد مسؤولي الجمعية. ستلاحظ بأن السيد روسيل هو الذي رشّحتني للعضوية.
- يسعدني هذا كثيراً.
- أنا آسف لأنك لست عضواً. لكنك تستطيع الحصول على الترشيح عن طريق أبيك؟

قال هاريس:

- أظن هذا. لا بد أن أفعل هذا حين أعود.
- قال الرجل:
- أنصحك بفعل هذا. أنت ترى المجلة، طبعاً؟
- طبعاً.
- رأيت العدد المزدان باللوحات الملونة عن حيوانات شمال أمريكا؟
- نعم. إنه عندي في باريس.
- والعدد الذي يحتوي على مناظر لبراكين ألاسكا؟
- ذلك كان مدهشاً.
- لقد استمتعت كثيراً جداً بصور الحيوانات المفترسة التي صورها جورج شيراس الثالث.

- كانت جميلة لعينة.

- عفواً.

- كانت ممتازة. ذلك الزميل شيراس.

- أتدعوه ذلك الزميل؟

قال هاريس:

- نحن صديقان قديمان.
- أرى هذا. أنت تعرف جورج شيراس الثالث. لا بد أنه مثير جداً للإهتمام.
- نعم هو كذلك. هو أكثر الرجال الذين عرفتهم إثارة للإهتمام.
- أتعرف جورج شيراس الثاني؟ هل هو مثير للإهتمام أيضاً؟
- أوه، هو ليس مثيراً للإهتمام كثيراً.
- لا بد أنني ظننت بأنه مثير جداً للإهتمام.
- لتعرف، إنه أمر مضحك. إنه ليس مثيراً جداً للإهتمام. كثيراً ما تساءلت عن

السبب .

قال السيد :

- هم م . لا بد أنني ظننت بأن أي واحد من هذه الأسرة سيكون مثيراً للاهتمام .
سأل هاريس :

- أتذكر المنظر العام لصحراء الصحاري؟ .
- صحراء الصحاري؟ كان ذلك قبل حوالي خمس عشرة سنة تقريباً .
- ذلك صحيح . كان ذلك الأثير لدى أبي .
- إنه لا يحب الأعداد الجديدة؟ .
- ربما يحبها . لكنه كان مغرمًا جداً بالمنظر العام للصحاري .
- كانت رائعة . لكنني أرى بأن قيمتها الفنية فاقت كثيراً فائدتها العلمية .

قال هاريس :

- لا أعرف هذا . الريح تذر وكل ذلك الرمل وذلك العربي وجمعه راعماً نحو مكة .
- وكما أتذكر أنا، فإن العربي كان يقف ممسكاً بالجمل .

قال هاريس :

- أنت محق تماماً . كنت أفكر بكتاب العقيد لورنس .
- أعتقد بأن كتاب لورنس يتناول بلاد العرب .

قال :

- تماماً . لقد كان العربي هو الذي ذكرني به .
- لا بد أنه شاب مثير للاهتمام .
- أعتقد هذا .
- أتعرف ما الذي يفعله الآن؟ .
- إنه في سلاح الجو الملكي .
- ولماذا انضم إليه؟ .
- إنه يحب .
- أتعرف إن كان ينتمي إلى الجمعية الجغرافية الوطنية؟ .
- إنني لأتساءل إن كان كذلك .
- لا بد أنه سيكون عضواً ممتازاً . إنه من ذلك النوع من الأشخاص الذين يحتاجون لعضويته . سأكون سعيداً جداً بأن أرشحه ، إن كنت ترى بأنهم يودون أن يقبلوه .
- أظن بأنهم يقبلونه .
- لقد رشحتُ عالماً من فيفي وزميلاً لي من لوزان وانتُخبَ كلاهما . أظن بأنهم

سيبرون جداً إن أنا رشحتُ العقيد لورنس .

قال هاريس :

- إنها فكرة هائلة . أتردد على هذا المقهى كثيراً؟ .

- أحضر إلى هنا من أجل قهوة بعد العشاء .

- أنت في الجامعة؟ .

- لم أعد نشيطاً .

قال هاريس :

- أنا في انتظار القطار فقط . سأذهب إلى باريس وسأبحر من هافر إلى الولايات المتحدة .

- انني لم أزر أمريكا قط . لكنني أود زيارتها كثيراً جداً . ربما سأحضر اجتماعاً للجمعية ذات يوم . سأكون سعيداً جداً لو قابلتُ أبلك .

- أنا متأكد من أنه كان يحب أن يقابلك لكنه مات في السنة الماضية . أطلق النار على نفسه ، أمر غريب حقاً .

- أنا آسف جداً حقاً . أنا متأكد من أن موته كان ضربةً للعلم إضافة لأسرته .

- تلقاه العلم تلقياً حسناً .

قال هاريس :

- هذه بطاقتي . كانت حروف اسمه الأولى ي . ج بدلاً من ي . د . أنا متأكد من أنه

كان يحب أن يعرفك .

- سيكون هذا من دواعي سروري العظيم .

أخرج الرجل المعجوز بطاقة من كتاب جيب وأعطها لهاريس . وكان في

البطاقة :

د . سيجيسموند وايبير : دكتورة في الفلسفة
عضو الجمعية الجغرافية الوطنية ،
واشنطن - مقاطعة كولومبيا ،
الولايات المتحدة الأمريكية .

قال هاريس :

- سأحافظ عليها كل المحافظة .

انتظار يوم واحد

دخل الغرفة ليغلق النوافذ بينما كنا لا نزال في السرير، فلاحظتُ بأنه كان يبدو مريضاً. كان يرتعش ووجهه أبيض ويمشي ببطء كأن الحركة تؤلمه.

- ما بك يا شاتز؟

- عندي صداع.

- يحسن أن تعود إلى السرير.

- لا. أنا بخير.

- إمض إلى السرير. سأراك بعد أن أرتدي ملابس.

لكنني حين هبطتُ إلى الطابق السفلي رأيتُه مرتدياً ملابسهِ وجالساً قرب النار، وهو يبدو ولداً في التاسعة مريضاً جداً وبائساً جداً. عندما وضعتُ يدي على جبهته، عرفتُ بأنه مصاب بالحمى.

قلت:

- اصعد وأمض إلى السرير. أنتَ مريض.

قال:

- أنا بصحة جيدة.

حين حضر الطبيب، قاسَ درجة حرارة الولد.

سألت:

- كم هي؟

- مائة ودرجتان!

في الطابق السفلي، ترك الطبيب ثلاثة أنواع مختلفة من الدواء بثلاث كبسولات مختلفة الألوان مع تعليمات عن استعمالها. كان أحدها لخفض درجة الحرارة والآخر مسهلاً والثالث للتغلب على الحموضة. وقال موضحاً: إن جراثيم الانفلونزا تعيش فقط في ظروف حامضية. بدأ أنه يعرف كل شيء عن الانفلونزا وقال بأنه ليس هناك موجب للقلق إذا لم تتجاوز درجة حرارة الحمى مائة وأربع درجات. كانت هذه حالة انفلونزا وبائية ولم يكن هناك أي خطر إن لم يُصَبَّ المريض بذات الرئة.

وفي الغرفة، سجّلتُ درجة حرارة الولد ودوّنتُ ملاحظة عن الوقت المحدد لاعطاء الكبسولات المختلفة.

- أتريدني أن أقرأ لك؟

قال الولد:

- حسناً. إن أردت.

كان وجهه أبيض تماماً كما كانت تحت عينيه بقع سوداء. كان يستلقي في السرير ساكناً ويبدو ذاهلاً عن كل ما يجري حوله.

قرأت بصوت عالٍ من كتاب هوارد بايل: «كتاب القراصنة». لكنني لاحظتُ بأنه لم يكن يتابع ما كنت أقرأه عليه.

سألته:

- كيف حالك يا شاتز؟

- تماماً كما في السابق إلى حد الآن.

جلستُ على أسفل السرير وقرأتُ لنفسني برهة بينما كنت أنتظر الوقت المحدّد لأعطائه كبسولة أخرى. كان من الطبيعي أن ينام، لكنني لاحظتُ، حين رفعتُ نظري إليه، بأنه كان ينظر إلى أسفل السرير، كان ينظر نظرة غريبة جداً.

- لمَ لا تحاول أن تنام؟ سأوقفك لتناول الدواء.

- أفضل البقاء مستيقظاً.

قال لي بعد برهة:

- لست مضطراً للبقاء هنا معي يا بابا إن كان هذا يزعجك.

- إن هذا لا يزعجني.

- لا. أعني أنك لست مضطراً للبقاء إن كان هذا سيزعجك.

فكرتُ بأنه ربما كان يهذي وخرجتُ لبرهة بعد أن أعطيته الكبسولات المحدّدة في الساعة الحادية عشرة.

كان يوماً صافياً بارداً وكانت الأرض قد غُطيتُ بجليد المطر الذي كان قد تجمد على نحو بدت فيه الأشجار العارية والشجيرات والأغصان المقطوعة وكل الأعشاب والأرض الجرداء مغطّية بالثلج. أخذتُ كلب الصيد الإيرلندي الصغير للقيام بنزهة قصيرة على الطريق وعلى جدول متجمد، لكن، كان من الصعب الوقوف أو المشي على السطح الزجاجي، فزلّ الكلب الأحمر وانزلق وسقطتُ أنا مرتين بقوة، كما سقطتُ مني بندقيتي في إحدى المرات وانزلتُ مبتعدة فوق الجليد.

طيرنا سرباً صغيراً من طيور السمان تحت منحدر مرتفع بأغصان متدلّية وقتلتُ اثنين منها حين توارت عن الأنظار فوق قمة المنحدر. حطتُ ببعض طيور السرب

على الأشجار، لكن أغلبها تفرّق في كومات من الأغصان المقطوعة وكان لا بد أن تقفز على تلال الأغصان المغطاة بالثلج عدة مرات قبل أن تطير. وكان خروجها من أماكنها بينما أنت توازن نفسك على نحو مقلقل على الأغصان اللينة المغطاه بالثلج يجعل إطلاق النار صعباً فقتلت اثنين واخطأت خمسة ثم انطلقت عائداً إلى البيت وأنا أشعر بالسرور لاكتشافي سرب طيور قريباً من البيت وأشعر بالسعادة لبقاء الكثير منها ليوم آخر.

وأخبروني في البيت بأن الولد رفض السماح لأي شخص بأن يدخل غرفته.

قال:

- لا يمكنك الدخول. يجب ألا تصاب بما أصبتُ به.
صعدتُ إليه ووجدته على نفس الحال التي تركته عليها تماماً، أبيض الوجه لكن قمتي خديه متوردتان بالحمى ولا يزال يحدّق، كما كان يحدّق في السابق، في أسفل السرير. أخذتُ درجة حرارته.
- كم هي؟
قلت:

- بحدود المائة درجة.

كانت مائة ودرجتين وأربعة أعشار.

قال:

- كانت مائة ودرجتين.

- مَنْ قال هذا؟

- الطبيب.

قلت:

- إن درجة حرارتك عادية. لا تدعو إلى القلق.

قال:

- لستُ قلقاً، لكنني لا أستطيع الكفّ عن التفكير.

قلت:

- لا تفكر. خذ الأمور ببساطة.

- انني آخذها ببساطة.

ونظر إلى الأمام مباشرة. كان من الواضح بأنه يخفي في نفسه، ويكتمان

شديداً، شيئاً.

- خذ هذه مع الماء.

- أنظن بأنها ستفيدني؟ .

- طبعاً ستفيدك .

جلست وفتحت «كتاب القراصنة» وبدأت القراءة، لكنني لاحظت بأنه لم يكن يتابع ما كنت أقرأه، لذلك توقفت عن القراءة .

سأل :

- في أي وقت ترى بأنني سأموت؟ .

- ماذا؟! .

- كم سأستغرق من وقت قبل أن أموت؟ .

- لن تموت، ما بك؟ .

- أوه، نعم . سأموت . لقد سمعته يقول مائة ودرجتين .

- لا يموت الإنسان من حمى بدرجة مائة ودرجتين . تلك طريقة سخيفة للكلام .

- أعرف بأنهم يموتون . لقد أخبرني الأولاد في المدرسة في فرنسا بأنه لا يمكنك

أن تعيش بدرجة حرارة تصل إلى أربع وأربعين . لقد وصلت إلى مائة ودرجتين .

كان ينتظر أن يموت طيلة النهار، منذ التاسعة صباحاً .

قلت :

- يا شاتز المسكين . يا شاتز المسكين المجوز . إنها كالأميال والكيلومترات . لن

تموت . إنه ميزان حرارة مختلف . إن سبعمائة وثلاثين درجة في ذلك الميزان هي درجة

الحرارة الطبيعية . أما في هذا النوع، فهي ثمانين وتسعون .

تابعت قائلاً :

- إنها تماماً كالأميال والكيلومترات . أنت تعرف، مثل كم كيلومتراً تقطعها حين

نقطع سبعين ميلاً في السيارة؟ .

قال :

- أوه .

لكن تحديقته في أسفل السرير تراخبت . كما خفت توتره، ثم خفت الحمى

أخيراً في اليوم التالي وأخذ يصبح بسهولة لأشياء صغيرة لم تكن ذات بال .

تاريخ طبيعي للموتى

بدا لي دائماً بأن الحرب كانت قد حُذفت كמידان لملاحظات العالم الطبيعي . إن لدينا أوصافاً فاتنة وصحيحة لزهور وحيوانات باتاجونيا من تأليف المرحوم و. ه. هدسون، كما أن الأب المبجل جيلبرت وايت كتب، وعلى نحو أكثر إثارة للاهتمام، عن الهدهد في زيارات هذا الهدهد العرّضية وغير المتابعة، على الإطلاق، إلى سيلبون، بينما قدّم إلينا الأسقف ستانلي كتاباً قيماً وشعبياً كذلك عن «تاريخ الطيور المألوف». ألا يمكننا أن نأمل بعد هذا كله أن نقدم إلى القارئ وقائع قليلة معقولة ومثيرة للاهتمام عن الموتى؟ أمل ذلك.

عندما كان ذلك الرحّالة المثابر مانجو بارك يُغمى عليه في فترة حياته وهو في تيه الصحراء الأفريقية الشاسعة، عارياً ووحيداً، معتبراً أيامه معدودة وقد بدا له بأنه لم يبقَ لديه ما يفعله سوى أن يتمدد ويموت، لفتت نظره زهرةٌ طحلب صغيرة ذات جمال خارق للعادة. فقال: «مع أن النبتة كلها ليست أكبر من أحد أصابعي، إلا أنني لا أستطيع تأمل تكوين جذورها وأوراقها وكؤوسها الدقيق دون الإعجاب بها. هل بوسع ذلك «الوجود» الذي زرع ورعى، إلى درجة الكمال وفي هذا الجزء المجهول من العالم، شيئاً، يبدو إلى هذا الحد من قلة الأهمية، أن ينظر بلا مبالاة إلى وضع ومعاناة مخلوقات تشكّلت على صورته نفسه؟ بالتأكيد لا. كما أن تأملات كهذه لن تسمح لي بأن أصل إلى اليأس، فنهضت واقفاً وانطلقت، دون مبالاة بالجوع والتعب، سائراً إلى الأمام، وأنا متأكد من أن الخلاص أصبح قاب قوسين أو أدنى: ولم يخب أملِي».

وهل يمكن أن يُدرس أي فرع من التاريخ الطبيعي، بنفس نزعة الاندهاش والعبادة وعلى هذا النحو، كما يقول القسيس ستانلي، دون أن يزيد ذلك الإيمان والحب والأمل الذي نحتاجه نحن أيضاً، ويحتاجه كل واحد منا في رحلتنا في تيه الحياة؟ فلنر اذن أي إلهام يمكننا إستخلاصه من الموتى.

يكون الموتى أثناء الحرب من ذكور الجنس البشري، مع أن هذا لا ينطبق على الحيوانات، فكثيراً ما رأيتُ أمهراً ميّنة بين الخيول. كما أن ثمة وجه آخر للحرب مثير للاهتمام وهو أن العالم الطبيعي يجد فيه وحده فرصة ملاحظة البغال الميّنة. فأننا لم أر، خلال عشرين سنة من ملاحظة الحياة المدنية، بغلاً ميّناً حتى أن شكوكاً بدأت تساورني حول حقيقة ما إذا كانت هذه الحيوانات فانية حقاً. إلا

أنني رأيت في مناسبات نادرة حيوانات اعتبرت بها بغالاً ميتة، لكن هذه البغال كانت تظهر دائماً بأنها مخلوقات حيّة حين كنت أقرب منها قريباً شديداً، حيث كانت تبدو حيّة وهي في وضع الراحة الكامل الذي تتخذه. لكن هذه الحيوانات تخضع في الحرب للموت بنفس قدر خضوع الحصان العادي جداً والأقل احتمالاً منها للموت.

وكانت أغلبية البغال التي رأيتها ميتة ملقاة على طرق جبلية أو منظرحة في قاع منحدرات حادة دُفعت منها لتخليص الطريق منها. وقد بدت منظرًا مناسباً في الجبال حيث اعتاد الناس على وجودها هناك، كما بدت أقل تعارضاً مما بدت فيما بعد في سميرنا، حيث كَسَرَ اليونانيون كل سيقان حيوانات أمتعتهم ودفَعوا بها بعيداً عن أروسة الميناء إلى داخل المياه الضحلة لتغرق. وقد استصرخت أعداد البغال والخيول مكسورة الأرجل الغارقة في المياه الضحلة «جوياء»* ليصوّرها. ومع أن من الصعب على الإنسان القول، حرفياً، بأنها استصرخت «جوياء» ليصوّرها لأنه لم يكن هناك سوى «جوياء» واحد فقط وكان قد توفي منذ وقت طويل، كما أنه من المشكوك فيه إلى حد بعيد أن تستصرخ هذه الحيوانات، إن كانت قادرة على الاستصراخ، طالبة عرضاً تصويرياً لمحتتها، إلا أنه من الأكثر احتمالاً أن تستصرخ، إن كانت لديها القدرة على التعبير، طالبة من شخص أن يخفف عنها حالها.

أما فيما يتعلق بجنس الموتى، فإنه لمن الواقع أن الإنسان أصبح معتاداً جداً على رؤية أن الموتى كلهم ذكور حتى أن رؤية امرأة ميتة تشكل صدمة حقيقية له. وقد رأيت أول تغير لجنس الموتى الاعتيادي بعد انفجار مصنع ذخيرة كان يقع في الريف قرب ميلانوفي إيطاليا. وكنا قد وصلنا إلى موقع الكارثة في شاحنات على طرق مظلمة بأشجار الجوز، ومخددة بخنادق تحتوي على كثير من كائنات حيّة دقيقة لم أستطع ملاحظتها بسبب سحب الغبار الهائلة التي أثارها الشاحنات. وبعد أن وصلنا إلى المكان الذي كان فيه مصنع الذخيرة، عُيِّن آخرون لاطفاء نار اشتعلت في عشب حقل مجاور، وحالما أنجزت هذه المهمة، أمرنا بالبحث عن جثث في المناطق المجاورة والحقول المحيطة. فوجدنا الكثير من هذه الجثث ونقلناها إلى مستودع جثث مرتجل، ولا بد أن أقر بصراحة بأنني أصبت بصدمة حين وجدت بأن هذه الجثث كانت نساءً وليست رجالاً. ولم تكن النساء في تلك الأيام،

* جوياء، فرانسكو دي جوياء (١٧٤٦-١٩٢٨) رسام إسباني شجب في رسوماته الحرب والتعصب. (المورد - معجم الأعلام).

قد بدأ أن يقص شعورهن قصاً قصيراً كما فعلن بعد سنين عديدة في أوروبا وأمريكا، فكان أكثر ما أزعجنا وجود هذا الشعر الطويل، وربما أحسنا بهذا الانزعاج لأنه كان أمراً غير مألوف تماماً، كما أن ما كان أكثر إزعاجاً هو غياب هذا الشعر الطويل بين هذا الجمع الكبير منه أحياناً. وأذكر بأننا لم نجمع سوى تُتفاً من الموتى بالرغم من أننا كنا نبحث بحثاً دقيقاً عن جثث كاملة. وكان الكثير من هذه التتف قد نُزعت من سياج أسلاك شائكة سميكة كان يحيط بموقع المصنع وكان من بين الأجزاء الموجودة هناك والتي التقطناها كثير من هذه التتف المنتزعة التي صوّرت تصويراً دقيقاً قوة الانفجار الهائلة. فقد وجدنا كثيراً من التتف على مسافة بعيدة في الحقول، بعد أن حملها ثقلها إلى مسافة أبعد.

وأثناء عودتنا إلى ميلانو، تذكرت نقاشاً أجري بين واحد أو اثنين منا عن الحادث وقد اتفقنا بأن بُعد الحادث عن الواقعة وعدم وجود جرحي جرد المصيبة من رُعب كان يمكن أن يكون أعظم وقعاً على النفوس. كما أن الحادث كان فورياً وأن الموتى كانوا بعد ذلك لا يزالون يثيرون أقل ما يمكن من النفور أثناء حملهم والتعامل معهم مما جرّد هذا الحادث تماماً من طبيعة تجربة ميدان المعركة. كما كان ركبنا السار، مع أنه كان يعج بالغبار، عبر ريف لومبارديا الجميل تعويضاً عن منغصات واجبنا، وكنا قد اتفقنا كلنا، أثناء عودتنا وبينما كنا نتبادل انطباعاتنا، على أنه كان من حسن الحظ حقاً أن تَمَّت السيطرة على النار التي شُبَّت قبيل وصولنا تماماً وبالسرعة التي تمت بها وقبل أن تصل إلى أي من مخزون الذخائر الهائل غير المنفجرة. كما اتفقنا أيضاً على أن جَمْع التتف كان عملاً خارقاً للعادة، وعلى أن من المدهش حقاً أن انفجار الجسم البشري لا يتم حسب خطوط تشريحية بل يُقسّم تقسيماً تمليه النزوة كالتشظي الحاصل في انفجار قنبلة شديدة الانفجار.

قد يقصر العالم الطبيعي ملاحظاته على فترة زمنية واحدة محدودة حتى يصل إلى دقة الملاحظات، وسأخذ أولاً الفترة التي تلت الهجوم النمساوي في حزيران/يونيو ١٩١٨ في ايطاليا كمشال واحد على وجود موتى بأعداد كبيرة، فقد جرى انسحاب بالقوة ثم حصل تقدم فيما بعد لاستعادة الأرض المفقودة فبقيت المواقع بعد المعركة كما كانت في السابق ما عدا وجود الموتى. والموتى يتغيرون في المظهر إلى حد ما في كل يوم إلى أن يتم دفنهم. فتغير اللون في الأجناس القوقازية يكون من اللون الأبيض إلى اللون الأصفر ثم إلى الأصفر المخضر ثم إلى الأسود. وإذا تُرك الموتى لفترة طويلة في الحرارة، يصبح اللحم البشري شبيهاً بقطران الفحم خصوصاً في الكسور والتمزق من الجسم، كما يظهر عليه تقرح شب

قطراني . ويتضخم الموتى يوماً بعد يوم إلى أن يصبحوا أحياناً أضخم من بزاتهم تماماً مالمين هذه البزات إلى أن يسدوا وقد انتفخوا إلى درجة الانفجار . وقد تزداد الأعضاء الفردية حجماً إلى حد لا يمكن تصديقه وتمتلئ الوجوه وتشدّ وتتخذ شكلاً كروياً كالبالونات . والشيء المدهش التالي لتضخمهم التدريجي هو كمية الأوراق التي تتناثر حول الموتى . ويعتمد وضع الموتى النهائي ، قبل أن تثار مسألة دفنهم ، على موضع الجيوب في البزات . ولأن الجيوب في الجيش النمساوي تقع في مؤخرة البناطيل فإن كل موتاهم يطرحون ، بعد مدة قصيرة من موتهم ، على وجوههم كنتيجة لهذا وقد سُحبت جيوب مؤخراتهم إلى الخارج وتناثر كل ما تحويه جيوبهم من أوراق حولهم على العشب . فتكون الحرارة والذباب ووضع الجثث الدال على أصحابها في العشب وكمية الأوراق المتناثرة هي الانطباعات التي يحتفظ بها الانسان في ذهنه عنهم . إلا أن الانسان لا يستطيع استعادة ذكرى رائحة ميدان المعركة في الطقس الحار . فبوسعك أن تتذكر بأن ثمة رائحة كهذه كانت هناك ، لكن شيئاً لا يثور في نفسك لتستعيد تلك الرائحة . فهي ليست كرائحة كتيبة قد تصل إليك فجأة وأنت تركب ترامواي فتتظر عبر الشارع وترى الرجل الذي أوصلها إليك . لكن الشيء الآخر يختفي اختفاء كاملاً كحالك حين كنت عاشقاً ، فأنت تتذكر الأمور التي حدثت لكنك لا تستطيع أن تستعيد احساسك بها .

وقد يتساءل الانسان عما كان سيراه ذلك الرحالة المثابر مانجوبارك في ميدان معركة في طقس حار ليستعيد ثقته بنفسه . فبين القمح ينتشر دائماً خشخاش في نهاية حزيران / يونيو وتموز / يوليو كما أن أشجار التوت تكون مورقة ايراقاً كاملاً ويكون بوسع أي انسان أن يرى أمواج الحرارة ترتفع من مواسير البنادق حين تنصب عليها الشمس المتسبلة عبر ستائر الأوراق ، كما تكون الأرض قد تحولت إلى اللون الأصفر الزاهي عند حافة الحُفَر حيث كانت قنابل غاز الخردل قد انفجرت فتصبح رؤية المنزل العادي المحطم أبهج للعين من رؤية بيت تعرض لقصف القنابل ، لكن ، قليلون هم المسافرون الذين سيستشقون هواء ذلك الصيف المبكر استنشاقاً كاملاً وتخطر في بالهم أفكار كتلك الأفكار التي خطرت في بال مانجوبارك عن أولئك الذين تشكلوا على صورته الألهية .

إن أول ما تكتشفه في الموتى هو أنهم يموتون كالحوانات بعد إصابتهم باصابة خطيرة . فيموت بعضهم بسرعة من جرح طفيف تظن بأنه لم يكن ليقتل أرنباً . يموتون من جروح خفيفة كما تموت أرانب أحياناً من ثلاث أو أربع حبات خردق صغيرة تبدو كأنها لا تكاد تخترق جلدها . ويموت آخرون كالقطط ، فينما

كون جماجمهم مكسورة وقطعة حديد في أدمغتهم. نراهم يتطرحون أرضاً وهم حياء مدة يومين كالقسط التي تزحف إلى داخل صندوق الفحم وقد استقرت رصاصة في دماغها فلا تموت إلا بعد أن تقطع رؤوسها. وبما لا تموت القواطع حينذاك، فالناس يقولون بأن لها تسع أرواح. أنا لا أعرف. لكن أغلب الرجال يموتون كالحوانات وليس كالرجال. إنني لم أرقط ما يدعى موتاً طبيعياً، فعزيب ذلك إلى الحرب، وعرفت، كالرحالة الماثير مانجوبارك، بأن ثمة شيء آخر هنا، يغيب دائماً شيئاً آخر، وبعدئذ، رأيتُ موتاً طبيعياً.

والموت الطبيعي الوحيد الذي رأيته، خارج نطاق فقدان الدم، والذي لم يكن شيئاً، كان موتاً ناتجاً عن الانفلونزا الاسبانية، ففي مرض كهذا تغرق في المخاط، مختنقاً، لكن، كيف تعرف بأن المريض ميّت: إن المريض يتحول ثانية وفي النهاية إلى طفل صغير بالرغم من تمتعه بقوته الرجولية، فيملأ الملاءات بالكامل، كما تمليء أية أقمطة، بشلال عريض نهائي أصفر يستمر في التدفق والتساقط حتى بعد أن يتفق. لذلك فأنا أريد أن أرى الآن موت أي شخص يدعو نفسه بالإنساني*، لأن رحالة مثابراً مثل مانجوبارك أو مثلي يعيش أو ربما سيعيش ليرى الموت الحقيقي لأعضاء هذه الطائفة الأدبية وليراقب خروجها النبيل الذي تخرجه. وقد خطر في بالي أثناء تأملاتي كعالم طبيعي بأنه بينما الاحتشام أمر رائع، إلا أنه لا بد أن يكون البعض غير محتشمين إذا أريد للعنصر البشري أن يستمر في الحياة لأن الوضع المقرر للانجاب غير محتشم، بل وغير محتشم إلى حد كبير، كما خطر في بالي بأن الناس هم أو كانوا: أطفال تزواج محتشم. لكن، وبغض النظر عن كيف بدأوا، فإنني آمل أن أرى نهاية عدد قليل منهم، وأأمل كيف ستبلو: الديدان ذلك العقم المحنط لمدة طويلة، وقد حوّلت كرايسهم الغريبة كل شهواتهم إلى صدرٍ وحواشٍ.

فبينما قد يكون من القانوني أن نتعامل مع هؤلاء المواطنين المصنّفين ذاتياً من خلال تاريخ طبيعي للموتى، حتى وإن كان هذا التصنيف لا يعني شيئاً في وقت نشر هذا العمل، إلا أن ذلك سيكون مجحفاً في حق الموتى الآخرين الذين لم يموتوا في شبابهم الاختياري، والذين لم يملكوا أية مجلة، والذين لم يقرأ الكثير منهم حتى ولا مقالة واحدة قط بلا ريب، والذين رأهم الكاتب ملقون في الطقس * نستميح القارئ عذراً للذكر ظاهرة منقرضة كهذه. وتشير هذه الإشارة، مثل كل إشارة إلى الأفكار السائدة، إلى تاريخ القصة، وقد استقيت لأهميتها التاريخية الطفيفة ولأن حذفها يُفسد الإيقاع. (ملاحظة في النص الأصلي من المؤلف نفسه).

الحار مع رُبْع باينت* من اليرقات تعمل حيث كانت أفواهمهم . ولم يكن الطقس الحار دائماً هو المؤثر على الموتى ، ففي كثير من الأوقات يكون المطر هو الذي يغسل هؤلاء الموتى وينظفهم وهم ملقون في الأرض ، فيجعل الأرض لينة حين يُدفنون فيها ، وقد يستمر أحياناً حتى تصبح الأرض طيناً فيخرجهم من باطن الأرض ويكون من الضروري دفنهم ثانية . أو تكون ملزماً في الشتاء وفي الجبال أن تدفنهم في الثلج وحين يذوب الثلج في الربيع ، يُلزم شخص آخر أن يدفنهم ثانية . وفي الجبال أراضي دفن رائعة ، والحرب في الجبال هي أجمل الحروب كلها ، فقد دفنوا في إحدى هذه الحروب وفي مكان يدعى بوكول ، لواءً أصابه قنّاص في رأسه وقتله . وهنا يقع خطأ أولئك الكتاب الذين كتبوا كتباً تدعى : «القادة يموتون في أسرّتهم» لأن هذا اللواء مات في خندق حُفر في الثلج في أعالي الجبال ، وهو يعمّر قبعة ألبية عليها ريشة صقروفي مقدمتها ثقب بوسعك وضع أصبعك الصغير فيه وثقب في مؤخرتها بوسعك وضع قبضتك فيه إن كانت قبضة صغيرة وأردت وضعها هناك كما كان قد سفح الكثير من الدم في الثلج . لقد كان لواءً لعيناً رائعاً ، وكذلك كان اللواء فون بيهر الذي كان يقود جنود فيالق جبال الألب البافارية في معركة كابوريتو وقد قتله في سيارة هيئة الأركان حرس المؤخرة الايطاليون بينما كان في السيارة متجهاً إلى أودين على رأس كتائبه ، ولا بد أن تصبح عناوين كل مثل هذه الكتب : «القادة يموتون عادة في أسرّتهم» ، إن كنا لا بد أن نحرق أي نوع من الدقة في مثل هذه الأمور .

ويسقط الثلج في الجبال أحياناً على الموتى خارج مركز الإسعاف وعلى الجانِب الذي يحميه الجبل من أي قصف . فقد حملوهم إلى كهف حُفر داخل سفح الجبل قبل أن تتجمد الأرض . وكان قد وضع في هذا الكهف رجل كسر رأسه . كما يُكسز أص زهور ، بالرغم من أنه ظل مثبتاً بأغشية وبضمادات رُبِطت بمهارة وابتلّت الآن وأصبحت قاسية ، كما شوّهت بنية دماغه قطعة فولاذ استقرت فيه ، فظل ممدداً مدة يوم وليلة ثم يوم آخر . وقد طلب حاملو النقالات من الطبيب أن يدخل إلى الكهف ويلقي عليه نظرة . كانوا يرونه في كل مرة كانوا يدخلون فيها الكهف كما كانوا يسمعونونه يتنفس حتى حين لم يكونوا ينظرون إليه . كانت عينا الطبيب حمراوين وجفناه منتفخين ، وتكاد تكونان مغمضتين من تأثير غاز الدموع . نظر إلى الرجل مرتين ، مرة في ضوء النهار ومرة أخرى في نور مصباح اليد . كان لا بد أن يُلح ذلك على «جويبا» أيضاً ، أعني ، الزيارة مع مصباح اليد . وبعد أن ألقى الطبيب

* باينت مكيال انجليزي = ٤٧٣ ، ٠ لتر . (المترجم) .

نظرة ثانية عليه، صدق حاملي النقالات حين قالوا بأن الجندي كان لا يزال حياً.
سأل:

- ماذا تريدونني أن أفعل له؟

لم يكن هناك من شيء يريدون فعله. لكنهم طلبوا الأذن بعد وهلة في حملة إلى الخارج ووضعه مع المصابين بجروح خطيرة.
قال الطبيب الذي كان مشغولاً:

- لا. لا. لا. ما بكم؟ هل أنتم خائفون منه؟

- نحن لا نحب أن نسمعه هناك مع الموتى.

- لا تصغروا إليه. إن أخرجتموه من هناك فستضطرون إلى إعادته إلى الداخل.

- لا يهمنا ذلك أيها الطبيب النقيب.

قال الطبيب:

- لا. لا. ألم تسمعوني أقول لا؟

سأل ضابط مدفعية كان ينتظر تضميد جرح في ذراعه:

- لِمَ لا تعطيه جرعة زائدة من المورفين؟

- أنظن بأن ذلك هو استعمال المورفين الوحيد الذي استعمله لأجله؟ أتريدني

أجراء عمليات دون مورفين؟ لديك مسدس، أخرج وأطلق الرصاص عليه بنفسك.

قال الضابط:

- لقد سبق وأصيب بالرصاص. لو أصيب بعضكم أيها الأطباء بالرصاص لاختلف

الأمر.

قال الطبيب وهو يلوح بكلاية الجراحة في الهواء:

- أشكرك شكراً جزيلاً. أشكرك ألف مرة. ما رأيك بهاتين العينين؟

وأشار بكلايته إلى عينيه وتابع:

- كيف تراهما؟

- غاز دموع. ندعو الشخص محظوظاً إن أصيب بغاز الدموع.

- لأنكم تتركون خط القتال. لأنكم تأتون إلى هنا ركضاً طالبين إزالة غاز الدموع.

إنكم تفركون عيونكم بالبصل.

- لقد خرجت عن طورك. لن التفت إلى إهاناتك. فأنت مهزوز الأعصاب.

دخل حاملاً نقالة:

قال أحدهما:

- أيها الطبيب النقيب.

قال الطيب :

- أخرجنا من هنا .

وخرجنا .

قال ضابط المدفعية :

- سأطلق الرصاص على المسكين . إنني رجل إنساني . لن أدعه يعاني .

قال الطيب :

- أطلق الرصاص عليه إذن . أطلق الرصاص عليه . تحمّل المسؤولية . أطلق

الرصاص عليه . هيا ، أطلق عليه الرصاص .

- أنت لست انساناً .

- عملي هو أن أعنتي بالجرحى لا أن أقتلهم ، ذلك عمل السادة العاملين في

المدفعية .

- لِمَ لا تعالجه إذن؟ .

- لقد عالجتُه . فعلتُ كل ما بوسعي فعله .

- لِمَ لا ترسله إلى أسفل الجبل في قطار الكابل .

- مَنْ أنت لتستجوبني؟ هل أنت رئيسي؟ هل أنت قائد مركز الإسعاف هذا؟ تفضل

وأجب على سؤالي .

لَمْ يقل ملازم أول المدفعية شيئاً . كان كل الآخرين في الغرفة جنوداً ولم يكن

بينهم أي ضابط آخر .

قال الطيب وهو يرفع إبرة بكلاية الجراح عالياً :

- أجبني . قدّم إليّ جواباً .

قال ضابط المدفعية :

- إزِنِ بنفسك .

قال الطيب :

- إذن . إذن ، فقدِ قَلتَ ذلك . حسناً . حسناً . سنرى . . .

وقف ملازم أول المدفعية ثم مشى متجهاً نحوه :

قال :

- إزِنِ بنفسك . إزِنِ بنفسك . إزِنِ بأمك . إزِنِ باختك .

قذف الطيب طبقاً مليئاً باليود في وجهه . تحسّس الملازم جيبه بحثاً عن

مسدسه حينما تقدم نحوه وقد أصيب بالعمى . فقفز الطيب وراءه بسرعة ، ودفعه ،

ثم ركله عدة مرات حالما سقط على الأرض والتقط مسدسه بقفازيه المطاطيين .

جلس الملازم على الأرض رافعاً يده السليمة على عينيه .

قال :

- سأقتلك . سأقتلك حالما أتمكن من أن أرى

قال الطبيب :

- أنا الرئيس هنا . كل شيء مغفور له لأنك تعرف بأني الرئيس . لا تستطيع أن تقتلني لأن المسدس معي . أيها الرقيب . أيها المعاون . أيها المعاون .

قال الرقيب :

- المعاون في القطار المعلق .

- امسح عينيّ هذا الضابط بالكحول والماء . أن فيهما يود . أحضري حوضاً لأغسل يديّ . سيكون هذا الضابط هو التالي .

- لن تلمسني .

- أمسكوا به بقوة . إنه مهتاج قليلاً .

دخل أحد حاملي النفايات :

- أيها الطبيب النقيب .

- ماذا تريد؟ .

- الرجل في بيت الموتى . .

- أخرج من هنا .

- مات أيها الطبيب النقيب . ظننتُ بأنك ستسرا إن عرفتَ هذا .

- أنظريا ملازمي المسكين . نحن نتناقش حول لا شيء . نحن نختلف في زمن الحرب حول لا شيء .

قال ملازم أول مدفعية :

- لأزبن بك .

ما زال لا يستطيع أن يرى .

- لقد أعميتني .

قال الطبيب :

- هذا لا شيء . ستشفى عينك . هذا لا شيء . نزاع حول لا شيء .

صاح الملازم أول فجأة :

- آي . آي . آي . أصبحتُ أعمى . لقد أعميتني .

قال الطبيب :

- أمسكوه جيداً . إنه يتألم كثيراً . أمسكوا به جيداً .

نبيذ وايومينج*

كان الوقت بعدَ ظهريوم حار في وايومينج، وكانت الجبال تمتد إلى مسافة طويلة كما كان بوسعك أن ترى الثلوج على قممها، غير أنها لم تكن تلقي بأية ظلال، وكانت حقول الحبوب في الوادي صفراء، والطريق مترباً من السيارات المارة عليه، وكانت كل البيوت الخشبية عند حافة المدينة تُشوي في الشمس. وكانت ثمة شجرة تلقي ظلاً على شرفة محل فونتان الخلفية، فجلستُ هناك إلى طاولة وأحضرت لي السيدة فونتان كأس بييرة باردة من القبو. دارت سيارة مبتعدة عن الطريق الرئيسي واقتربتُ سائرة على الطريق الجانبي، ثم وقفت إلى جانب البيت. خرج منها رجلان ودخلا من البوابة. فوضعتُ القنينة تحت الطاولة. نهضتُ السيدة فونتان واقفة.

قال أحد الرجلين عند باب السيارة:

- أين سام؟
 - ليس هنا. إنه في المناجم.
 - لديكم بييرة؟
 - لا. ليس لدينا شيء منها. تلك كانت آخر قنينة. كلها نفدت.
 - ما الذي يشربه هو؟
 - تلك كانت آخر قنينة. كلها نفدت.
 - هيا. قَدّمي إلينا بعض البييرة. أنت تعرفيني.
- قال أحدهما:

- هيا، لنذهب إلى مكان يمكننا الحصول فيه على بعض البييرة الحقيقية.

ثم خرجا نحو السيارة. سارا أحدهما مترنحاً. واهتزت السيارة عند تشغيلها واندفعت على الطريق وتابعت السير ثم ابتعدت.

قالت السيدة فونتان:

- ضع البييرة على الطاولة. ما بك؟ كل شيء على ما يرام. ما بك؟ لا تشرب والقنينة على الأرض.
- قلت:
- لا أعرف مَنْ كانا.

* تتكلم السيدة فونتان هنا باللغة الفرنسية طيلة الوقت أو بلغة هي مزيج من الفرنسية والانجليزية أو بلغة انجليزية بتركيب لغوي فرنسي. (المترجم).

قالت :

- إنهما سكرانان . ذلك ما يثير المتاعب . فهما يذهبان إلى مكان آخر ويقولان بأنهما حصلتا على البيرة من هنا . قد لا يتذكران .
- كانت تتكلم بالفرنسية ، لكنها فرنسية غير كاملة ، حيث أنها كانت تستعمل كثيراً من الكلمات الانجليزية وبعض التراكيب الانجليزية .
- أين فونتان ؟ .
- يجني محصول الأعناب . أوه يا إلهي . إنه مهووس بالنبيذ .
- لكنك تحبين البيرة ؟ .
- نعم . إنني أحب البيرة ، لكن فونتان مهووس بالنبيذ .
- كانت امرأة عجوزاً مكنتزة لها بشرة ضاربة للحمرة ورأس أبيض . كانت نظيفة جداً كما كان البيت نظيفاً جداً ومرتباً . وكانت قد أتت من مدينة لينز .
- أين أكلت ؟ .
- في الفندق .
- كُلْ هنا . يجب ألا تأكل في الفندق أو في المطعم . كُلْ هنا .
- لا أريد أن أثير المتاعب . إضافة إلى أن الطعام في الفندق لا بأس به .
- أنا لا أكل في الفندق إطلاقاً . قد يكون الطعام جيداً هناك . لكنني أكلت مرة واحدة في حياتي فقط في مطعم في أمريكا . تعرف ما قدموه إليّ؟ قدموا إليّ لحم خنزير نيء .
- حقاً ؟
- أنا لا أكذب عليك . كان لحم خنزير لم يُطبخ . وابني متزوج من أمريكية ويأكل البقول المعلبة طيلة الوقت .
- كم مضى عليه وهو متزوج ؟ .
- آه . يا إلهي . لا أعرف . إن زوجته تزن مائتين وخمسة وعشرين رطلاً . إنها لا تشتغل . إنها لا تطبخ . وهي تقدم إليه البقوليات المعلبة .
- ماذا تفعل ؟ .
- تقرأ طيلة الوقت . لا شيء غير الكتب . طيلة الوقت تبقى ممددة على السرير وتقرأ الكتب . كما أنها لم تعد تستطيع إنجاب طفل آخر . إنها أسمن من اللازم . وليس فيها متسع .
- ما بها ؟ .
- إنها تقرأ كتباً طيلة الوقت . إنه ولد طيب . وهو يشقى بالعمل . لقد عمل في

المناجم . ويعمل الآن في مزرعة مواشي . إنه لم يعمل في مزرعة مواشي من قبل ،
إلا أن صاحب المزرعة قال لفونتان بأنه لم يرَ أي شخص من قبل يعمل في تلك
المزرعة أفضل من ذلك الفتى . ثم يعود إلى البيت ، ولا تطعمه أي شيء .
- لم لا يطلقها؟ .

- ليس لديه ما يكفي من النقود ليطلقها . إضافة إلى أنه مهووس بها .
- هل هي جميلة؟ .

- هو يراها كذلك . حين أحضرها إلى البيت ظننتُ بأنني سأموت . إنه ولد طيب
جداً ويشقى بالعمل طيلة الوقت ولا يلفَ ويدور ولا يثير أية متاعب . ثم يذهب أخيراً
للعمل في حقول النفط ويعود بتلك الهندية التي كانت تزن حينذاك مائة وخمسة
وثمانين رطلاً .

- هل هي هندية؟ .

- إنها هندية حقاً . يا إلهي ، نعم . وطيلة الوقت ، تردد: ابن الكلبة ، ولعنه الله .
وهي لا تشتغل .

- أين هي الآن؟ .

- في دار عرض .

- أين ذلك؟ .

- في دار عرض . سينما . كل ما تفعله هو القراءة والذهاب إلى دور العرض .
- أليديك المزيد من البيرة؟ .

- يا إلهي ، نعم بالتأكيد . تعال وتناول الطعام معنا الليلة .

- حسناً . ماذا يجب أن أحضر؟ .

- لا تحضر شيئاً . لا شيء أبداً . ربما يحضر فونتان بعض النبيذ .

* * *

في تلك الليلة ، تناولتُ العشاء في محل فونتان . أكلنا في غرفة الطعام وكان غطاء
الطاولة نظيفاً . جَرَبنا النبيذ الجديد . كان خفيفاً جداً وصافياً وجيداً ولا يزال طعم
العنب فيه . وكان يجلس إلى الطاولة فونتان وزوجته والولد الصغير أندريه .

سأل فونتان :

- ماذا فعلتَ اليوم؟ .

كان رجلاً عجوزاً بجسم أنهكه العمل في المناجم ، له شارب أشيب متهدل
وعينان لامعتان ، وكان من وسط فرنسا قرب سانت ايتين .

- عملتُ بكتابي .

سألت السيدة فونتان :

- هل كتبك جيدة؟ .

وضّح فونتان لها قائلاً :

- هو يعني بأنه يكتب كتاباً ككاتب . رواية .

سأل أندريه :

- بابا . أيمكنني الذهاب إلى دار العرض؟ .

قال فونتان :

- بالتأكيد .

التفت أندريه إليّ .

- كم ترى بأنني بلغت من العمر؟ أترى بأنني أبدو في الرابعة عشرة من عمري؟ .

. كان ولداً صغيراً نحيلاً، غير أن وجهه بدا وكأنه في السادسة عشرة من عمره .

- تبدو في الرابعة عشرة .

- حين أذهب إلى دار العرض أجلس القرفصاء بهذه الطريقة وأحاول أن أبدو صغير

السن .

كان صوته عالياً جداً ومتكسراً .

- إذا أعطيتهم ربع دولار ياخذونه كله ، لكنني حين أعطيتهم خمسة عشر سنتاً فقط ،

يسمحون لي بالدخول .

قال فونتان :

- سأعطيك خمسة عشر سنتاً إذن .

- لا . أعطني ربعاً كاملاً . سأصرفه في الطريق .

قالت السيدة فونتان :

- يجب أن ترجع بسرعة بعد انتهاء العرض .

- سأرجع إلى البيت فوراً .

خرج أندريه من الباب . بدا الطقبس يتحول إلى البرودة . ترك الباب مفتوحاً

فدخلت نسمة باردة .

قالت السيدة فونتان :

- كُـل . لم تأكل شيئاً .

كنت قد أكلت قطعتين من الدجاج والبطاطا المقلية بالطريقة الفرنسية وثلاثة

أكواز من ذرة حلوة وبعض شرائح الخيار وطبقين من السلطة .

قال فونتان :

- ربما يريد بعض الكعك .

قالت السيدة فونتان :

- كان يجب أن أحضر بعض الكعك له . كُلُّ جُبنة . كُلُّ جُبنة . لم تأكل شيئاً . كان يجب أن أحضر كعكاً . يأكل الأمريكيون الكعك دائماً .
- أكلتُ جيداً .

- كُلُّ . لم تأكل شيئاً . كُلُّ هذه كلها . نحن لا نُبقي شيئاً على المائدة . كُلُّ كُلُّ ما على الطاولة .

قال فونتان :

- كُلُّ بعض السلطة .

قالت السيدة فونتان :

- سأحضر بعض البيرة . حين تعمل طيلة النهار في مصنع كتب فلا بد أن تشعر بالجوع .

قال فونتان :

- لم تفهم بأنك كاتب .

كان رجلاً عجوزاً كَيْساً يعرف اللهجة العامية ويعرف الأغاني الشعبية التي كانت شائعة وقت خدمته العسكرية في نهاية تسعينات القرن التاسع عشر .

قال موضحاً للسيدة فونتان :

- هو نفسه يكتب الكتب .

سألت السيدة فونتان :

- أنتَ نفسك تكتب الكتب ؟ .

- أحياناً .

قالت :

- آه . آه . أنتَ نفسك تكتبها ؟ آه . حسناً . لا بد أنك تجوع لقيامك بهذا العمل أيضاً . كُلُّ . سأبحث عن البيرة .

سمعتها تمشي على الدرج هابطة إلى القبو . ابتسم فونتان لي . كان متسامحاً مع الأشخاص الذين لم يمروا بتجاربه ولم يصلوا إلى المعرفة الدنيوية التي توصل إليها .

حين عاد أندريه إلى البيت من دار العرض ، كنا ما نزال في المطبخ وتحدث عن الصيد .

قالت السيدة فونتان :

- في عيد العمال، ذهبنا كلنا إلى كليبر كريك. يا إلهي، كان لا بد أن تذهب إلى هناك حقاً. ذهبنا كلنا في الشاحنة. ذهب الجميع في الشاحنة. ذهبنا يوم الأحد. كانت الشاحنة ملكاً لتشارلي.

قال فونتان:

- أكلنا وشربنا نبيذاً وبيرة، وكان معنا أيضاً رجل فرنسي جلب لنا معه شراب الابسينث. كان فرنسياً من كاليفورنيا.

- يا الله، لقد غَنِينَا. كما حضر مزارع ليرى ما كان يجري فأعطيناه شيئاً ليشربه وبقي معنا لوهلة. وحضر بعض الايطاليين أيضاً وأرادوا البقاء معنا أيضاً. غَنِينَا أغنية عن الايطاليين، لكنهم لم يفهموها. لم يفهموا بأننا لم نكن نريدهم بيننا، لكن، لم يكن بإمكاننا فعل شيء معهم، إلا أنهم ذهبوا بعد وهلة.

- كم سمكة اصطدتم؟

- قليلاً جداً. قضينا وقتاً قصيراً نصطاد السمك، لكننا عدنا نفني مرة أخرى. غَنِينَا
كما تعرف.

قالت السيدة فونتان:

- وفي الليل، نامت كل النساء في الشاحنة ونام الرجل إلى جانب النار. وسمعت فونتان يخرج في الليل لاحضار بعض النبيذ فقلت له: «يا فونتان، أبق بعضها للغد. لن يكون لديهم شيء يشربونه في الغد وسيشعرون بالأسف».

قال فونتان:

- لكننا شربنا كل الشراب. ولم يبق شيء لليوم التالي:

- ماذا فعلتم؟

- اصطدنا السمك بجد.

- سمكاً جيداً من نوع تروته. يا إلهي، نعم. كانت كلها متشابهة وتزن الواحدة نصف رطل وأونسة.

- كم تزن؟!

- نصف رطل وأونسة واحدة. الوزن المناسب للأكل. كانت كلها بنفس الوزن، نصف رطل وأونسة واحدة.

سألني فونتان:

- كيف ترى أمريكا؟

- إنها بلادي، كما تعرف. لذلك أحبها لأنها بلادي. غير أننا لم نأكل جيداً. في العام الماضي، نعم. لكن الآن، لا.

قالت السيدة فونتان :

- لا . لم تأكل جيداً .

هزّت رأسها . وتابعت :

- كان هناك الكثير من البولنديين أيضاً . عندما كنتُ صغيرة ، قالتُ لي أمي : « أنت تأكلين كما يأكل البولنديين » . لم أكن أعرف أبداً من هو البولندي . لكنني الآن وفي أمريكا ، أعرف من هو البولندي . يوجد هنا بولنديون كثيرون . يا إلهي ، كم هم قذرون ! .

قلت :

- إنها بلاد رائعة لصيد الحيوانات والطيور والأسماك .

قال فونتان :

- نعم ، وهذا هو أفضل ما في الحياة : الصيد والقنص . ما هو نوع البندقية التي لديك ؟ .

- مضخّة ، عيار اثني عشر .

أوماً فونتان برأسه :

- إنها جيدة بندقية المضخّة هذه .

قال أندريه بصوت الولد الصغير العالي :

- أريد أن أذهب إلى الصيد وحدي .

قال فونتان :

- لا تستطيع فعل هذا .

والتفت إليّ :

- إنهم متوحشون هؤلاء الأولاد ، كما تعرف . إنهم متوحشون . إنهم يحبون اطلاق النار على بعضهم بعضاً .

قال أندريه بصوت حاد وهو مهتاج :

- أريد أن أطلق النار على جرذان الماء .

سألتُ :

- ما هي جرذان الماء ؟ .

- لا تعرفها ؟ من المؤكد بأنك تعرفها . ما يدعونها فتران المسك .

أخرج أندريه بندقية عيار اثنين وعشرين من الخزانة وأمسك بها بين يديه

تحت النور .

قال فونتان موضحاً :

- هم متوحشون. إنهم يطلقون النار على بعضهم بعضاً.
قال أندريه بصوته الحاد:
- أريد أن أذهب لوحدي.
نظر بيأس إلى ماسورة البندقية.
- أريد أن أطلق النار على جرذان الماء. أعرف الكثير عن جرذان الماء.
قال فونتان:
- أعطني البندقية.
قال موضحاً لي ثانية:
- إنهم متوحشون. سيطلقون النار على بعضهم بعضاً.
أمسك أندريه بالبندقية بشدة:
- نريد أن نرى. لن نقوم بعمل شيء. نريد أن نرى.
قالت السيدة فونتان:
- إنه مهووس بإطلاق النار. لكنه ما زال صغيراً جداً.
أرجع أندريه البندقية من عيار اثنين وعشرين إلى الخزانة.
قال باللغة الانجليزية:
- عندما أكبر، سأصطاد فئران المسك والأرانب الأمريكية أيضاً. في يوم ماء
خرجتُ مع أبي فأطلق النار على أرنب أمريكي وأصابه إصابة طفيفة لكنني أصبته أنا
إصابة مباشرة.
- أومأت السيدة فونتان برأسها:
- هذا صحيح. لقد قتل أرنباً أمريكياً.
قال أندريه:
- لكنه أصابه أولاً. أريد الخروج وحدي والصيد وحدي. في السنة القادمة يمكنني
فعل هذا.
- اقترب من أحد الأركان وجلس ليقراً كتاباً. رفعتُ الكتاب حين دخلنا عبر
المطبخ لنجلس بعد العشاء. كان كتاباً مستعاراً من مكتبة عامة بعنوان: «فرانك في
زورق حربي».
- قالت السيدة فونتان:
- إنه يحب الكتب. وهذا أفضل من الجري من مكان إلى آخر ليلاً مع أولاد
يكبرونه سنّاً ويقومون بسرقة الأشياء.
- قال فونتان:

- الكتب جيدة. السيد يعمل بالكتب.

قالت السيدة فونتان :

- نعم. الأمر كذلك. لكن الكثير من الكتب أمرسيء. وهنا تعتبر الكتب مرضاً. مثل الكنائس. هنا الكثير من الكنائس. ليس في فرنسا غير الكاثوليك والبروتستانت، وقليل جداً من البروتستانت، ليس هنا غير الكنائس، حين حضرتُ إلى هنا قلت: يا إلهي، ما كل هذه الكنائس؟.

قال فونتان :

- هذا صحيح. هنا الكثير من الكنائس.

قالت السيدة فونتان :

- في أحد الأيام، حضرتُ فتاة فرنسية مع أمها، ابنة عم فونتان، وقالت لي: «ليس من المستحسن أن يكون الإنسان كاثوليكياً في أمريكا. ليس من المستحسن أن تكوني كاثوليكية. لا يحب الأمريكيون أن تكوني كاثوليكية. إن هذا مثل القانون الجاف». قلت لها: «ماذا ستكونين؟ هيه؟ يحسن أن تكوني كاثوليكية، إن كنتِ كاثوليكية». لكنها قالت: «لا. ليس الأمر حسناً أن تكوني كاثوليكية في أمريكا. لكنني أرى بأن من الأفضل أن تكون كاثوليكياً إن كنتِ كذلك. إن تغيير الدين ليس جيداً. يا إلهي، لا».

- أتذهبين إلى صلاة الأحد هنا؟.

- لا. لا أذهب إلى الصلاة في أمريكا. أذهب أحياناً فقط بين وقت وآخر وبعد مرور زمن طويل. لكنني لا أزال أدين بالكاثوليكية. ليس الأمر حسناً أن تغير دينك.

قال فونتان :

- يقال أن شميدت كاثوليكي.

قالت السيدة فونتان :

- يقال هذا، لكننا لا نعرف أبداً إن كان هذا صحيحاً. لا اعتقد بأن شميدت كاثوليكي. لا يوجد كثير من الكاثوليك في أمريكا.

قلت:

- نحن كاثوليكين.

قالت السيدة فونتان :

- بالتأكيد. لكنك عشتَ في فرنسا. لا اعتقد بأن شميدت كاثوليكي. هل عاش في فرنسا؟.

قال فونتان :.

- البولنديون كاثوليكيون .

قالت السيدة فونتان :

- ذلك صحيح . يذهبون إلى الكنيسة ثم يتقاتلون بالسكاكين وهم في طريق عودتهم إلى بيوتهم ويقتلون بعضهم بعضاً طيلة يوم الأحد . لكنهم ليسوا كاثوليكين حقيقيين . انهم كاثوليكيون بولنديون .

قال فونتان :

- كل الكاثوليك متشابهون . فكاثوليكي واحد مثل الآخر .

قالت السيدة فونتان :

- لا أصدق بأن شميدت كاثوليكي . ذلك أمر عجيب رهيب لو كان كاثوليكياً . أنا لا أعتقد هذا .

قلت :

- إنه كاثوليكي .

قالت السيدة فونتان وهي غارقة في التفكير :

- شميدت كاثوليكي . ما كنت لأصدق هذا . يا إلهي . إنه كاثوليكي ؟

قال فونتان :

- اذهبي يا ملري وابحثي عن بيرة ، فالسيد ظمآن وكذلك أنا .

قالت السيدة فونتان من الغرفة المجاورة :

- حسناً ، حالاً .

نزلت إلى الطابق السفلي وسمعنا صرير الدرج . جلس أندريه يقرأ في الـركن . بينما جلستُ أنا وفونتان إلى الطاولة وصبّ البيرة في كأسينا من آخر قنينة تاركاً القليل في قعرها .

قال فونتان :

- هذه بلاد رائعة للصيد . أحب صيد البط كثيراً .

قلت :

- لكن في فرنسا صيد جيد جداً أيضاً .

قال فونتان :

- هذا صحيح . يوجد عندنا الكثير جداً من الطرائد .

صعدت السيدة فونتان الدرج وقنينة البيرة في يديها . قالت : «إنه كاثوليكي

يا إلهي . شميدت كاثوليكي» !

سأل فونتان :

- اترى بأنه سيصبح رئيساً للجمهورية؟

قلت:

- لا.

* * *

بعد ظهر اليوم التالي، قادتُ السيارة إلى محل فونتان عبر ظلال المدينة ثم على الطريق المترب، دائراً على الطريق الجاني، تاركاً إياها عند السياج. كان يوماً حاراً آخر. حضرتُ السيدة فونتان إلى الباب الخلفي. بدت كأنها السيدة سانتا كلوز، نظيفة ووردية الوجه وبيضاء الشعر، متهادية الخطى وهي تمشي.

قالت:

- يا إلهي. مرحباً. إنه يوم حار. يا إلهي.

عادت إلى داخل البيت لاحضار بعض البيرة. جلستُ في الشرفة الخلفية ونظرت من خلال الستار وأوراق الشجرة إلى الحرارة وإلى الجبال الواقعة بعيداً. كانت هناك جبال بنية اللون مثلثة، وكانت فوقها ثلاث قمم ونهر جليدي يجري فيه ثلج بوسعك رؤيته من خلال الأشجار. بدا الثلج ناصع البياض وصافياً ولا واقعياً.. خرجت السيدة فونتان ووضعت القناني على الطاولة.

- ماذا ترى هناك؟

- الثلج.

- شيء جميل الثلج.

- اشربي كأساً معي.

- حسناً.

جلستُ على كرسي إلى جانبي وقالت:

- شميدت، إن أصبح رئيساً للجمهورية فهل تعتقد بأننا سنحصل على البيرة والنيذ؟

- بالتأكيد. ثقي بشميدت.

- لقد دفعنا سبعمائة وخمسة وخمسين دولاراً كغرامات حين اعتقلوا فونتان. قبضتُ الشرطة علينا مرتين وقبضتُ الحكومات علينا مرة واحدة. كل المال الذي كسبناه طيلة عمل فونتان في المناجم وحينما كنت أقوم بالغسيل، دفعناها كلها. أدخلوا فونتان إلى السجن. إنه لم يؤذ أحداً إطلاقاً.

- إنه رجل طيب. إنها جريمة.

- نحن لا نأخذ مبالغ كبيرة. دولاراً واحداً عن اللتر الواحد من النيذ. وعشرة

ستات مقابل قنينة البيرة . كما أننا لا نبيع البيرة قط إلا بعد أن تصبح جيدة . ثمة محلات كثيرة تبيع البيرة بعد تخميرها مباشرة ، لذلك فهي تصيب الكل بالصداع . ما الخطأ في ذلك ؟ أدخلوا فونتان إلى السجن وأخذوا سبعمائة وخمسة وخمسين دولاراً .

قلتُ :

- إنه عمل شرير . أين فونتان ؟ .

- يبقى مع النبيذ الآن . لا بد أن يراقبه ليعرف لحظة تخمره .

ابتسمتُ . لم تعد تفكر بالمال .

- أنت تعرفه ، إنه مهووس بالنبيذ . أحضر ليلة أمس قليلاً منه إلى البيت معه ، ما شربته أنت ، وقليلاً من النبيذ الجديد . آخر الجديد . ليس جاهزاً بعد لكنه شرب قليلاً منه ، كما وضع قليلاً منه في قهوته هذا الصباح . في قهوته ، كما تعرف . إنه مهووس بالنبيذ إنه هكذا . إن بلاده هكذا . لا يشرب الناس حيث أعيش في الشمال أي نبيذ . الكل يشرب البيرة هناك . حيث كنا نعيش ، كان معمل تخمير كبير قريباً منا تماماً . وحين كنت فتاة صغيرة ، لم أكن أحب رائحة حشيشة الدينار في العرات . ولا في الحقول . إنني لا أحب حشيشة الدينار . لا ، يا إلهي ، حتى ولا قليلاً . فطلب صاحب معمل التخمير مني ومن أختي أن نذهب إلى المعمل ونشرب البيرة ، وبعد ذلك سنحب حشيشة الدينار . ذلك صحيح . بعدئذ أحييناها تماماً . لكن فونتان مهووس بالنبيذ . وكان قد قتل في أحد الأيام أرنباً أمريكياً وطلب مني أن أطهوه مع الصلصة ومع النبيذ ، أحضر صلصة سوداء مع النبيذ والزبدة والفطر والبصل وكل شيء فيها لتوضع مع الأرنب الأمريكي . يا إلهي ، عملتُ صلصة جيدة ، وأكلها كلها وقال : «الصلصة أطيب من الأرنب الأمريكي» . الحياة في بلاده هكذا . هناك الكثير من الطرائد والنبيذ . لكنني أحب البطاطا والسجق* والبيرة . إن البيرة لذيدة . إنها مفيدة جداً للصحة .

قلتُ :

- إنها جيدة هي والنبيذ أيضاً .

- أنت مثل فونتان . لكن ثمة شيئاً هنا لم أره مثيلاً قط . لا أظن بأنك رأيت أنت كذلك . فهناك أمريكيون يأتون إلى هنا ويصّبون ويسكي في البيرة .

قلتُ :

- لا .

* السجق النقانق الكبيرة . (المنزجم) .

- نعم . يا إلهي ، ذلك صحيح . وهناك أيضاً امرأة تقيّات على الطاولة .

- كيف؟ .

- هذا صحيح . تقيّات على الطاولة . وبعد ذلك تقيّات في حذائها . وبعد ذلك ، رجعوا وقالوا بأنهم يريدون الحضور مرة أخرى ليقيموا حفلة أخرى في الأحد القادم . فقلت لهم : لا . وحين أتوا ، أفلتُ الباب .

- إنهم سيثون حين يسكرون .

- في الشتاء ، وحين يذهب الفتيان للرقص ، يأتون في سياراتهم وينتظرون في الخارج ويقولون لفونتان : « هيه يا سام ، بع لنا قنينة نبيذ » . أو يشربون البيرة ، ثم يخرجون ويسكي من قنينة في جيوبهم ويصبونه في البيرة ويشربونها . يا إلهي ، كان ذلك أول مرة أرى فيها مثل هذا في حياتي . يضعون الويسكي في البيرة؟ يا إلهي ، أنا لا أفهم ذلك .

- يريدون أن يصابوا بالغثيان ، وهكذا يعرفون بأنهم سكرى .

- حضر شخص ذات مرة هنا وطلب مني إعداد عشاء ضخم له ولأصدقائه ، وقال بأنهم سيشرّبون قنينة أو قنيتين من النبيذ ، وستأتي فتياتهم أيضاً ثم سيرقصون . قلت : ليكن . فأعددتُ عشاءً ضخماً ، وحين حضروا كانوا قد شربوا الكثير . ثم أخذوا يصبون الويسكي في النبيذ . يا إلهي ، نعم . قلت لفونتان : « ستمرض الفتيات » ، قال : « نعم » . ثم تقيّات هذه الفتيات ، فتيات جميلات حقاً ، فتيات لا بأس بهن . حاول فونتان قيادتهن من أذرعهن ليريهن أين يمكنهن التقيؤ في المراض . لكن الفتيان قالوا : لا ، فالتقيؤ على الطاولة لا بأس به ! .

ودخل فونتان ، لكنها تابعت :

- حين عادوا ثانية ، أفلتُ الباب . قلت : « لا ، ولا مقابل مائة وخمسين دولاراً » . يا إلهي ، لا .

قال فونتان :

- هناك كلمة بالفرنسية عن مثل هؤلاء الناس حين يتصرفون على ذلك النحو .

نهض واقفاً وقد بدا بالغ الكبير وتعباً من الحزارة .

- ما هي؟ .

قال برقة :

- cochon كوشو* .

وتردد في استعمال كلمة قوية كهذه .

* بالفرنسية في الأصل وتعني : خنزير . (المترجم) .

- كانوا كالخنازير.

إعتذر عن قوله :

- إنها كلمة قوية جداً. لكن التقيؤ على الطاولة . .

وهز رأسه بحزن.

قلت :

- خنازير. هم كذلك - خنازير. قدرون .

كانت خشونة الكلمات مؤذية لفونتان . كان مسروراً أن يتكلم عن موضوع

آخر.

- هناك أشخاص لطيفون جداً وحساسون جداً من بين الذين حضروا أيضاً.

هناك ضباط من الحصن . رجال لطفاء جداً . رجال طيبون . كل مَنْ كان في فرنسا

يريد أن يحضر ويشرب النبيذ . انهم يحبون النبيذ حقاً .

قالت السيدة فونتان :

- كان هناك رجل واحد، ولم تكن زوجته تسمح له بالخروج إطلاقاً. لذلك كان

يخبرها بأنه تعب، فيمضي إلى السرير، وحين كانت تذهب إلى دار العرض، كان

ينزل إلى هنا مباشرة، وفي منامته في بعض الأحيان ملفوفاً بمعطف فوقها . كان

يقول : «ماريا، بعض البيرة، لأجل الله» . كان يجلس وهو في منامته ويشرب البيرة،

ثم يذهب إلى الحصن ويعود إلى السرير قبل أن تعود زوجته إلى البيت من دار

العرض .

قال فونتان :

- إنه أصيل، لكنه لطيف حقاً. إنه شخص لطيف .

قالت السيدة فونتان :

- يا إلهي ، نعم ، شخص لطيف حقاً . ويكون دائماً في السرير حين تعود زوجته من

دار العرض .

قلت :

- لا بد أن أذهب غداً إلى Crow Reservation كراوريزير فيشين . سذهب إلى هناك

لافتتاح موسم صيد دجاج البراري .

- نعم؟ ستعود إلى هنا قبل أن تسافر. ستعود إلى هنا حقاً؟ .

- طبعاً .

قال فونتان :

- سيكون النبيذ جاهزاً . سنشرب قنينة معاً .

قالت السيدة فونتان :

- ثلاث قناني .

قلت :

- سأعود .

قالت السيدة فونتان :

- نحن نعتمد عليك .

قلت :

- تصبحان على خير .



وصلنا في ساعة مبكرة من بعد الظهر من رحلة الصيد . فقد تهضنا في الخامسة صباحاً . وكنا قد اصطدنا جيداً في اليوم السابق ، لكننا لم نردجاًجاً برياً في ذلك الصباح . وكنا نحس بالحرارة الشديدة ونحن في السيارة المكشوفة كما توقفنا لتناول غدائنا بعيداً عن الشمس تحت شجرة إلى جانب الطريق . كانت الشمس عالية ويقعة الظل صغيرة جداً . أكلنا بعض الشطائر وخُبيزات هبّة مع شطيرة محشوة عليها ، وكنا عطشى وتعبين فاحسسنا بالسرور حين إنتهينا أخيراً وعدنا إلى الطريق الرئيسي للرجوع إلى المدينة . وصلنا إلى مدينة كلاب برية فأوقفنا السيارة وأطلقنا النار لأن الطلقات التي أخطأت هدفها طاشت مبتعدة عن الصخور والقاذورات وغنت مبتعدة عبر الحقول ، كما كانت وراء الحقول بعض الأشجار ممتدة على طول مجرى ماء حيث كان هناك بيت ، فخشينا أن نثير المتاعب من الطلقات الطائشة المتجهة إلى البيت . لذلك واصلنا قيادة السيارة ، وأخيراً سرنا على الطريق المنحدر إلى الأسفل نحو بيوت المدينة النائية . كان بوسعنا أن نرى الجبال عبر السهل . كانت زرقاء في ذلك اليوم ، بينما كانت الثلوج تلمع كالزجاج على الجبال العالية . كان الصيف على وشك الانتهاء ، لكن الثلج الجديد لم يبق على الجبال العالية بل بقي هناك فقط الثلج والجليد القديمين اللذين أذابتهما الشمس ، فلمعا لمعاً ساطعاً جداً ومن مسافة بعيدة جداً .

رغبنا في بعض البرودة والظل . فقد أحرقتنا الشمس وشققت هي والغبار القلوي شفاهنا . دُرنا إلى الطريق الجانبي نحو محل فونتان ، وأوقفنا السيارة خارج البيت ودخلنا . كان داخل غرفة الطعام ندياً . وكانت السيدة فونتان وحيدة .

قالت :

- لدينا قنيتان من البيرة فقط . كلها نفذت . البيرة الجديدة ليست جيدة .
أعطيها بعض الطيور .
قالت :

ذلك حسن . حسن . شكراً . ذلك حسن .
خرجت لتضع الطيور في مكان بارد . حين أنهينا البيرة نهضت واقفاً .
قلت :

- لا بد أن نذهب .
- تعود هذه الليلة حقاً؟ سيحضر فونتان النبيذ .
- سنعود إلى هنا قبل أن نساfer .
- ستسافران؟ .
- نعم . لا بد أن نساfer في الصباح .
- من السيء أن تسافرا . تعال الليلة . سيحضر فونتان النبيذ . سنقيم احتفالاً قبل أن
تسافرا .
- سنأتي قبل أن نساfer .

لكن ، كانت لدينا بعد ظهر ذلك اليوم برقيات لا بد من إرسالها ، وكان لا بد
من إصلاح السيارة - فقد قطع حجر أحد إطاراتها وكان لا بد من إصلاحه - .
فاضطررت إلى التنقل داخل المدينة سيراً على الأقدام لانجاز أمور كان يجب
إنجازها قبل سفرنا . فشعرت بالتعب الشديد حين حل وقت الغذاء فلم أستطع
الخروج . كما لم تكن نرغب في سماع لغة أجنبية . وكان كل ما نرغب فيه هو النوم
مبكرين .

وفيما كنتُ مستلقياً على السرير قبل أن أنام ، وبينما كان متاع الصيف كله
مكروماً حولنا جاهزاً لحزمه ، والنوافذ مفتوحة والهواء البارد يهب من الجبال على
الغرفة ، فكرتُ أن من المخجل أنني لم أذهب إلى فونتان - لكنني سرعان ما
استغرقتُ في النوم بعد وهلة . وانشغلنا في اليوم التالي وطيلة الصباح بحزم الأمتعة
وانهاء الصيف . وتناولنا الغذاء واستعدنا للانطلاق في الساعة الثانية .

قلت :

- لا بد أن نذهب ونودع أسرة فونتان :
- نعم ، لا بد من ذلك .
- أخشى أنهم ينتظرونا الليلة الماضية .
- أعتقد بأننا كان بوسعنا الذهاب .

- يا ليتنا ذهبنا .

ودعنا الرجل الجالس إلى المكتب في الفندق وودعنا Larry لاري وأصدقاءنا الآخرين في المدينة ثم قدنا السيارة نحو محل فونتان . كانت السيدة والسيد هناك .
سراً سروراً عظيماً لرؤيتنا . بدا فونتان عجبوراً وتعباً .
قالت السيدة فونتان :

- ظننا بأنكم كنتما ستأتيان ليلة البارحة . كان لدى فونتان ثلاث قناني من النبيذ .
حين لم تأتيا ، شربها كلها .

- نستطيع البقاء دقيقة فقط . جئنا لنودعكما فقط . أردنا الحضور ليلة أمس . اعتزمتنا
الحضور ، لكننا كنا تعيين جداً بعد الرحلة .
قال فونتان :

- إذهبي واحضري بعض النبيذ .

- ليس ثمة نبيذ ، لقد شربته كله .

بدا فونتان منزعجاً جداً .

قال :

- سأذهب لاحضار بعض النبيذ . سأغيب بضع دقائق . لقد شربته كله ليلة أمس .
لقد أحضرناه لكما .

قالت السيدة فونتان :

- كنتُ أعرف بأنكما تعبان . قلت : «يا إلهي ، إنهما تعبان جداً حتى أنهما لن
يستطيعا الحضور» . إذهب واحضري بعض النبيذ يا فونتان .

قلت :

- سأأخذك معي في السيارة .

قال فونتان :

- حسن ، بهذه الطريقة نصل بسرعة .

سرنا بالسيارة على الطريق ودرنا إلى شارع جانبي على بعد حوالي ميل .

قال فونتان :

- ستحبُ ذلك النبيذ . لقد طلع جيداً . يمكننا شربه للعشاء هذه الليلة .

توقفنا أمام منزل خشبي . طرق فونتان الباب . لم يكن ثمة جواب . دُرنا حول
المنزل إلى الخلف . كان الباب الخلفي مقفولاً أيضاً . كما كانت تتناثر علب صفيح
فارغة حول الباب الخلفي . نظرنا من النافذة . لم يكن في الداخل أحد . كان
المطبخ وسخاً وزلقاً ، لكن الأبواب والنوافذ كلها كانت مقفلة باحكام .

قال فونتان :

- إبنة الكلبة تلك . أين خرجت ؟ .
كان بائساً .

قال :

- أعرف أين أجد مفتاحاً . ابقيا هنا .

رأيته يتجه نحو المنزل التالي أسفل الطريق ، طرق الباب وتكلم مع امرأة
خرجت منه ، وأخيراً عاد . كان معه مفتاح . جربناه على الباب الأمامي ثم الخلفي ،
لكنه لم يعمل .

قال فونتان :

- إبنة الكلبة تلك ، لقد ذهبت إلى مكان ما .

وكان بوسعي أن أرى ، بالنظر من النافذة ، المكان الذي خُزن فيه النيذ .
وكان بوسعك وأنت لصق النافذة شَمّ داخل المنزل . فقد كانت تنبعث منه رائحة
لذيذة ومثيرة للغثيان قليلاً كمنزل هنود . أمسك فونتان بلوح خشب محلول فجأة ثم
أخذ يحفر في الأرض إلى جانب الباب الخلفي .

قال :

- يمكنني الدخول . إبنة الكلبة ، يمكنني الدخول .

كان في فناء البيت المجاور الخلفي رجل يصلح إحدى العجلتين الأماميتين
في سيارة فورد قديمة .

قلت :

- يحسن ألا تفعل هذا . سيراك ذلك الرجل . إنه يراقب .

انتصب فونتان واقفاً وقال :

- سنجرب المفتاح مرة أخرى .

جربنا المفتاح لكنه لم يفتح . دار نصف دورة في كل من الاتجاهين .

قلت :

- لن نستطيع الدخول . يحسن أن نعود .

عرض فونتان رأيه .

- سأحفر تحت الباب الخلفي .

- لا . لن أدعك تجرب هذا .

- سأفعل هذا .

قلت :

- سيراك ذلك الرجل فيقبضون عليك .

عدنا إلى السيارة وقدتها عائدين إلى بيت فونتان بعد أن توقفنا في الطريق
لنرجع المفتاح إلى صاحبه . لم يقل فونتان شيئاً سوى إطلاق الشتائم بالانجليزية .
أصبح غير متماسك ومحطماً . دخلنا إلى بيت فونتان .
قال :

- إبنة الكلبة تلك . لم نستطع الحصول على النيذ . نبيذي الذي صنعه .
إمحت كل السعادة عن وجه السيدة فونتان . جلس فونتان في ركن ورأسه بين
يديه .

قلت :

- لا بد أن نسافر . لن يشكّل النيذ أي فرق . إشرابنا نحن حين نسافر .

قالت السيدة فونتان :

- أين ذهبت تلك المجنونة ؟ .

قال فونتان :

- لا أعرف . لا أعرف أين ذهبت . والآن ستذهبان بلا أي نيذ .

قلت :

- ذلك حسن .

قالت السيدة فونتان :

- ذلك ليس حسناً .

وهزّت رأسها .

قلت :

- لا بد أن نذهب . مع السلامة وحظاً سعيداً . نشكركما على الأوقات السعيدة .

هز فونتان رأسه . كان يشعر بالخزي . بدت السيدة فونتان حزينة .

قلت :

- لا تستاء بسبب النيذ .

قالت السيدة فونتان :

- أراذكما أن تشربا نيذه . بوسعكما العودة في السنة القادمة .

- لا . ربما في السنة التالية لها .

قال فونتان لها :

- أرايت ؟ .

قلت :

- وداعاً . لا تفكرا بالنبذ . إشربا بعضه نخبنا بعد ذهابنا .
هزّ فونتان رأسه . لم يبتسم . فهو يعرف متى يكون محطماً .
قال فونتان لنفسه :

- إبنة الكلبة تلك ! .

قالت السيدة فونتان محاولة تعزيتة :

- كانت لديه ثلاث قناني ليلة أمس .
هزّ رأسه .

قلت :

- مع السلامة .

ترقرقت دموع في عينيّ السيدة فونتان .

قالت :

- مع السلامة .

أحسست بالأسف لفونتان .

قلنا :

- مع السلامة .

كنا كلنا مستائين جداً . كانا يقفان في فتحة الباب حين ركبنا السيارة وشغلت
المحرك . لوحنا لهما . ظلا يقفان معاً وهما حزيران في شرفة المدخل ، كما بدا
فونتان هزماً وبدت السيدة فونتان حزينة . لوحت لنا ثم دخل فونتان البيت . درنا لسير
على الطريق .

- انهما مستاءان جداً . وفونتان في حالة مريعة .

- كان يجب أن نذهب إليهما ليلة أمس .

- نعم . كان يجب أن نذهب .

سرنا عبر المدينة وانطلقنا سائرين على طريق ممهد لنخرج منها ، وكانت
على جانبي الطريق جذامات حبوب الحقول بينما كانت الجبال تمتد إلى اليمين .
بدت كأنها أرض اسبانية ، لكنها كانت وايومينج .

- آمل أن يحالفهما حظ طيب .

قلت :

- لن يتحقق هذا ، ولن يصبح شميدث رئيساً للجمهورية .

انتهت الطريق الاسمنتية . وأصبح الطريق مرصوفاً بالحصى الآن ثم غادرنا
السهل وشرعنا نصعد بين سفحيّ تلّين ، ثم تلوّى الطريق وأخذنا نصعد . كانت تربة

التلال حمراء بينما كانت المريمية تنمو على شكل أجسام رمادية، وكان بوسعنا أن نرى ما امتد عبر التلال وما وراء سهل الوادي في اتجاه الجبال. وكانت تقع على مسافة أبعد الآن، فبدت أكثر شبهاً بإسبانيا منها في أي وقت آخر، وانعطف الطريق وصعد ثانية، فرأينا أمامنا بعض طيور الطيهوج تثير الغبار في الطريق. طارت حين اقتربنا منها، وأجنحتها تصطفق بسرعة، ثم طارت بانحدارات طويلة وحطت على سفح التل تحتنا.

- إنها كبيرة جداً وجميلة. إنها أكبر من طيور الحجل الأوروبية.

- يقول فونتان: إنها بلاد رائعة للصيد.

- وحين ينتهي الصيد.

- سيكونان قد ماتا حينذاك.

- لن يموت الولد.

قلت:

- ليس ثمة ما يبرهن على أنه لن يموت.

- كان يجب أن نذهب إليهما ليلة أمس.

قلت:

- أوه. نعم، كان يجب أن نذهب إليهما.

المقامر والراهبة والمذيع

احضروهما في حوالي منتصف الليل، فسمع الكل على طول الممر، ومنذ ذلك الوقت وطوال الليل، الروسي يصرخ:

سأل فرايزر ممرضة الليل:

- أين أصيب؟

- في الفخذ، على ما أظن؟

- ماذا بشأن الشخص الآخر؟

- أوه. سيموت على ما أخشى.

- أين أصيب؟

- مرتان في البطن. وقد وجدوا واحدة من الرصاصتين فقط.

كان كلاهما عاملي شمندر، مكسيكي وروسي، وكانا يجلسان ويشربان القهوة في مطعم مفتوح طوال الليل، حين دخل شخص من الباب وبدأ يطلق النار على المكسيكي. فزحف الروسي تحت طاولة، إلا أن رصاصة طائشة أطلقت على المكسيكي الملقى على الأرض المصاب برصاصتين إلى بطنه أصابته أخيراً. ذلك ما ذكرته الجريدة.

وأخبر المكسيكي الشرطة بأن ليس لديه أية فكرة عن الشخص الذي أطلق عليه النار. واعتقد بأنه حادث عرضي.

- حادة عرضي يُطلق عليك فيه ثماني طلقات ويصيبك باثنتين، هناك؟

قال المكسيكي الذي كان يحمل اسم كايتانوروز.

- *Si, señor

قال للمترجم:

- كان ما أصابني حادث، أيها السيد،

سأل رقيب الشرطة السرية وهو ينظر إلى الجانب الآخر من السرير إلى

المترجم:

- ماذا قال؟

- قال بأنه كان حادثاً.

قال الشرطي السري:

* بالاسبانية في الاصل وتعني: نعم يا سيد. (المترجم).

- أخبره بأن يقول الحق ، وبأنه سيموت .

قال كاييتانو:

- لا . قل له بأنني مريض جداً وأفضل ألا أتكلم كثيراً .

قال المترجم :

- يقول بأنه يقول الحق .

ثم تكلم شخصياً إلى الشرطي السري .

- هو لا يعرف مَنْ الذي أطلق عليه النار . لقد أطلقوا عليه النار من الخلف .

قال الشرطي السري :

- نعم . أفهم ذلك ، لكن ، لماذا أصابته كل الرصاصات من الأمام ؟ .

قال المترجم :

- ربما كان قد دار حول نفسه بسرعة .

قال الشرطي السري وهو يكاد يهز أصبعه على أنف كاييتانو ، الذي برز أصفر

شمعياً من وجهه الميت الذي كانت فيه عيناه حيتين كعيني صقر .

- اسمع ، أنا لا يهمني أبداً مَنْ أطلق عليك النار ، لكنني لا بد أن أنهي هذا . ألا

تريد أن يُعاقب الرجل الذي أطلق عليك النار ؟ .

قال للمترجم :

- أخبره بهذا .

- يقول لي بأن لا بد أن تخبره عَمَّنْ أطلق عليك النار .

قال كاييتانو الذي كان تعباً جداً :

- Mandarlo al carajo .

قال المترجم :

- قال بأنه لم ير الشخص قط . أخبرك بصدق بأنهم أطلقوا عليه النار من الخلف .

- إسأله مَنْ أطلق النار على الروسي .

قال كاييتانو:

- الروسيّ المسكين ، كان على الأرض وذراعه تحيطان برأسه . بدأ يطلق صرخات

هستيرية حين أطلقوا النار عليه وظلَّ يُطلق الصرخات منذ تلك اللحظة . يا للروسي

المسكين .

- يقول بأنه كان شخصاً لا يعرفه . قد يكون نفس الشخص الذي أطلق عليه النار .

قال الشرطي السري :

- اسمع . هذه ليست مدينة تشيكاجو . وأنت لست رجل عصابات . يجب ألا

تتصرف كما لو كنت تمثّل في فيلم سينمائي . من الصواب أن نخبرنا عن الذي أطلق عليك النار . أي شخص سيخبر عن الشخص الذي يطلق عليه النار . ذلك أمر من الصحيح فعله . لنفرض أنك لم تخبر عنه وأطلق بعدئذ النار على شخص آخر . لنفرض أنه سيطلق النار على امرأة أو طفل . لا يمكنك تركه يهرب مع ذلك .

قال للسيد فرايزر:

- قل له هذا . أنا لا أثق بذلك المترجم اللعين .

قال المترجم :

- أنا شخص يُعتمد عليه .

نظر كاييتانو على السيد فرايزر .

قال فرايزر:

- اسمع *amigo* . يقول الشرطي بأننا لسنا في تشيكاجولكننا في هايلي في مونتانا . وأنت لستَ رجل عصابات والأمر لا يمت إلى السينما بصلة .

قال كاييتانو بلطف :

- أصدقه . Yo lo creo .

- يستطيع الإنسان أن يبلغ عن الذي يهاجمه بشرف . الكل يفعل هذا هنا ، كما يقول . هو يقول : ماذا يحدث إذا أطلق هذا الرجل النار على امرأة أو طفل بعدما أطلق النار عليك ؟ .

قال كاييتانو:

- أنا لستُ متزوجاً .

- إنه يقول : أية امرأة وأي طفل .

قال كاييتانو:

- الرجل ليس مخبولاً .

أنهى السيد فرايزر كلامه .

- يقول بأن عليك أن تبّلع عنه .

قال كاييتانو:

- أشكرك . أنت أحد المترجمين العظام . أنا أتكلم الانجليزية ، لكن على نحو

سيء . أنا أفهمها فهماً حسناً . كيف كسرتَ رجلك ؟ .

- سقوط عن حصان .

- يا له من حظ سيء . أنا آسف جداً . أتؤلمك كثيراً ؟ .

• بالاسبانية في الاصل وتعني : صديق ، أي يا صاح . (المترجم).

- ليس الآن. في بادئ الأمر، نعم.

قال كاييتانو:

- إسمع amigo. أنا ضعيف جداً. ستعذرني. أنا أعاني من ألم شديد أيضاً، ما يكفي من الألم. من المحتمل جداً أن أموت. أرجوك أن تخرج الشرطي من هنا لأنني تعب جداً.

تحرك كما لو كان سينقلب إلى الجانب الأخر، ثم تماسك وبقي ساكناً.

قال السيد فرايزر:

- أخبرته بكل شيء كما قلته بالضبط وطلب مني أن أخبرك بأنه لا يعرف من أطلق عليه النار حقاً وبأنه ضعيف جداً ويتمنى لو تحقق معه فيما بعد.

- ربما يكون ميتاً فيما بعد.

- ذلك ممكن جداً.

- لذلك أردت أن أحقق معه الآن.

قال المترجم:

- أقول لك بأن شخصاً أطلق عليه النار من الخلف.

قال الشرطي السري:

- أوه. لأجل المسيح.

ووضع كراس الملاحظات في جيبه.

* * *

كان الرقيب السري يقف في الممر مع المترجم إلى جانب كرسي السيد فرايزر المتحرك.

- أظن بأنك تصدق أنت أيضاً بأن شخصاً أطلق عليه النار من الخلف؟

قال فرايزر:

- نعم. شخص أطلق النار عليه من الخلف. ماذا يهمك من هذا كله؟

قال الرقيب:

- لا تزعل. ليتني أستطيع أن أتكلم الإسبانية.

- لِمَ لا تتعلم؟

- يجب ألا تستاء. لا يُمتعني إستجواب ذلك الإسباني قط. لو كنت أستطيع أن

أتكلم الإسبانية لاختلف الأمر.

قال المترجم:

- لست بحاجة إلى أن تتكلم الإسبانية. أنا مترجم يُعتمد عليه تماماً.

قال الرقيب :

- أوه . من أجل المسيح . حسناً ، إلى اللقاء سأحضر لأراك .
 - شكراً . أنا في الداخل دائماً .
 - أظن بأنك بخير . كان ذلك من سوء الطالع حقاً . الكثير من سوء الحظ .
 - تحسنت رجلي الآن منذ أن ربطت العظم .
 - لكن ذلك استغرق وقتاً طويلاً . وقت طويل ، طويل .
 - لا تدع أي شخص يطلق النار على ظهرك .
- قال :

- ذلك صحيح . ذلك صحيح . حسناً ، أنا سعيد بأنك غير مستاء .

قال السيد فرايزر :

- إلى اللقاء .

لم ير السيد فرايزر كاييتانو ثانية خلال مدة طويلة ، لكن الأخت سيسيليا كانت تحضر أخباراً عنه كل صباح . قالت بأنه كان عديم الشكوى وأصبح في حال سيئة جداً الآن . فقد أصيب بالتهاب الصفاق واعتقدوا بأنه لن يعيش . قالت الأخت سيسيليا : يا لكاييتانو المسكين . لديه يدان جميلتان ووجه جميل وهو لا يشكو أبداً . كانت الرائحة الآن رهيبة حقاً . قالت : كان يشير إلى أنفه بأحد أصابعه ويتسم ويهز رأسه . إنه منزوع من الرائحة . قالت الأخت سيسيليا : إنها تخرجه . أوه إنه مريض رائع . كان يتسم دائماً . لم يكن ليذهب إلى الاعتراف أمام القسيس لكنه وعد بأن يصلي ، ولم يكن يزوره أي شخص مكسيكي منذ أن أدخل المستشفى . كان الروسي سيخرج في نهاية الأسبوع . وقالت الأخت سيسيليا : لم أحس بأي ميل نحو الروسي . يا للرجل المسكين ، لقد قاسى هو أيضاً . لقد كانت رصاصة مشحمة وقذرة وقد تلوثت الجرح ، لكنه يثير ضجة كبيرة جداً وأنا أحب المرضى الذين حالتهم خطيرة . كاييتانو ذلك ، مريض مرضاً خطيراً ، أوه لا بد أنه مريض مرضاً خطيراً حقاً ، خطيراً بدرجة كبيرة ، إنه مهذب ورفيق البنيان ، ولم يقم بأي عمل يدوي أبداً . إنه ليس عامل شمندر ، أنا أعرف بأنه ليس عامل شمندر . يده ناعمتان جداً وليس فيهما جسأت* . أنا أعرف بأنه شخص سيء من نوع ما . سأذهب إلى الكنيسة لأصلي من أجله . مسكين كاييتانو ، لقد أمضى وقتاً رهيباً ولم يُصدر أي صوت . ما الذي دعاهم لاطلاق النار عليه؟ أوه ، كاييتانو المسكين ! سأذهب الآن وأصلي من أجله .

*الجسأت: البقع الجلدية المتصلبة . (المترجم) .

وذهبت إلى الكنيسة وصلت من أجله .



لا يعمل جهاز المذياع جيداً في ذلك المستشفى إلا وقت الغسق . قالوا بأن هذا راجع إلى وجود الكثير من المواد الخام في الأرض أو إلى شيء متعلق بالجبال ، إلا أنه لم يكن يعمل جيداً ، على أية حال إلا بعد أن يبدأ الظلام بالهبوط في الخارج ، لكنه كان يعمل جيداً طوال الليل ، وكان بوسعك أن تسير إلى مسافة أبعد إلى الغرب وتلتقط محطة أخرى حين تتوقف محطة من المحطات . وكانت آخر محطة تستطيع أن تصل إليها سيتل ، في واشنطن ، فحين يشيرون إلى انقطاع الإرسال في الساعة الرابعة صباحاً تكون الساعة الخامسة صباحاً في المستشفى وذلك نتيجة للفرق في التوقيت ، وفي الساعة السادسة تستطيع التقاط صخب وقصف الساهرين في مينيا بوليس . وكان ذلك نتيجة للفرق في الوقت أيضاً ، وقد اعتاد السيد فرايزر على أن يفكر في الساهرين حتى الصباح وهم يصلون إلى الاستوديو ويتصور كيف يبدو وهم يخرجون من سيارة أجرة قبل طلوع نور النهار في الصباح وهم يحملون آلاتهم الموسيقية . قد يكون ذلك خطأ فييقون آلاتهم في المكان الذي يسهرون فيه ، لكنه كان يتصورهم دائماً مع آلاتهم الموسيقية . إنه لم يزر مينيا بوليس واعتقد بأنه ربما لن يذهب إلى هناك أبداً ، لكنه كان يعرف كيف تبدو في ذلك الصباح الباكر .

وكان بوسعك أن ترى خارج نافذة المستشفى حقلاً بحشائش متداعية تبرز من تحت الثلج ، وهضبة صلصالية جرداء شديدة الانحدار . وقد رغب الطبيب في أن يرى السيد فرايزر في صباح أحد الأيام طائري تدرج كانا في الثلج ، وحين سحب السرير نحو النافذة ، سقط مصباح القراءة عن حديد إطار السرير وضرب رأس فرايزر . لا يبدو هذا مضحكاً الآن كما كان كذلك حينذاك ، فقد كان الجميع ينظرون من خلال النافذة ، وكان الطبيب الذي كان أمهر الأطباء ، يشير إلى طيور التدرج ويسحب السرير نحو النافذة حين سقطت قاعدة المصباح الرصاصية فجأة على السيد فرايزر وصرعته بعد أن ضربت قمة رأسه . بدا هذا نقيضاً للعلاج أو للغرض الذي يدخل الناس المستشفى من أجله ، واعتقد الكل بأن الأمر كان مضحكاً جداً كنته ضد السيد فرايزر والطبيب . فكل شيء يجري ببساطة أكثر من المستشفى ، بما في هذا النكت .

وبوسعك أن ترى المدينة من خلال النافذة الأخرى إن أدير سريرك . ويكون قد تجمّع فوقها دخان ضعيف ، وترى جبال داوسون الشبيهة بجبال حقيقية مكسوة

بثلج الشتاء . ذلكما كانا المنظرين اللذين يمكن مشاهدتهما من هناك لأن الكرسي المتحرك لا ينتقل إلى أماكن أخرى . يحسن حقاً أن تبقى في سريرك إن كنت في مستشفى ، فرؤيتك منظرين من غرفة تتحكم بدرجة حرارتها ولمدة كافية من الزمن لإمعان النظر فيهما أفضل بكثير من رؤيتك أي عدد من المناظر تشاهدها لوضع دقائق من غرف خاوية حارة تنتظر شخصاً آخر أو كانت قد أخلت منذ لحظات وتُدفع إلى داخلها وإلى خارجها وأنت على كرسيك المتحرك . وإذا بقيت مدة كافية في غرفة ، يكتسب المنظر، مهما تكن طبيعته، قيمة عظيمة ويصبح مهماً جداً ولن تغيره حتى حين تنظر إليه من زاوية مختلفة . هناك أشياء معينة، تصبح مغرماً بها، كما هو الحال مع المذياع ، فترحب بها وتستاء من الأشياء الجديدة . وكانت الألحان الأكثر رواجاً في ذلك الشتاء : «غنّ شيئاً بسيطاً» و«الفتاة رتبية النغم» و«أكاذيب بيضاء صغيرة» . لم تكن ثمن ألحان أخرى مرضية مثلها، حسبما رأى السيد فرايزر . وكان لحن : «تلميذة صغيرة في مدرسة مختلطة» لحناً جميلاً أيضاً ، لكن محاكاة الكلمات الساخرة التي خطرت في بال السيد فرايزر على نحو حتمي أصبحت فاحشة باطراد وعلى نحو متزايد حتى لم يعد أحد يتذوقها، فهجرها أخيراً وترك الأغنية تعود إلى كرة القدم .

في الساعة التاسعة صباحاً، يبدأون بتشغيل جهاز أشعة «س» فيصبح المذياع ، الذي لم يكن يلتقط سوى هايلي حينذاك ، عديم النفع . لقد احتج الكثير من أهالي هايلي الذين يملكون أجهزة مذياع على أشعة «س» في المستشفى الذي يُفسد استقبالهم الصباحي ، لكن ، لم يُتخذ أي إجراء مع أن الكثيرين شعروا بأن من المخزي ألا يستعمل المستشفى جهازه في وقت لا يستعمل الناس فيه أجهزة مذياعهم .

وفي حوالي الوقت الذي أصبح من الضروري قفل المذياع ، دخلت الأخت سيسيليا .

سأل السيد فرايزر:

- كيف حال كايتانويا أخت سيسيليا؟ .
- أوه . إنه سيء جداً .
- هل فقد عقله؟ .
- لا ، لكنني أخشى أن يموت .
- كيف حالك؟ .
- أنا قلقة جداً عليه ، هل تعرف بأن أحداً لم يزره على الإطلاق؟ . قد يموت

ككلب بسبب إهتمام كل أولئك المكسيكيين به . إنهم رهيون حقاً .

- هل تريدين المجيء لسماع المباراة بعد ظهر اليوم؟ .

قالت :

- أوه . لا . سأنفعل جداً . سأكون في الكنيسة لأصلي .

قال السيد فرايزر:

- يجب أن نسمعها بوضوح . سيلعبون في الساحل وسيوصلها فرق التوقيت متأخرة على نحو يسمح لنا بالتقاطها بوضوح .

- اوه . آه ، لا أستطيع هذا . كادت بطولة العالم أن تقضي عليّ . حين كان دور الضرب لنادي «اثليتيكس» كنت أصلي بصوت عالٍ : «أوه يا إلهي ، وجه عيونهم الضاربة ! آه يا إلهي ، ليسجل أحدهم رمية صائبة ! أوه يا إلهي ليسددوا ضربة بأمان !» . وحين احتلوا القواعد في الشوط الثالث كان ذلك أكثر مما يمكنني احتماله ، كما تذكرون : «أوه ، يا إلهي ليضربها خارج أرض الملعب . أوه يا إلهي ، ليقذف بها فوق السياج دون أن يعيقها عائق» . وأنتم تعرفون بأن دور الضرب قد حل لصالح نادي «كاردينال» ، وساء الحال إلى حد رهيب . «أوه يا إلهي ، أعم أبصارهم عنها . أوه يا إلهي لا تدعهم حتى يلمحوها . يا إلهي لتعطش ضرباتهم» . وهذه المباراة أسوأ . إنها نوتردام . سيدتنا . لا ، سأكون في الكنيسة . من أجل سيدتنا . إنهم يلعبون من أجل سيدتنا . أتمنى لو كتبت شيئاً في وقت ما من أجل سيدتنا . يمكنك فعل هذا . أنت تعرف بأنك يمكنك فعل هذا يا سيد فرايزر .

قال السيد فرايزر:

- أنا لا أعرف شيئاً عن اللعبة حتى أكتب عنها . سبق وكتب عنها كل شيء تقريباً . لن تحبي الطريقة التي أكتب بها . وهي لن تهتم بما أكتب أيضاً .

قالت الأخت :

- ستكتب عنها أحياناً . أعرف بأنك ستفعل هذا . يجب أن تكتب عن سيدتنا .

- يحسن أن تصعدي وتسمعي المباراة .

- سيكون هذا فوق طاقتي . لا ، سأكون في الكنيسة أفعل ما أستطيع فعله .

كانت قد مضت خمس دقائق بعد ظهر ذلك اليوم وهم يلعبون حين دخل أحد

الناقحين الغرفة ، وقال : «تريد الأخت سيسليا أن تعرف كيف تسير المباراة؟» .

- أخبرها بأنهم في حالة هبوط .

وبعد فترة وجيزة دخل الناقه الغرفة مرة أخرى .

قال السيد فرايزر:

- قل لها بأنهم يلعبون لإنهاهم .

وبعد فترة قصيرة، قرع الجرس لاستدعاء الممرضة التي كانت في نوبة عمل في الطابق الأرضي: «هل لك أن تذهبي إلى الكنيسة أو ترسلي بكلمة إلى الأخت سيسيليا تبلغها بأن نوتردام تغلبوا عليهم بأربع عشرة نقطة مقابل لا شيء في نهاية الربع الأول وبأن الأمور تسير على ما يرام. بوسعها الكف عن الصلاة».

وبعد دقائق معدودة، دخلت الأخت سيسيليا الغرفة. كانت منفعلة جداً، «ماذا تعني أربع عشرة مقابل لا شيء؟ أنا لا أعرف شيئاً عن هذه اللعبة. ذلك تقدم آمن وجيد في البيسبول. لكنني لا أعرف شيئاً عن كرة القدم. قد لا تعني شيئاً. سأعود إلى الكنيسة مباشرة وأصلي حتى تنتهي».

قال فرايزر:

- لقد هزموهم. أعدك بأنهم سيهزموهم. إبقيني واسمعي معي.

قالت:

- لا. لا. لا. لا. لا. لا. سأذهب الآن إلى الكنيسة مباشرة لأصلي.

وأخذ فرايزر يرسل خيراً إليهما كلما سجّل فريق نوتردام هدفاً، وأخيراً أرسل النتيجة النهائية بعد مضي وقت طويل على حلول الظلام.

- كيف حال الأخت سيسيليا؟

قالت:

- كلهم في الكنيسة.

ودخلت الأخت سيسيليا الغرفة في الصباح التالي، كانت مسرورة جداً وعظيمة الثقة بنفسها.

قالت:

- كنت أعرف بأنهم لن يستطيعوا أن يهزموا سيدتنا. لم يستطيعوا. وتحسنت حال كاييتانو أيضاً. إنه أحسن كثيراً. وسيستقبل زواراً. لن يستطيع رؤيتهم بعد، لكنهم سيحضرون وهذا سيحسن حاله ويؤكد له بأن أهله لم ينسوه. لقد ذهبتُ ورايت أوبرين ذلك في مركز الشرطة وطلبتُ منه أن يرسل بعض المكسيكيين لزيارة كاييتانو المسكين، إنه لأمر شرير ألا يحضر أحد ليراه.

في حوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم، دخل ثلاثة مكسيكيين الغرفة.

سأل أكبرهم حجماً وكانت له شفتان غليظتان وكان سميناً تماماً:

- أسمحون؟ .

أجاب السيد فرايزر:

- لِمَ لا؟ اجلسوا أيها السادة . هل تشربون شيئاً؟ .

قال الضخم:

- شكراً جزيلاً .

قال أدكنهم سمرة وأصغرهم حجماً:

- شكراً .

قال النحيل:

- لا ، شكراً، إنها تصعد إلى رأسي .

ونقر على رأسه .

أحضرت الممرضة بعض الكؤوس . قال السيد فرايزر: «أرجو أن تعطيهم

القنينة» .

قال موضحاً: «إنها من ريد لودج» .

قال الضخم:

- نوع لودج الأحسن . أفضل بكثير من بيج تيمبر ذلك .

قال أصغرهم حجماً:

- هذا واضح . وتكلف أكثر أيضاً .

قال الضخم:

- لريد لودج أسعار مختلفة .

سأل الشخص الذي لم يشرب:

- كم انبواً للمدياع؟ .

- سبعة .

قال:

- جميل جداً . كم يكلف؟ .

قال السيد فرايزر:

- لا أعرف . إنه مُستأجر .

- أنتم أيها السادة أصدقاء مكاييتانو؟ .

قال الضخم:

- لا . نحن أصدقاء الشخص الذي جرحه .

قال أصغرهم:

- أرسلتنا الشرطة إلى هنا.
- قال الضخم:
- لدينا محل صغير، هو وأنا.
- مشيراً إلى الشخص الذي لم يشرب.
- وهو يملك محلاً صغيراً أيضاً.
- مشيراً إلى الشخص الصغير الأسمر.
- قالت لنا الشرطة بأننا يجب أن نأتي - فجئنا.
- أنا سعيد لمجيئكم.
- قال الضخم:
- ونحن كذلك.
- هلاً شربتم كوباً صغيراً آخر؟
- قال الضخم:
- لِمَ لا؟
- قال الأصغر:
- عن اذنك.
- قال النحيل:
- لا أريد، إنها تصعد إلى رأسي.
- قال أصغرهم:
- إنها رائعة جداً.
- سأل فرايزر الشخص النحيل:
- لِمَ لا تجرب بعضه، ليصعد القليل إلى رأسك؟
- قال النحيل:
- بعد ذلك يأتي الصداع.
- سأل فرايزر:
- ألا تستطيعون إرسال أصدقاء كاييتانوليزوروه؟
- ليس له أصدقاء.
- لكل إنسان أصدقاء.
- هذا الشخص، لا.
- ماذا يشتغل؟
- إنه لاعب ورق.

- هل هو ماهر؟ .
- أعتقد هذا .
- قال الأصغر:
- مني أنا، ربح مائة وثمانين دولاراً. والآن، لم يعد في العالم مائة وثمانون دولاراً.
- قال النحيل:
- مني أنا، ربح مائتين وأحد عشر دولاراً. ركّز ذهنك على ذلك الرقم .
- قال السمين:
- لم أعب معه إطلاقاً .
- اقترح السيد فرايزر:
- لا بد أنه غني جداً .
- قال المكسيكي الصغير:
- إنه أفقر منا. لا يملك سوى القميص الذي على لحمه .
- قال فرايزر:
- وذلك القميص قليل القيمة الآن . مقطّع ومهلهل .
- هذا واضح .
- مَنْ أطلق عليه النار، كان لاعب ورق؟ .
- لا، كان عامل شمندر، كان لا بد أن يترك المدينة .
- قال الأصغر:
- فكر في هذا . كان أحسن عازف قيثارة في هذه المدينة . أجملهم عزفاً .
- يا للعار .
- قال الأضخم:
- أعتقد هذا . يا للطريقة الرائعة التي يلمس بها القيثارة .
- لم يبق عازفو قيثارة مهرة .
- حتى ولا شبح عازف قيثارة .
- قال الرجل النحيل:
- هناك عازف أكورديون له قيمة .
- قال الضخم:
- هناك قليل من الناس يعزفون على آلات مختلفة . تحب الموسيقى؟ .
- كيف لا أحبها؟ .
- سنأتي ذات ليلة مع آلاتنا الموسيقية؟ هل تعتقد بأن الأخت ستسمح بهذا؟ تبدو

ودودة جدا؟ .

- أنا متأكد من أنها ستسمح بهذا حين يصبح كاييتانو قادراً على سماعها .
سأل النحيل :

- هل هي مخبولة قليلاً؟ .

- مَنْ؟ .

- تلك الأخت .

قال السيد فرايزر:

- لا . إنها امرأة رائعة عظيمة الذكاء والعطف .

قال النحيل :

- أنا لا أتق بكل القسس والرهبان والأخوات .

قال أصغرهم :

- كانت لديه تجارب سيئة حين كان يافعاً .

قال النحيل بفخر:

- لقد كنتُ قندلفتاً . والآن أنا لا أومن . كما لا أذهب إلى صلاة الأحد .

- لماذا؟ أتصعد إلى رأسك؟ .

قال النحيل :

- لا . الكحول هي التي تصعد إلى رأسي . الدين أفيون الفقراء .

قال فرايزر:

- كنتُ أظن بأن الماريوانا أفيون الشعوب .

قال الضخم :

- أدخنتُ الأفيون؟ .

- لا .

قال :

- ولا أنا . يبدو بأنه سيء جداً . يبدأ به الانسان ثم لا يستطيع الكف عنه . إنه
رذيلة .

قال النحيل :

- كالدين .

قال أصغر المكسيكيين :

- هذا الرجل شديد العداة ضد الدين .

قال السيد فرايزر متأدباً :

- من الضروري أن يكون الانسان شديد العداة ضد أحد الأشياء .

قال النحيل :

- أحترم أولئك الذين يعمر قلوبهم إيمان حتى وإن كانوا جهلة .

قال فرايزر :

- حسناً .

سأل المكسيكي الضخم :

- ما الذي يمكننا إحضاره لك؟ أينقصك شيء؟ .

- يسرني أن أشتري بعض البيرة إن وجدت بيرة جيدة .

- سنحضر بيرة .

- كوب آخر قبل أن تذهبوا؟ .

- إنه جيد جداً .

- نحن نسرقك .

- لا أستطيع شربه . إنه يصعد إلى رأسي . ثم أصاب بصداع سيء ويصيني مغص

في معدتي .

- مع السلامة أيها السادة .

- مع السلامة شكراً .

خرجوا وحل وقت العشاء ثم ظهر بأن المذياع كان في أهدأ خال ممكن وما زال مسموعاً وأخذت المحطات تطلق إشارات النهاية حسب هذا الترتيب : دينفير ثم مدينة سولت ليك ثم لوس انجلس وسيتل . لم يكون السيد فرايزر أية صورة عن دينفير من المذياع . كان بوسعه أن يرى دينفير من دينفير بوسست ويصحح الصورة من جريدة روكي ماونتين نيوز . كما لم يحس قط بمدينة سولت لايك أو لوس انجلوس مما سمعه عن ذبئك المكانين . كل ما أحس به حيال مدينة سولت لايك هو أنها كانت نظيفة ، لكنها مملة ، إلا أن قاعات رقص كثيرة جداً في فنادق كبيرة جداً في لوس انجلوس قد ذكرت لإغرائه بزيارتها . لم يكن بوسعه الاحساس بها بالرغم من قاعات الرقص فيها . لكنه عرف سيتل جيداً ، وعرف سيارات الأجرة الكبيرة البيضاء (وكل واحدة منها مجهزة بمذياع) والتي ركبها للوصول كل ليلة إلى نزل الطريق الواقع على الجانب الكندي حيث كان يلاحق دورة حفلات المخترارات الموسيقية التي كانوا يطلبون سماعها بالهاتف . كان يعيش في سيتل من الساعة الثانية مساء فصاعداً كل ليلة ، مستمعاً إلى قطع الموسيقى التي كان يطلبها أناس مختلفو المشارب وكانت واقعية كمينياً بولس حيث يترك الساهرون أسرتهم كل صباح للقيام

بالرحلة نحو الاستوديو. لقد بدأ السيد فرايزر يفرم بسيتل في ولاية واشنطن.

* * *

أتى المكسيكيون وأحضروا بيرة لكنها لم تكن جيدة. رآهم السيد فرايزر لكنه لم يحس برغبة في الحديث وخين ذهبوا عرف بأنهم لن يحضروا ثانية. فقد توترت أعصابه ونفر من رؤية الناس وهو على هذه الحال. ساءت أعصابه عند نهاية خمسة أسابيع، وبينما كان يحس بالسرور كان سوء حال أعصابه يستمر طيلة تلك المدة فقد كان ينفر من أن يجبر على اجراء نفس التجربة وهو يعرف النتيجة سلفاً. لقد اجتاز السيد فرايزر حالة كهذه من قبل بأمان. وكان المذيع هو الشيء الجديد الوحيد بالنسبة إليه. كان يستمع إليه طوال الليل، فيخفض صوته إلى درجة أنه كان لا يكاد يسمعه كما كان يتعلم أن يستمع إليه دون تفكير.

* * *

دخلتُ الأخت سيسليا الغرفة في حوالي الساعة العاشرة صباحاً في ذلك اليوم وأحضرتُ البريد. كانت متأنقة جداً، وكان السيد فرايزر يحب أن يراها ويسمعها تتكلم، لكن البريد الذي كان مفروضاً أن يصل من عالم مختلف، كان مهماً.
قالت:

- تبدو أحسن كثيراً. ستغادرننا قريباً.

قال فرايزر:

- نعم. تبدين سعيدة جداً هذا الصباح.

- أوه، نعم. أشعر هذا الصباح كأنني سأصبح قديسة.

أخذ السيد فرايزر على حين غرة بهذا الكلام.

استطردت الأخت سيسليا قائلة:

- نعم. ذلك ما أريد أن أكونه. قديسة. منذ أن كنتُ طفلة صغيرة جداً أردتُ أن أكون قديسة. حين كنتُ فتاة فكرتُ بأنني لو تخلّيت عن العالم ودخلتُ ديراً فإنني سأكون قديسة. ذلك ما أردتُ أن أكونه، وذلك ما فكرتُ بأن لا بد أن أفعله حتى أصبح قديسة. توقعتُ أن أصبح قديسة. كنت متأكدة تماماً من أنني سأصبح قديسة. لقد اعتقدتُ للحظة قصيرة جداً بأنني قديسة. كنتُ سعيدة جداً وبدا الأمر بسيطاً جداً وسهلاً جداً. حين استيقظتُ في الصباح توقعتُ أن أصبح قديسة، لكنني لم أصبح كذلك. لم أصبح قديسة قط. أريد أن أكون قديسة. كل ما أريده هو أن أصبح قديسة. ذلك هو ما أردتُه طيلة حياتي. وفي هذا الصباح، أشعر كأنني سأصبح قديسة. أوه، أمل أن أصبح قديسة.

- ستصبحين قديسة . كل شخص يحقق ما يريد . ذلك ما يذكرونه لي دائماً .
- لا أعرف الآن . حين كنت فتاة بدا الأمر بسيطاً جداً . كنتُ أعرف بأنني سأصبح قديسة . وآمنت فقط بأن ذلك يحتاج إلى وقت حين اكتشفتُ بأنه لم يحدث فجأة .
- يبدو لي الآن بأنه شبه مستحيل .
- أقول بأن لديك فرصة جيدة .
- أترى هذا حقاً؟ لا ، لا أريد أن أتشجع فقط . لا تشجيني فقط . أريد أن أصبح قديسة . أريد أن أصبح قديسة .

قال السيد فرايزر:

- ستصبحين قديسة طبعاً .
- لا ، ربما لن أصبح . لكن ، أوه ، لو أمكنتي فقط أن أصبح قديسة! سأكون سعيدة تماماً .
- لديك فرصة ثلاثة إلى واحد لتصبحي قديسة .
- لا . لا تشجيني . لكن ، أوه لو أمكنتي فقط أن أصبح قديسة! لو أمكنتي فقط أن أصبح قديسة .
- كيف حال صديقك كاييتانو؟
- ستتحسن صحته ، لكنه مشلول . فقد أصابت إحدى الرصاصتين العصب الرئيسي الممتد داخل فخذه وشلّت ، تلك الساق . اكتشفوها فقط حين تحسنت صحته إلى درجة تسمح له بالمشي .
- قد يتجدد العصب .
- قالت الأخت سيسيليا :
- إنني أصلي لكي يحصل ذلك . لا بد أن تراه .
- ليس عندي الرغبة في رؤية أي شخص .
- أنت تعرف بأنك تود أن تراه . يمكنهم جره على العجلات إلى هنا .
- حسناً .

جرّوه إلى الداخل وكان نحيلاً وجلده شفافاً ، وشعره أسود بحاجة إلى قص ، وعيناه تضحكان ، لكن أسنانه كانت سيئة حين يتسم .

- *Hola amigo! Que tal?*

قال السيد فرايزر:

• بالاسبانية في الأصل : مرحباً يا صاح ، كيف حالك؟ .

- كما ترى . وأنت؟ .
- حيّ وبرجل مشلولة .
- قال السيد فرايزر:
- سيء . لكن العصب يمكن أن يتجدد ويصبح قوياً كالحديد .
- هذا ما يقولونه لي .
- ماذا عن الألم؟ .
- ليس الآن . كنتُ مخبولاً من الألم في البطن لمدة قصيرة . ظننتُ بأن الألم وحده سيقتلني .

كانت الأخت سيسليا تراقبهما والسعادة تغمرها .

قال السيد فرايزر:

- قالت لي بأنك لم تصرخ قط .
- قال مستكراً .
- كثير من الآخرين في الجناح لم يصرخوا . ما هي درجة الألم الذي تعاني منه؟ .
- شديد إلى حد كاف . من الواضح أنه ليس شديداً كالمك . حين تخرج الممرضة كنتُ أبكي مدة ساعة أو ساعتين . إن هذا يريحني . إن أعصابي سيئة الآن .
- عندك المذياع . لو كان لديّ غرفة خاصة وجهاز مذياع لبكيتُ وزعقتُ طوال الليل .

- أشك بهذا .

- طبعاً سأفعل هذا . إنه مفيد للصحة جداً . لكنك لا تستطيع أن تفعل هذا والكثير من الناس حولك .

قال السيد فرايزر:

- على الأقل ما زالت يداك سليمتين . أخبروني بأنك تكسب عيشك بيديك .

قال وهو ينقر على جبهته :

- والرأس . غير أن الرأس لا يعادل تينك اليدين .
- حضر ثلاثة من أبناء بلدك إلى هنا .
- أرسلتهم الشرطة ليزوروني .
- جلبوا بعض البيرة .
- من المحتمل أنها كانت سيئة .
- كانت سيئة .
- في هذه الليلة ، أرسلتهم الشرطة ليعزفوا تحت نافذتي .

ضحك، ثم خبط على بطنه :

- لكنني لا أستطيع الضحك بعد. فهم أجل محتوم كموسيقيين.
- والشخص الذي أطلق النار عليك؟
- أبله آخر. ربحتُ منه ثمانية وثلاثين دولاراً بلعب الورق. هذا مبلغ لا يقتل انساناً من أجله.
- أخبرني الثلاثة بأنك كسبت الكثير من النقود.
- وأنا أفقر من الطيور.
- كيف؟

قال :

- أنا مثالي مسكين. وأنا ضحية أوهام.
- ضحك، ثم كثر وخبط معدته :
- أنا مقامر محترف لكنني أحب أن أقامر. أن أقامر حقاً. قليل من المقامرة عمل ملتوكله. فأنت تحتاج إلى الحظ لتقامر مقامرة حققة. ليس لدي حظ.
- إطلاقاً؟

- إطلاقاً. فأنا بلا حظ تماماً. اسمع، ذلك الشخص الذي أطلق علي النار. هل يستطيع إطلاق النار؟ لا. أول طلقة أطلقها لم تُصب شيئاً. والثانية اعترضتُ الروسي المسكين. كان ذلك سيبدو حظاً حسناً. ماذا حدث؟ أصابني مرتين في البطن. إنه رجل محظوظ. وأنا ليس لدي حظ. لم يكن ليستطيع إصابة حصان حتى وإن كان ممسكاً بركابه. كل ذلك حظ.
- ظننتُ بأنه أصابك أولاً ثم أصاب الروسي بعد ذلك.
- لا، أصاب الروسي أولاً، ثم أنا بعده. لقد أخطأت الجريدة.
- لم تطلق عليه النار؟

- أنا لا أحمل مسدساً إطلاقاً. لو حملتُ مسدساً فإنني، مع حظي السيء، شأشقتُ عشر مرات في السنة. أنا لاعب ورق رخيص، ذلك هو أنا فقط.
- كفّ عن الكلام ثم تابع قائلاً :

- عندما أكسب بعض المال أقامر وعندما أقامر أخسر. انكسبتُ في دوريكسب ثلاثة آلاف دولار ودخلت في دوريكسب ستة دولارات. والنرد لصالحني. وذلك أكثر من مرة.

- لماذا تستمر في اللعب؟

- إذا عشتُ بما فيه الكفاية فإن الحظ سيتغير. لقد لازمني سوء الحظ مدة خمس

عشرة سنة حتى الآن . لو حالفني الحظ مرة فإنني سأصبح غنياً جداً .
وكشّر قائلاً:

- أنا مقامر ماهر، سأستمتع حقاً لو أصبحتُ غنياً .
- هل يسوء حظك في كل دورات اللعب؟ .
- مع كل شيء ومع النساء .
- وابتسم ثانية مظهراً أسنانه السيئة:
- حقاً؟ .
- حقاً .
- وماذا هناك لتفعله .
- الاستمرار، ببطء، وانتظار الحظ ليتغير .
- لكن، مع النساء؟ .
- ليس من مقامر محظوظ مع النساء . إنه كثير التركيز . إنه يعمل ليلاً . حين يجب أن يكون مع المرأة . لا يمكن لرجل يعمل ليلاً أن يتمسك بامرأة لها أية قيمة .
- أنتَ فيلسوف .
- لا، أيها السيد . أنا مقامر مدن صغيرة . مدينة صغيرة ثم مدينة أخرى وأخرى ثم مدينة كبيرة ثم عوداً على بدء .
- ثم طلقة في البطن!
- قال:
- لأول مرة . حدث هذا مرة واحدة فقط .
- قال السيد فرايزر:
- أتعبك بالحديث؟ .
- قال:
- لا . لا بد أنني أتعبك .
- وساقك؟ .
- ليس لي كبير نفع من هذه الساق . فأنا بخير بساق أوبلا ساق . سأكون قادراً على توزيع الورق .
- قال السيد فرايزر:
- أتمنى لك حظاً سعيداً فعلاً، ومن كل قلبي .
- قال:
- نفس الحظ لك، وأن يزول ألمك .

- لن يستمر بالتأكيد . إنه يزول . إنه ليس بذى أهمية .

- ليزول بسرعة .

- والمك كذلك .

* * *

وفي تلك الليلة ، عزف المكسيكيون على الأكورديون وآلات موسيقية أخرى في الجناح وكان العزف مرحاً ووصل ضجيج شهيق وزفير الأكورديون والأجراس وآلات النقر والطبل إلى ممر الجناح . وكان في ذلك الجناح لاعب روديو* حضر إلى المستشفى مكسور الظهر في منتصف الليل بعد أن سقط سقطه عنيفة بعد ظهر يوم حار مترب تحت أنظار جمهور غفير ، وكان سيتعلم العمل في صناعة الجلود وتركيب عصي الخيزران للكراسي حين تتحسن صحته ويغادر المستشفى . وكان هناك نجار سقط عن السقالات وكسر كلا كاحليه وكلا معصميه . لقد هبط مثل هرلكن دون مرونته . كان يمكنهم تجبيره بالكامل حتى يستطيع أن يعمل ثانية ، لكن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً . وكان هناك صبي من مزرعة في حوالي السادسة عشرة من عمره ، برجل مكسورة جُبرت تجبيراً سيئاً وكان سيعاد كسرهما . وكان هناك كاييتانو رويز ، وهو مقامر مدن صغير برجل مشلولة . وكان بوسع السيد فرايزر أن يسمعهم كلهم من الممر وهم يضحكون ويمرحون مع الموسيقى التي يعزفها المكسيكيون الذين أرسلتهم الشرطة ، كان المكسيكيون يتمتعون بوقتهم . فقد دخلوا الغرفة وهم منفعلون جداً ليروا السيد فرايزر وقد كانوا يريدون أن يعرفوا إن كان ثمة أي لحن يريدون أن يعزفوه ، كما حضروا طوعاً مرتين آخرين ليعزفوا ليلاً .

وكان السيد فرايزر حين عزفوا لآخر مرة مستلقياً في غرفته والباب مفتوح ، فأصغى إلى الموسيقى الضّاجحة السيئة ، كما لم يستطع منع نفسه من الكف عن التفكير . فحين أرادوا أن يعرفوا ما رغب في أن يعزفوه له ، طلب منهم عزف قطعة «كوكاراتشا» التي كانت لها خفة ورشاقة شريرتين كتلكما اللتين لكثير من النغمات التي يتحرق الناس شوقاً لسماعها . عزفوا بصخب وعاطفية . وكان اللحن بالنسبة إلى عقل السيد فرايزر أفضل من أغلب الألحان المشابهة له ، إلا أن تأثيره كله كان نفس التأثير .

وبالرغم من عرض هذه العاطفية ، استمر السيد فرايزر في التفكير . كان في العادة يتجنب التفكير كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، إلا حينما كان يكتب ، لكنه كان يفكر الآن بأولئك الذين يعزفون وبما كان قد قاله الرجل الضئيل .

* روديو Rodeo مباراة عرض براعة تجري بين رعاة البقر . (المورد) .

الدين أفيون الشعوب . لقد آمن ذلك الحارس المصاب بعسر الهضم بذلك . نعم ، والموسيقى أفيون الشعوب . لم يفكر العجوز الذي يصعد إلى الرأس بذلك . والآن ، الاقتصاد أفيون الشعوب . جنباً إلى جنب مع الوطنية التي هي أفيون الشعوب في ايطاليا والمانيا . ماذا عن الجماع الجنسي ، هل كان ذلك أفيون الشعوب؟ لبعض الشعوب طبعاً . لبعض أفضل الشعوب . لكن الشراب هو أفيون شعوب مطلق ، أوه ، أفيون رائع . مع أن البعض يفضل جهاز المذياع ، أفيون شعوب آخر ، أفيون رخيص يستعمله هو في هذه اللحظة تماماً . ومع هذه الأشياء تدرج المقامرة ، كأفيون شعوب ، إن كان هناك أي أفيون ، وواحد من أقدم الأفيين . والطموح كان أفيوناً آخر ، أفيون شعوب ، مع الايمان بأي شكل جديد لحكومة من الحكومات . ما أدركته هو حد أدنى من الحكومة ، حكومة أقل دائماً . والحرية التي آمن بها ، أصبحت الآن اسم منشورات ماك فادين . متنا بذلك مع أنهم لم يكتشفوا اسماً جديداً لها إلى حد الآن . لكن ، ما هو الأفيون الحقيقي؟ ما الذي كان أفيون الشعوب الحقيقي ، الفعلي؟ إنه يعرفه تماماً . لقد اختفى الآن تماماً ، قاطعاً مسافة قصيرة حول الركن في ذلك الجزء الجيد الاضاءة من عقله والذي كان هناك بعد شرب كأسين أو أكثر من الشراب في المساء ، الذي يعرف بأنه كان هناك (لم يكن هناك بالفعل طبعاً) . ما الذي كانه؟ كان يعرف تماماً . ما الذي كانه؟ الخبز كان أفيون الشعوب طبعاً . هل سيتذكر ذلك وهل سيؤدي إلى معنى في وضح النهار؟ الخبز أفيون الشعوب .

قال السيد فرايزر للممرضة حين حضرت :

- اسمعي . أدخلني ذلك المكسيكي النحيل إلى هنا هل تسمحين؟ .

قال المكسيكي عند باب الغرفة :

- هل أعجبك العزف؟ .

- كثيراً جداً .

قال المكسيكي :

- إنه لحن تاريخي . إنه لحن الثورة الحقيقية .

قال السيد فرايزر :

- اسمع . لماذا لا بد أن تُجري العمليات الجراحية على الشعوب بلا مخدر؟ .

- لا أفهم .

- لِمَ لا تكون كل أفيين الشعوب جيدة؟ ما الذي تريد أن تفعله بالشعوب؟ .

- يجب إنقاذهم من الجهل .

- لا تتكلم هراء . التعليم أفيون شعوب . لا بد أن تعرف ذلك . فلديك القليل .
- أنت لا تؤمن بالتعليم؟ .
- قال السيد فرايزر:
- لا . بالمعرفة ، نعم .
- أنا لا أتابعك .
- أنا لا أتابع نفسي بسرور في أحيان كثيرة .
- سأل المكسيكي بقلق :
- تريد سماع معزوفة الـ «كوكاراتشا» مرة أخرى؟ .
- قال السيد فرايزر:
- نعم . أعزف الـ «كوكاراتشا» مرة أخرى . إنها أفضل من المذياع .
- فكر فرايزر: الثورة ليست أفيوناً ، الثورة تطهير ، نشوة ، يمكن إبطالها فقط بالطغيان . الأفايين هي لما قبل ولما بعد . كان يفكر تفكيراً حسناً ، تفكيراً حسناً جداً إلى حد ما .
- فكر: سيذهبون بعد وهلة وسيأخذون معهم الـ «كوكاراتشا» . ثم سيلقي نظرة سريعة على القاتل العملاق ، ويشغل المذياع ، يمكنك تشغيل المذياع بصوت خافت جداً إلى درجة أنك لا تكاد تستطيع أن تسمع إلا بصعوبة .

آباء وأبناء

كانت هناك علامة تحويلة في وسط شارع هذه المدينة الصغيرة الرئيسي، لكن الواضح أن السيارات اجتازت الطريق ظناً منها أنه كان تحت بعض التصليح واستكمل، وتابع نيكولاس آدمز قيادة سيارته عبر المدينة في الشارع الخاوي المرصوف بالطوب حتى أوقفته أضواء المرور المومضة مضيئة ومنطفئة في يوم الأحد هذا الخالي من حركة المرور، والتي ستزال في السنة القادمة حين لا تسدُّ الدفعات على الجهاز، وتابع السير تحت أشجار المدينة الصغيرة الكثيفة التي هي جزء من قلبك إن كانت المدينة مدينتك ومثيت تحت هذه الأشجار، لكن هذه الأشجار كانت، بالنسبة إلى غريب عن المدينة، كثيفة جداً حتى أنها تحجب الشمس وترطب البيوت، وتابع السير مبتعداً عن آخر بيت واندفع على الطريق العام الذي أخذ يعلو وينخفض باستقامة إلى الأمام وقد أحاط به طين أحمر شق شقاً دقيقاً إلى الأيام وأشجار حديثة النمو على أشجار قديمة من كلا الجانبين. لم تكن المنطقة موطنه، لكن الوقت كان في منتصف الخريف فكانت كل هذه المنطقة الريفية صالحة لقيادة السيارة خلالها ومشاهدتها. كان القطن قد جُني بينما كانت ثمة بقع ذرة في الأراضي المكشوفة، وكان بعضها قد قُطع مخلقاً آثار ذرة السيرغوم الحمراء كما لاحظ نيك وهو يقود سيارته يسروا بنام على المقعد إلى جانبه، بسبب سفرهما طيلة النهار، عارفاً المدينة التي سيصل إليها لقضاء الليل، الحقول التي ينمو فيها فول الصويا أو البازلاء، وكيف كانت الأجمات والأرض مجنية المحاصيل تمتد، وأين كانت الأكواخ والبيوت بالنسبة إلى الحقول والأجمات، متجولاً في الريف في ذهنه وهو يمر به، قائساً كل أرض مكشوفة ليضع الطعم ويختبئ محمداً أين تجد سرب طيور وأي طريق ستطير فيه هذه الطيور.

فانت لا بد أن تكون بين السُمان ومخباها المعتاد حين تصطادها، فهي ستندفع نحوك، حين تكتشفها الكلاب أو حين ترفرف هي بأجنحتها، فيرتفع بعضها طائراً عالياً ويسف بعضها قرب أذنيك، آزة في حجم لم ترها عليه في الهواء من قبل وهي تمر بك، فيكون التصرف الوحيد أمامك هو أن تستدير وتلقاها وهي تبتعد قبل أن تعد أجنحتها وتندفع إلى داخل الأجمة مكوّنة زاوية أثناء طيرانها. وفيما كان نيكولاس آدمز يجول في هذه المنطقة الريفية بحثاً عن طيور السُمان كما علمه أبوه، أخذ يفكر بأبيه. حين بدأ يفكر بأبيه، كانت عينا أبيه أول ما فكر فيهما. فانت لا

تفكر أبداً بهيكلة الضخم ولا بحركاته السريعة ولا بكتفيه العريضين ولا بأنفه الأقيى الصقري ولا بلحيته التي تغطي الذقن الضعيفة . . أنت تفكر دائماً بعينيه . كانتا محميتين في رأسه بتشكيل الحاجبين ، وكانتا مستقرتين على عمق كبير كأنه كان حماية خاصة أُستنبط من أجل جهاز بالغ القيمة . إنهما تريان من مسافة طويلة ويأسرع مما تستطيع العين البشرية أن ترى وكانتا أعظم هبة لدى والده . كان أبوه يرى كما يرى كبش كبير القرنين كصقر تماماً .

حين كان يقف مع أبيه على أحد شواطئ البحيرة ، وكانت عيناه قويتان جداً حينئذ ، كان أبوه يقول : « طارت فوق العَلم » . لم يكن نيك يرى العلم على عموده . وكان والده يقول : « ها هي اختك دوروثي ، لقد رفعت العلم وهي تسيير على الرصيف » .

كان نيك ينظر عبر البحيرة ويرى خط الشاطئ الطويل المكسوبالغابة ، والأشجار العالية خلفه ، ولسان البر الذي يحمي الخليج ، وتلال المزرعة المكشوفة ، وبياض كوخهم بين الأشجار ، لكنه لم يكن بوسعه أن يرى عمود العلم ، أو أي رصيف ، كان يرى فقط بياض الشاطئ ومنحنى الشاطئ .
- أترى الغنم على سفح التل نحو لسان البر؟ .

- نعم .

كانت بقعة مبيضة قليلاً على خضرة التل الرمادية .

قال أبوه :

- أستطيع أن أَعدها .

كان أبوه عصبياً جداً ككل الرجال الذين يتمتعون بقدرة تفوق الحاجات البشرية . وكان عاطفياً أيضاً ، وقاسياً ومتعسفاً ككل العاطفيين . كما كان يعاني من سوء الطالع كثيراً ، كما لم يكن ذلك ناتج عن خطة . فقد مات في فح ساعد هونفسه قليلاً في نصبه ، وكان الجميع قد خانوه بطرقهم المختلفة قبل أن يموت . فالعاطفيون يُخانون مرات عديدة . لم يتمكن نيك من الكتابة عنه إلى حد الآن ، مع أنه سيفعل هذا فيما بعد ، لكن رفيف طيور سُمّان الريف جعلته يتذكره كما كان حين كان نيك صبيّاً وكان الامتحان له لأمرين اثنين : صيد السمك والرماية . كان أبوه قديراً في هذين المجالين قدر عدم قدرته في الجنس ، مثلاً ، وكان نيك سعيداً لأن الأمر سار على ذلك النحو ، فلا بد أن يعطيك شخص ما بندقيتك الأولى أو الفرصة للحصول عليها واستعمالها ، كما لا بد أن تعيش حيث تكون طرائد أو أسماك إن كان لا بد أن تتعلم عنها ، وما هو الآن وقد بلغ الثامنة والثلاثين وهو يحب

صيد الأسماك وصيد الحيوانات تماماً كما أحبها حين خرج مع والده لأول مرة. كانت عاطفة لم تضعف إطلاقاً وكان عظيم الامتنان لوالده لأنه انشأه على معرفتها. أما الأمر الآخر الذي لم يكن والده قديراً فيه، فأنت مزوداً بكل المعدات التي ستكون لديك في حياتك كما أن كل رجل يتعلم كل ما يتحتم عليه معرفته عنه بلا أية فضيحة: ولا يشكل المكان الذي تعيش فيه أي فرق. تذكر بوضوح تام المعلوماتين اللتين قدمهما له أبوه حول ذلك الموضوع ففي أحد الأيام وحينما كانا يصطادان معاً، أطلق نيك النار على سنجاب أحمر وهو على شجرة شوكران. فسقط السنجاب جريحاً، لكنه عضه في ضرة إبهامه حين أمسك به نيك.

قال نيك:

- اللوطي الصغير القذر.

وضرب برأس السنجاب على الشجرة وهز يقول:

- أنظر كيف عضني.

نظر أبوه وقال:

- مصه ونظفه وضع عليه بعض اليود حين نصل إلى البيت.

قال نيك:

- اللوطي الصغير.

سأله أبوه:

- أتعرف ما تعني كلمة لوطي؟

قال نيك:

- إننا ندعو أي شيء باللوطي.

- اللوطي هو الذي يعاشر الحيوانات جنسياً*.

قال نيك:

- لماذا؟

قال أبوه:

- لا أعرف لكنها جريمة بشعة.

أشار هذا خيال نيك وأرعبه وفكر بحيوانات مختلفة لكن، لم يبذ أي حيوان منها جذاباً أو عملياً وكان ذلك كل ما أورثه أبوه له من معرفة جنسية مباشرة ما عدا موضوع آخر. ففي صباح أحد الأيام قرأ في جريدة بأن انريكو كاروزو قبض عليه على القاريء أن يلاحظ أن المعلومات التي قدمها أبوه له خاطئة في هذه النقطة والنقطة التالية الخاصة بالمعنى كاروزو. (المترجم).

وهو يهرس .

- ما هو الهرس؟

أجابه أبوه:

- واحدة من أبشع الجرائم!

صوّر خيال نيك المغنيّ صاحب الصوت التينور* العظيم يمارس شيئاً غريباً، ومستهنجناً وشنيعاً بمهراس بطاطا مع سيدة جميلة شبيهة بصور آنا هيلد داخل صناديق السيجار. فقرر، وهو يحسّ بالرعب، أنه سيحاول الهرس لمرة واحدة على الأقل حين يكبر إلى حد كاف.

وقد لخص أبوه الموضوع برمته بقوله أن العادة السرية تؤدي إلى العمى والجنون والموت، بينما يُصاب الرجل الذي يخرج مع المومسات بأمراض تناسلية بشعة وأن ما لا بد أن تفعله هو أن تنفض يديك من الناس كلهم. ومن جهة أخرى، كان لأبيه أجمل عينين رأهما في حياته، وقد أحبه نيك حباً عظيماً ولمدة طويلة. والآن وبعد أن عرف كيف كانت الأمور، وحتى بعد أن تذكر الأيام السالفة، وقبل أن تسوء الأمور لم يكن ما تذكره جيداً. لو كتب عنها لتخلص منها. فقد تخلص من أمور كثيرة بالكتابة عنها. لكن الوقت كان ما زال مبكراً لذلك. لا يزال هناك الكثير جداً من الناس. لذلك قرّر أن يفكر في شيء آخر. لم يكن هناك ما يفعله بخصوص أبيه وفكر بهذا في كثير من الأوقات. لم ينطمس في ذهنه العمل الرائع الذي فعله متعهد الدفن على وجه أبيه، بينما كان كل ما بقي منه واضحاً تماماً، بما في هذا المسؤ وليات. لقد حياً متعهد الدفن. وكان المتعهد فخوراً ومسوراً تماماً. لكن، لم يكن المتعهد هو الذي كان قد أعطاه ذلك الوجه الأخير. لقد قام المتعهد فقط ببعض إصلاحات معينة مُنفذة بتهور وذات ميزة فنية مشكوك فيها. فقد كان الوجه يصنع نفسه وقد صنع نفسه لمدة طويلة. فقد تشكّل على نحو لا يتغير خلال السنين الثلاث الأخيرة. لقد كانت قصة جيدة إلا أن ثمة الكثير جداً من الناس الأحياء الذين لا بد أن يكتب عنهم أولاً مما يجعله يؤجل الكتابة عن هذه القصة. لقد اكتسب نيك ثقافته الخاصة في تلك الأمور المبكرة في غابات الشوكران خلف مخيم الهنود. وكان يوصل إليه ممريجيري من الكوخ خلال الغابة إلى المزرعة وبعد ذلك يلف طريق حول السبخات إلى المخيم. ياليت يستطيع الآن تحسس ذلك الممر كله بقدمين حافيتين. فهناك أولاً طين أبر الصنوبر في غابة الشوكران خلف الكوخ حيث تفتت قطع الأخشاب الساقطة إلى غبار خشب وتدلّت

* tenor درجة من درجات الصوت بين مغني الأوبرا من الرجال وهو أعلى أصوات الرجال.

قطع الخشب المشظاة كرماح أصابها البرق. لقد عبرت الخليج الصغير على زند خشب ولو أنك خطوت مبتعداً لكان هناك ركام قذارة المستنقع السوداء. وتسلفت سياجاً خارجاً من الغابة فكان الممر صلباً تحت الشمس عبر الحقل المغطى بالعشب المقطوع ونبات حمّاض الغنم وأذان الدب النامي وإلى اليسار يقع مستنقع قاع الخليج اللزج حيث يتغذى طير السقاسق الأمريكي. وكان بيت الربيع يقع في ذلك الخليج. كما كان تحت الحظيرة سماء طازج دافئ، بينما كان السمامد الآخر القديم قد شوي وجفّت قمته. وكان ثمة سياج آخر والممر الصلب الحار من الحظيرة حتى البيت، والطريق الرملي الساخن الجاري هبوطاً إلى الغابة، عابراً الخليج، وعلى جسر هذه المرة، حيث كانت تنمو عشبة البرك التي كنت تغمرها بالكيروسين لتصنع منها مشاعل لجذب السمك ليلاً.

ثم يتفرع الطريق الرئيسي إلى اليسار، سائراً بمحاذاة الغابة متسلقاً التل بينما تدخل أنت في الغابة على الطين الصلصالي الواسع وطريق الطين الصفحي، ندياً تحت الأشجار. وقد وسّع عرضه ليزلقوا عليه لحاء شجر الشوكران الذي يقطعه الهنود. كان لحاء الشوكران مكوماً في صفوف من أكداس طويلة، مسقوفة بكثير من اللحاء، كالبيوت، بينما زنود الخشب المقشورة ملقاة في أكوام ضخمة وصفراء حيث كانت الأشجار قد قطعت. لقد تركوا الزنود تتعفن في الغابة، وهم حتى لم يزيلوها من المنطقة ولا حرقوا قممها. لقد كان اللحاء هو ما كانوا يريدونه للدباغة في مدينة بوين، حاملين إياه عبر البحيرة على الثلج في الشتاء، فصارت الغابة تنقص أكثر فأكثر كل سنة كما زادت مساحة السبخات المكشوفة الحارة عديمة الظلال والمكسوة بالأعشاب.

لكن، بقيت غابات كثيرة، غابات عذراء حيث الأشجار تنمو عالية قبل أن تكون لها أية فروع وسرت على الأرض السمراء التنظيفة المليئة بالأبر الربيعية الخالية من أية أشجار صغيرة وكانت باردة حتى في أشد الأيام حرارة، وهناك تتمدّد ثلاثتهم متكئين على جذع شجرة شوكران أعرض من سريرين والنسيم يهب عالياً على القمم والضوء الندي يصل إليهم كبقع، وقال بيلى:

- تريد ترودى ثانية؟

- تريدين؟

- أوه هوه.

- لنذهب.

- لا، هنا.

- لكن بيلى . .
- لا يهمني بيلى . هو أخي .



بعدئذ، جلسوا ثلاثتهم مصيحي السمع ليحددوا مكان سنجاب أسود في الفروع العلوية حيث لا يمكنهم أن يروه . كانوا ينتظرون أن ينبح ثانية لأنه حين ينبح يهز ذيله فيطلق نيك النار إلى حيث يرى أية حركة . كان أبوه يعطيه ثلاثة خراطيش فقط في اليوم ليصطاد بها، وكانت لديه بندقية بماسورة واحدة طويلة جداً من عيار عشرين .

قال بيلى :

- ابن الكلبة لا يتحرك .

قالت ترودي :

- أطلق النارية نيكي ، أخفّه . نراه يقفز . ثم أطلق النار عليه ثانية . كان كلاماً طويلاً بالنسبة إليها .

قال نيك :

- لدي طلقتان فقط .

قال بيلى :

- ابن الكلبة .

جلسوا ثانية متكئين على الشجرة وهم هادئون . كان نيك يشعر بالخواء والسعادة .

- يقول إيدي بأنه سيحضر في إحدى الليالي لينام مع أختك دوروثي .

- ماذا؟

- هو قال .

هزت ترودي رأسها .

قالت :

- ذلك كل ما يريد فعله .

كان إيدي أخواها الأكبر غير الشقيق . كان في السابعة عشرة .

- لو أتى إيدي جيلي في أي وقت لسلّ وحتى ليتكلم فقط مع دوروثي ، فأنبت تعرفين ما سأفعله به . سأقتله على هذا النحو .

أعدّ نيك البندقية ثم جَدَّب الزناد وهو لا يكاد يصبّوب البندقية ، مفجراً حفرة كبيرة بحجم يدك في رأس أوبطن إيدي جيلي المهجّن ابن الحرام .

- كذلك . سأقتله كذلك .
- قالت ترودي :
- يحسن ألا يأتي إذن .
- ووضعت يدها في جيب نيك .
- قال بيلي :
- يحسن أن يأخذ حذره .
- إنه مخادع كبير .
- كانت ترودي تبحث بيدها في جيب نيك .
- لكن ، لا تقتله . ستثير كثيراً من المتاعب .
- قال نيك :
- سأقتله على ذلك النحو .
- تمدد إيدي جيلي على الأرض وقد اخترقت صدره كله الرصاصات . وضع نيك قدمه عليه بفخر .
- قال بسعادة :
- سأسلخ فروة رأسه .
- قالت ترودي :
- لا ، ذلك قدر .
- سأسلخ فروة رأسه وأرسلها لأمه .
- قالت ترودي :
- أمه ميتة . لا تقتله ، يا نيكى . لا تقتله من أجلى .
- بعد أن أسلخ فروة رأسه سأرمي بها إلى الكلاب .
- كان بيلي مغتماً جداً وقال بكآبة :
- يحسن أن يأخذ حذره .
- قال نيك :
- ستمزقه الكلاب ارباً ارباً .
- وقد أشاعت الصورة السرور في نفسه . ثم ، وبعد أن سلخ فروة رأس ذلك المرتد المهجن ، وقف مراقباً الكلاب تمزقه دون أن يطرأ على وجهه أي تغيير ، وسقط إلى الخلف واتكأ على الشجرة ، وقد أمسكت ترودي برقبتة بشدة ، وهي تكاد تخنقه صائحة : « لا . تقتله ! لا تقتله ! لا . لا . نيكى . نيكى . نيكى » .
- ما بك ؟ .

- لا تقتله .
- لا بد أن أقتله .
- ما هو إلا مخادع كبير .
- قال نيكي :
- حسناً، لن أقتله إلا إذا حام حول البيت . أتركيني .
- قالت ترودي :
- ذلك حسن . أتريد فعل أي شيء الآن؟ أحس بأنني في حالة جيدة .
- إذا ابتعد بيلى من هنا .
- لقد قتل نيك إيدي جيلبي ، ثم صفح عنه وأبقى على حياته ، فأصبح الآن رجلاً .
- إذهب يا بيلى . أنت تتسكع طيلة الوقت . إذهب .
- قال بيلى :
- ابن الكلية . لقد تعبت . لماذا جئنا؟ نصطاد أم ماذا؟ .
- يمكنك أخذ البندقية . فيها طلقة واحدة .
- حسناً . لدي بندقية كبيرة سوداء حقاً .
- قال نيك :
- سأصرخ .

* * *

- وفيما بعد ، كان قد مر وقت طويل ظل بيلى خلاله بعيداً .
- أتعقد بأننا سنتجب طفلاً؟ .
- طوت ترودي ساقيها السمراروين بسعادة وتمسحت به . ابتعد شيء داخل نيك منفصلاً بعيداً عنه .
- قال :
- لا أظن هذا .
- نتجب الكثير من الأطفال ، ما الجحيم في هذا .
- سمعا بيلى يطلق النار .
- اتساءل إن كان قد اصطاد شيئاً .
- قالت ترودي :
- لا تُلَق بالآ .
- أتى بيلى من بين الأشجار . كانت البندقية على كتفه وكان يحمل سنجاباً

أسود من قائمتيه الأماميتين .

قال :

- أنظر . إنه أكبر من قطة . انتهيتما؟ .

- أين لقيته؟ .

- هناك . رأيته يقفز أولاً .

قال نيك :

- لا بد أن نعود إلى البيت .

قالت ترودي :

- لا .

- لا بد أن أذهب إلى البيت للغشاء .

- حسناً .

- أتريد أن تصطاد غداً؟ .

- نعم .

- يمكنك أخذ السنجاب! .

- حسناً .

- تخرج بعد العشاء؟ .

- لا .

- كيف حالك؟ .

- حسن .

- حسناً .

قالت ترودي :

- أعطني قبلة على وجهك .

الآن ، وبينما كان نيك راكباً السيارة على الطريق العام والظلام يخيم ، انتهى نيك من التفكير في أبيه . نهاية النهار لا تجعله يفكر به إطلاقاً . نهاية النهار دائماً تعود إلى نيك وحده وهو لا يحس بأنه على ما يرام قط إلا حين يكون وحيداً في نهاية النهار . كان والده يعود إليه في خريف السنة ، أو في بداية الربيع حين تنتشر طيور الشنقب الصغيرة في البراري ، أو حين يرى أكوام الذرة ، أو حين يرى بحيرة ، أو إذا رأى حصاناً وعربة ، أو حين يرى أو يسمع الأوز البري ، أو في مخبأ بط ، متذكراً الوقت الذي يسقط فيه صقر خلال الثلج المدوم لضرب شرك مغطى بقماش القنب ، مرتفعاً وأجنحته تخفق ، وقد علق مخبله بالقنب . وكان أبوه معه فجأة في البساتين

المهجورة والحقول حديثة الحرث، وفي الأجمات، على تلال صغيرة أوحين يسير عبر العشب انميت، حينما يقطع الخشب أو ينقل الماء قرب طواحين الحنطة وطواحين التفاح والسدود مع إشعال النيران في الهواء الطلق دائماً. والمدن التي عاش فيها لم تكن مدناً يعرفها أبوه. فبعد أن بلغ السابعة عشرة من عمره لم يشاركه في أي شيء.

كان الصقيع يتجمع في لحية أبيه في البرد ويعرق بغزارة في الحر. كان أبوه يحب العمل تحت الشمس في المزرعة لأنه لم يكن مضطراً إلى ذلك كما كان يحب العمل اليدوي، والذي لم يكن نيك يحبه. لقد أحب نيك أباه، لكنه كان يكره رائحته، وحين اضطر إلى أن يرتدي ملابس أبيه الداخلية التي ضاقت على أبيه، أثارت فيه الغثيان فخلعهما ووضعها تحت حجرين في الخليج وأدعى بأنه فقدها. لقد أخبر أباه بشعوره نحوها حين أجبره على ارتدائها، لكن والده أخبره بأنها عُسلت حديثاً. قد كانت كذلك. وحين طلب من أبيه أن يشمها، نشقها أبوه بحق وقال بأنها نظيفة ونقية. وحين عاد نيك من صيد الأسماك بدونها وقال بأنه فقدها ضرب بالسوط لأنه كذب.

وجلس بعدئذ داخل سقيفة الخشب وبابها مفتوح، وبنديته محشوة ومعدّة لإطلاق النار، ناظراً من هناك إلى أبيه الذي كان يجلس في شرفة مدخل البيت يقرأ الجريدة وفكر: «أستطيع تفجيرها إلى الجحيم. أستطيع قتله». أحس أخيراً بأن غضبه ينفثه ثم أحس بغثيان طفيف من البندقية التي أعطاها له أبوه. وبعدئذ، ذهب إلى المخيم الهندي، سائراً في الظلام ليتخلص من الرائحة. كان ثمة شخص واحد في عائلته يحب رائحته، إحدى أخواته. لكنه كان يتجنب كل اتصال بكل الآخرين. لقد تبدد ذلك الاحساس حين أخذ يدخن. إنها حاسة جيدة. إنها جيدة لكلب سلوقي لكنها لا تفيد الإنسان.

- كيف كان الحال يا أبي حينما كنتُ ولداً صغيراً وأخذت تصيد مع الهنود؟
- لا أعرف.

أجفل نيك. لم يكن قد لاحظ بأن الولد كان مستيقظاً. نظر إليه وهو يجلس إلى جانبه على المقعد. لقد أحس بأنه وحيد تماماً مع أن هذا الولد كان معه. تساءل: كم مضي من الوقت؟ قال:

- اعتدنا قضاء طيلة النهار ونحن نصطاد سناجب سوداء. وكان والدي يعطيني كل يوم ثلاث طلقات فقط لأنه قال بأن ذلك سيعلمني الصيد جيداً وبأن من السوء أن ينتقل الصبي من مكان إلى آخر مطلقاً النار طيلة الوقت. كنت أخرج مع ولد يدعى

بيلي جيلبي وأخته ترودي . وقد اعتدنا الخروج كل يوم تقريباً في صيف واحد .
- تلك أسماء مضحكة للهنود .

قال نيك :

- نعم ، أليست هي كذلك ؟ .
- لكن ، قل لي ، كيف كان شكلهم ؟ .

قال نيك :

- كانوا من قبيلة أجيب ويز . وكانوا لطفاء جداً .
- لكن ، كيف كانت صحبتهم ؟ .

قال نيك آدمز :

- من الصعب ذكر هذا .

أبوسعك أن تقول بأنها فعلت ما لم تفعله أية إنسانة أخرى وعلى نحو أفضل
ولأول مرة وبأن تذكر ساقبها السمرالوين الريانين ، وبطنها المنبسط ، ونهديها
الصلبين الصغيرين ، وذراعيها المتمسكين جيداً ، ولسانها الباحث بسرعة ، وعينيها
المنبسطتين ، وطعم فمها الطيب ، ثم غير المريح ، والمحكم ، والحلو ، والرطب ،
والجميل ، والمتشدد ، والموجع والمليء ، والأخير ، واللامتهي ، واللامتهي أبداً ،
واللاواصل إلى النهاية أبداً ، والمنتهي فجأة ، والطارث العظيم الذي يطير كبومة في
الشفق ، وفي نور النهار فقط في الغابة وقد التصقت إبر الشوكران ببطنك . فحين
تذهب إلى حيث كان يعيش الهنود فانت تشمهم وقد رحلوا فلا لا تزيل كل قناني
قاتلة الألم الفارغة ولا الذباب الأزرائح العشب المحلوه ، ولا رائحة الدخان ولا
الروائح الأخرى الشبيهة بجلد طائر سنونو محط منذ وقت قصير . ولن تزيلها أية
نكات عنهم كما لن تأخذ الهنديات العجائز تلك الرائحة بعيداً معهن . ولا الرائحة
الزكية المثيرة للغشيان التي تنبعث منهن . ولا ما فعلته أخيراً . لم يكن الأمر كيف
انتهوا . لقد انتهوا كلهم على نفس النحو . منذ مدة طويلة على نحو جيد . وأصبح
الآن غير جيد .

وعن الشيء الآخر ، فحين تطلق النار على طير طائر فإنك تطلق النار على كل
الطيور الطائرة . فهي كلها مختلفة وتطير بطرق مختلفة لكن الاحساس واحد والطارث
الأخير رائع كأول . بوسعه شكر أبيه على هذا .

قال نيك للولد :

- قد لا تحبهم . لكنني أعتقد بأنك ستحبهم .
- عاش جدي معهم حين كان صبيّاً أيضاً ، أليس كذلك ؟ .

- نعم . حين سألته كيف كانوا ، قال بأنه كان له أصدقاء كثيرين من بينهم .
- هل سأعيش معهم ؟ .
- قال نيك :
- لا أعرف . هذا يعود إليك .
- كم سيكون عمري حين أحصل على بندقية واستطيع أن أصيد وحدي ؟ .
- في سن الثانية عشرة إن رأيتُ بأنك حَدير .
- أتمنى لو كنتُ في الثانية عشرة الآن .
- ستكون كذلك قريباً .
- كيف كان جدي ؟ لا أستطيع تذكره ، أذكر فقط بأنه أعطاني بندقية هواء وعلماً أمريكياً حين حضرتُ من فرنسا في ذلك الوقت . كيف كان يبدو ؟ .
- من الصعب وصفه . كان صياداً عظيماً وصائد سمك عظيماً وكانت له عينان رائعتين .
- هل كان أعظم منك ؟ .
- كان أفضل مني كثيراً بالرماية وكان أبوه رامي جناح عظيماً أيضاً .
- أنا متأكد من أنه لم يكن أعظم منك .
- أوه . نعم ، كان أفضل مني . كان يطلق النار بسرعة وروعة . أفضل أن أراه وهو يطلق النار على أن أرى أي رجل آخر عرفته من قبل . كان دائماً محبباً جداً من طريقة إطلاقه النار .
- لِمَ لا نذهب للصلاة على قبر جدي ؟ .
- نحن نعيش في جزء مختلف من البلاد . إنها منطقة بعيدة جداً عن هنا .
- لم يكن ذلك ليشكل فرقاً في فرنسا . كنا سنذهب إليه في فرنسا . اعتقد بأنه لا بد أن أذهب لأصلي على قبر جدي .
- سنذهب في وقت من الأوقات .
- آمل ألا نعيش في مكان لا أستطيع أن أذهب منه لأصلي على قبرك حين تموت .
- لا بد أن ترتب هذا .
- ألا ترى بأنه يمكن أن نُدفن كلنا في مكان مناسب؟ يمكننا أن نُدفن كلنا في فرنسا . سيكون ذلك حسناً .
- قال نيك :
- لا أريد أن أُدفن في فرنسا .
- حسناً ، لذلك لا بد أن نجد مكاناً مناسباً في أمريكا . ألا يمكننا كلنا أن نُدفن في

المزرعة؟

- تلك فكرة.

- فيكون بوسعي عندئذ التوقف والصلاة على قبر جدي وأنا في طريقي إلى المزرعة.

- أنت عملي إلى حد بعيد.

- حسناً، إنني لا أشعر بالارتياح لأنني لم أزر قبر جدي قط.

قال نيك:

- لا بد أن نذهب لزيارته. أرى بأننا لا بد أن نذهب.

٥	كلمة عن هذه الطبعة (المترجم)
	- حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة The Short Happy Life of Francis Macomber
٧	
٤٧	- عاصمة العالم The Capital of the World
٦١	- رجل عجوز عند الجسر Old Man at the Bridge
٦٥	- بعد العاصفة After the Storm
٧١	- مكان نظيف جيد الاضاءة A Clean, Well-lighted Place
٧٧	- نور العالم The Light of the World
٨٧	- ليربحكم الله بالمرح، أيها السادة God Rest You Merry, Gentlemen
٩٣	- تغير البحر The Sea Change
١٠١	- حال لن تكون عليها أبداً A Way You'll Never Be
١١٥	- أم ملكة The Mother of a Queen
١٢١	- قارئة تكتب One Reader Writes
١٢٣	- عربون وفاء لسويسرا Homage to Switzerland
١٤١	- انتظار يوم واحد A Day's Wait
١٤٥	- تاريخ طبيعي للموتى A Natural History of the Dead
١٥٥	- نبيذ وايومينج Wine of Wyoming
١٧٧	- المقامر والراهبة والمذيع The Gambler, the Nun, and the Radio
١٩٩	- آباء وأبناء Fathers and Sons

صدر عن دار النشر للنشر والتوزيع
عمان/ الأردن ص.ب ٩١٠٥٨٦ هاتف/ ٦٥٩٤٦٠

كتب النسر - قصص وروايات عالمية الترجمة الكاملة لروائع الأدب العالمي

- | | |
|--------------------------|--|
| جراهام جرين | ١ - الخاسرينال كل شيء |
| جراهام جرين | ٢ - الرجل الثالث |
| الان روب جريه | ٣ - غيرة |
| سومست موم | ٤ - في الدارة فوق التل |
| وليم فوكنر (نوبل ١٩٤٩) | ٥ - رجل عجوز |
| وليم جولدينج (نوبل ٨٣) | ٦ - لورد الذباب |
| وليم جولدينج (نوبل ٨٣) | ٧ - الورثة |
| جون شتاينبك (نوبل ٦٢) | ٨ - المهر الأحمر |
| أرسكين كالدويل | ٩ - كلوديل |
| ايرنست همنجواي (نوبل ٥٤) | ١٠ - إن كنت تملك وإن كنت لا تملك |
| وليم فوكنر (نوبل ٤٩) | ١١ - وأنا أحتضر |
| ايرنست همنجواي (نوبل ٥٤) | ١٢ - رجال بلا نساء (قصص - طبعة ثانية منقحة) |
| ايرنست همنجواي | ١٣ - حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة
وقصص أخرى - طبعة ثانية منقحة |

ويصدر عن نفس السلسلة :

- | | |
|------------------------|-------------------------------------|
| ايرنست همنجواي | - في زماننا (قصص طبعة ثانية منقحة) |
| ارسكين كالدويل | - يد الله الأكيدة |
| البرتومورافيا | - الحب الزوجي |
| كنوت هاميسون (نوبل ٢٠) | - الجوع |

= كما صدرت عن دار النسر: تموجات مهيبة (قصص) تأليف سمير عزت نصار.

أعمال إيرنست همنجواي :

روايات :

- The Torrents of Spring - دَفَقَات الربيع (١٩٢٦)
The Sun Also Rises (Fiesta) - الشمس تشرق أيضاً (المهرجان)
A Farewell to Arms - وداع للسلاح (١٩٢٩)
To have and Have not - إن كنت تملك وإن كنت لا تملك* (١٩٣٧)
For Whom the Bell Tolls - لمن يقرع الجرس (١٩٤٠)
Across the River and in to the Trees - عبر النهر وبين الأشجار (١٩٥٠)
The Old Man and the Sea - الرجل المعجوز والبحر (١٩٥٢)
Islands in the Stream - جزر في التيار (١٩٧٠)

قصص :

- In Our Time - في زماننا* (١٩٢٥)
Men Without Women - رجال بلا نساء* (١٩٢٧)
- حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة* (١٩٣٩)

The Short Happy Life of Francis Macomber and other stories

مسرحية :

- The Fifth Column - الطابور الخامس (١٩٣٨)

موضوعات عامة :

- Death in the Afternoon - موت بعد الظهر (١٩٣٢)
The Green Hills of Africa - تلال أفريقيا الخضراء (١٩٣٥)
A Moveable Feast - وليمة متنقلة (١٩٦٤)

* صدرت هذه الكتب عن دار النشر للنشر والتوزيع / عمان .



دار النشر للنشر والتوزيع

هذه القصص

حياة فرانسيس ماكومبير القصيرة السعيدة

تأليف: إيرنست همنجواي

١٩٣٩

تضم هذه المجموعة آخر قصص كتبها همنجواي في حياته، وقد أخذ عنوان المجموعة من قصته الأولى القصيرة الطويلة والتي تدور حول صيد الحيوانات الخطرة: الأسود، الثيران، الخرايت. الخ، لكن الغابات والأحراج التي يجري فيها الصيد ليست مجرد مكان تنطلق فيه الرصاصات وتجرى فيه مطاردة الحيوانات المتوحشة المفترسة وقتلها، بل هي مسرح لأحداث انسانية أعمق غوراً من ذلك، فلانسان دور بارز في هذا الجو الصاخب: فهناك علاقة ماكومبير بزوجه، علاقة الرجل بالمرأة، وشخصية ويلسون الصياد المحترف والافريقيون البسطاء، ضحايا الأنسان الأبيض الأوروبي، والخطر والموت والانسان في مواجهة هذا الخطر والموت. الخ. كل هذا يعرضه همنجواي ببساطة ودقة، دون أن يصرخ بالحقائق أو يرفعها عالياً كشعارات وأعلام.

اننا نرى همنجواي من خلال قصصه القصيرة البسيطة - العميقة، همنجواي الأسلوب السلس، البسيط، كاتب الجمل القصيرة والوصف الدقيق المباشر لعالم زاخر بالأحداث والأفكار، نراه في الحوار الديناميكي الذي يصب في المجري الرئيسي للعمل القصصي ليكون جزءاً متكاملًا منه، فنكتشف عالمه أمامنا شيئاً فشيئاً من خلال هذه القصص: عالم مواجهة الموت وتحديه أو الاستسلام له: «رجل عجوز عند انجسر»، «انتظار يوم واحد»، «حياة فرانسيس...»، «تاريخ طبيعي...»، «عالم الفضاء الفسيح عالم الصيد والقنص وعالم الأنهار والسهول»: «آباء وأبناء»، «حياة فرانسيس...»، «نبذ وايومنيج». انه عالماً أرجائه، لكننا سرعان ما نخرج منه وقد اكتسبنا خبراته وتعمقنا أفكاره بعد قد عشنا وقائمه وتفصيله كاملة.



0189114

UNIVERSITY OF ALEXANDRIA
مكتبة الإسكندرية

Bibliotheca Alexandrina



دار النشر للنشر والتوزيع

جبل الحسين - دوار فارس - عمارة الفيروزة

ت : ٦٥٩٤٦٠ - ص.ب ٩١٠٥٨٦